فتح وفيض وفضل من الله

في شرح كلمة

لا إله إلا الله محمد رسول الله

للعارف بالله تعالى سيدى

الشيخ صالح الجعفرى

رضى الله تعالى عنه

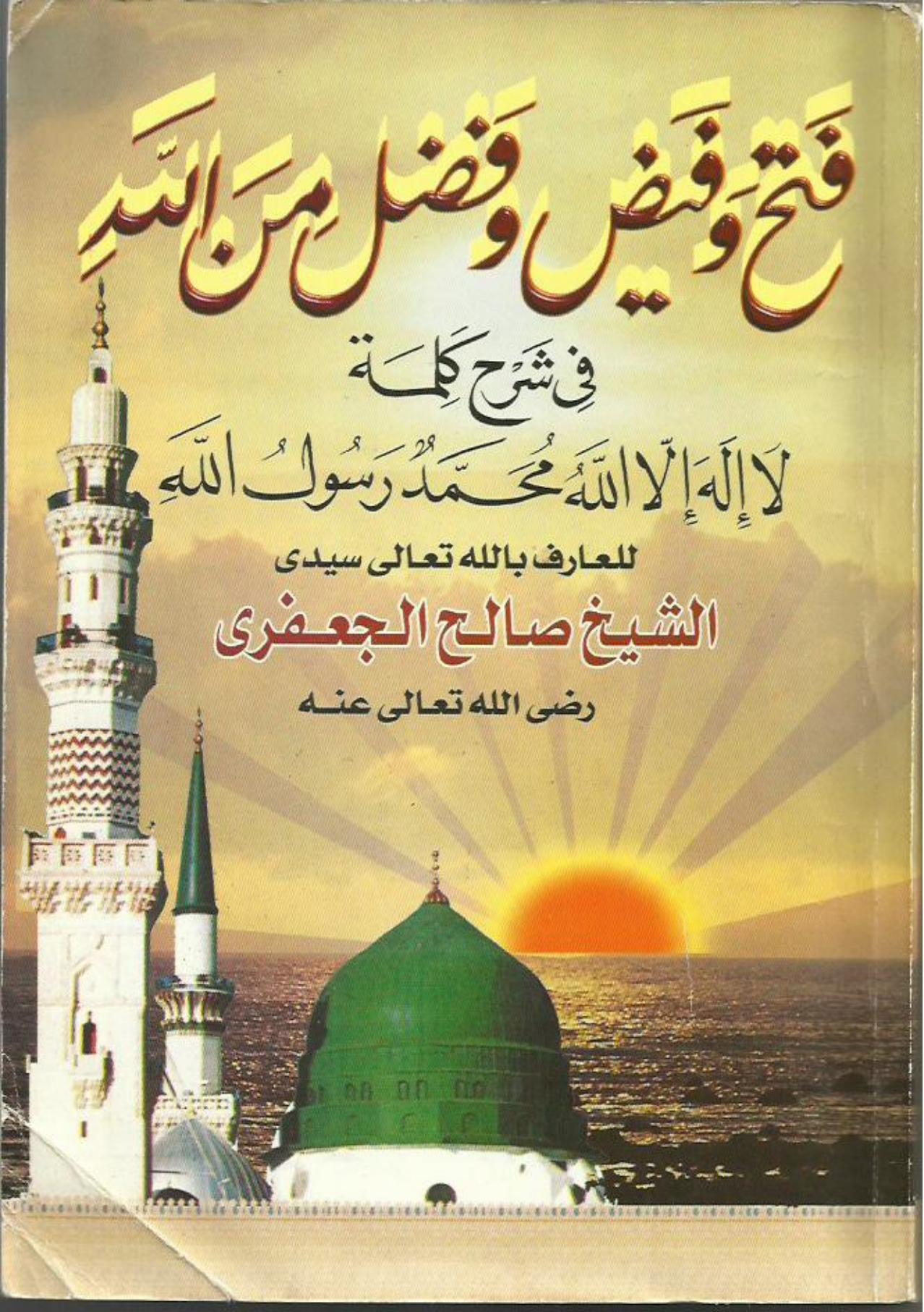

فتح وفيض وفضل من الله

في شرح كلمة

لا إله إلا الله محمد رسول الله

لفضيلة العارف بالله تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه
إمام الجامع الأزهر وصاحب درس الجمعة

الناشـــــر
دار جوامع الكلم
مشيخة الطريقة الجعفرية
١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة ـ ت ٩٢٧٣٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الحمد لله الذى أضاء قلوب العارفين بمحبته وزين عباده المؤمنين بطاعته واصطفاهم لمودته ورحمته .

والصلاة والسلام التامان الأكملان على نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذريته ورضى الله تبارك وتعالى عن صحابته وأهل مودته .

وبعد

فمن دواعى سرورنا وسعادتنا أن نقدم للمسلمين جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها كتاب (فتح وفيض وفضل من الله فى شرح كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله) لفضيلة العارف بالله تعالى إمام الجامع الأزهر الشريف سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى الصادقى الحسينى رضى الله تعالى عنه .

ومن توفيق الله تعالى وفضله أن يظهر الكتاب فى طبعته الثالثة بهذه الصورة الطيبة المشرقة .

نسأل الله تعالى أن ينفع به كل قارىء . وأن يجعله سببا لهداية من يقرؤه إلى طريق السعادة فى الدنيا والآخرة إنه سبحانه سميع مجيب . والله ولى التوفيق .

الناشر
دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

الحمد لله الذى أنطق الألسن بحكمته ، وأنار القلوب بمعرفته فأبصرت بنوره بديع صنعته . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباع سنته وبعد .

فإن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء ، وذلك حثًا لهم على تدوين ما أفاضه الله عليهم ونفعهم به ؛ لينتفع به غيرهم من عباد الله تبارك وتعالى ، فالعلماء ورثة الأنبياء ؛ لأن الله تعالى قضت حكمته وسبقت مشيئته بختم النبوات بسيد السادات مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والمولى ـ تعالى ـ لم يترك الناس سدىً وإنما يخرج لهم على رأس كل مائة سنة من يأخذ بأيديهم إلى طريق الحق ويعلمهم ويرشدهم حسبة لله تعالى .

ولقد جاء دور شيخنا الإمام الأزهرى سيدى الشيخ صالح الجعفرى ، الذى عكف فى الأزهر الشريف خمسين عاماً معلما مرشدًا ، ومؤلفًا محققًا ، وما ترك بابًا يرى فيه نفعًا للمسلمين إلا سلكه توفية لحقهم وبغية لنفعهم . فعرف بدرس الجمعة المشهور الذى كان ـ بحق ـ جامعة إسلامية كبرى لما يوضح فيه من المسائل العويصات والأمور المبهمات ، ومع أن له دروسًا كثيرة غيره إلا أنه اشتهر به لما كان فيه من الخصوصية والذيوع .

وشيخنا ـ رضى الله تعالى عنه ـ لم يكتف بإلقاء الدروس والمواعظ بل دعا إلى الله على بصيرة باللسان والقلم معًا فكما قال ألف ، وكما خطب كتب ، وترك لنا تراثًا ضخماً فى العلوم الإسلامية المختلفة ، وقد استطاع أن يمزج فيها علمه بعمله وصدق نيته بعلو همته . وإخلاص طويته بقوة عزيمته ، وكتب نظماً ونثرًا فى فنون شتى .

ولما كانت أبواب العلوم كثيرة وطرقها متعددة وكان أشرف العلوم هو علم

التوحيد ـ علم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ـ جعله الله ـ تعالى ـ من أول الفرائض ، قال ـ تعالى ـ : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وذلك ؛ لأن العلم به يستلزم العمل بشعائر الإسلام وأحكام الدين ومن ثم كان من أعظم ما خلفه شيخنا الإمام ـ عليه رضوان الله تعالى ـ ذلكم السفر العظيم فى علم التوحيد ، والذى كان فتحًا وفيضًا وفضلا من الله ـ تعالى ـ عليه كما سماه هو بذلك .

وقد كتب الله ـ تعالى ـ لهذا الكتاب القبول ولاحت عليه أنوار مؤلفه ـ رضى الله تعالى عنه ـ وفاحت منه أعطاره ، وتلقاه الجميع بالفرح والسرور والتأييد .

ولقد كان ـ رضى الله عنه ـ يشدد كثيراً فى دروسه على ضرورة التفقه فى مسائل علم التوحيد ، وعلّم المسلمين كثيراً من دقائقه ، ونبّه على أهميته وأنه أساس العقيدة الصحيحة ولهذا صنف هذا الكتاب الثمين وأسبغ عليه مما وهبه الله ـ تعالى ـ من علم لدنى وإرث محمدى .

والإمام الجعفرى شيخ عارف ذو بصيرة ثاقبة تدرك أن النفس البشرية عرضة للملل ؛ ولهذا تراه ينتقل بالقارئ بين ثنايا الكتاب من موضوع إلى آخر ليقدم له فائدة أو نادرة أو يذكر بعض أشعار المديح ، فلهذا جاء الكتاب مشتملا على ألوان شتى من المعارف واللطائف وتطرق إلى كثير من المسائل التى تتصل بالعقيدة ويحتاج المسلمون إلى معرفتها وتبين وجه الصواب فيها كالتوسل والتبرك والزيارة والصلاة فى المساجد التى بها أضرحة وغير ذلك وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ كثيراً ما يتخذ طريقة الأسئلة والأجوبة سبيلا إلى تقرير المسائل وتثبيتها فى ذهن القارئ وهذا نهج كثير من العلماء المحققين الأوائل فى مصنفاتهم .

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب إلى أبناء الشيخ وأحبابه فإنما نقدم للمسلمين جميعًا تحفة نادرة وهدية غالية تجىء فى ذكرى مولد شيخنا ـ رضى الله عنه ـ كما عود ناهم فى كل عام أن نتقى من تراثه هدية تنفع الموحدين عامة والمسلمين كافة ؛ تحقيقًا لكلمة التوحيد وتأصيلاً لها وشرحًا وافيًا ودواءً شافيًا . **مزاجه الشريعة ومذاقه التصوف الإسلامى فذق يا أخى القارىء الكريم شراب العارفين لتحظى بقربهم فى رحاب ربهم .**

فالكون كله ـ إنسه وجنه ، نباته وجماده ، أرضه وسماؤه ، يابسه وماؤه ،

بحاره وأجواؤه وما فيها ومن فيها - يوحد الخالق بكلمة لا إله إلا الله الكلمة الباقية الخالدة الدالة على وحدانيته تبارك وتعالى .

وفى الختام نسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه من المسلمين وأن يسبغ على مؤلفه - سيدى الإمام الجعفرى - رحمته ورضوانه وأن يعلى مقامه فى جنات الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

عبد ربه الغنى
عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية

مقـــدمـــة

فضيلة سيدى الشيخ صالح الجعفرى
رضى الله تعالى عنه

بســـم الله الـــرحمـن الـــرحيـــم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وسلم أجمعين .

وبعـــــد

فهذا شرح وجيز لكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، وقد ذكرت فيه شيئًا من علم التوحيد الواجب ليخرج به القارئ عن الترديد ، وقد بدأته بعون الله فى عام ١٣٨٦هـ ، وقد تم بحمد الله تعالى عام ١٣٩١هـ .

« باب أنَّ لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة التقوى »

الآيـــــة الأولـــــى

فـــى فضـــل كلمـــة التقـــوى

قال الله تعالى : ﴿ **وألْزَمَهم كَلِمَةَ التقْوى وكانُواْ أَحقَّ بها وأهلَهَا وكانَ الله بكل شيءٍ عليماً** ﴾ . [**الفتح : ٢٦**] .

(**وألزمهم**) أى : المؤمنين (**كلمة التقوى**) لا إله إلا الله محمد رسول الله وأضيفت إلى التقوى ؛ لأنها سببها .

(وكانواْ أحقَّ بها) أى : بالكلمة من الكفار .

(**وأهلها**) عطف تفسير .

(**وكان الله بكل شيء عليماً**) : أى لم يزل متصفًا بذلك ، وفى معلومه تعالى أنهم أهلها .

(**وألزمهم**) أى : اختار لهم ، فهو إلزام إكرام وتشريف .

وقوله (**كلمة التقوى**) أى : كلمة الوقاية والحفظ من الشرك .

قوله (**وكانواْ أحق بها**) أى : فى علم الله ؛ لأن الله تعالى اختارهم لدينه ، وأهلَها تفسير ، أى : لأحق بها ، أو الضمير فى (بها) لكلمة التوحيد وفى [**أهلها**] للتقوى ، فلا تكرار ، فلا يرد ما فائدة قوله (**وأهلها**) **بعد قوله** : (**أحق بها**) ؟ .

(**قلت**) : (**ألزمهم**) : من الملازمة وهى : عدم البعد ، وعدم الانفكاك كقول القائل لألزمنك أو تعطينى حقى ، فمعناه يلازمه دائماً وأبدًا حتى يعطيه حقه ، وفيها فوائد :

الفائدة الأولى :

لابـد من الملازمة لكلمة التوحيد ، والملازمة قسمان معنوية : وهى لزوم القلب لمعناها بعدد اللحظات حتى تخرج الروح وهى على هذا الحال .

(فائـدة) : الميت إذا لم يقـل عند الموت بلسانه (لا إله إلا الله) تكفيه الملازمة القلبية ، والذى بجواره يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مذكرًا له الذى فى قلبه ، ولا يقول له : قل ، ويسمى التلقين .

الفائدة الثانية :

ملازمة ذكر اللسان لها ، والمراد بالملازمة هنا : الإكثار من ذكرها .

الفائـدة الثالثة :

اتصال العامل بالمعمول إشارة إلى شيئين :

الأول : أنها توصل العبد إلى ربه .

الثانى : أن النطق باللسان متصل بما فى القلب اتصال رأس النخلة بعروقها وهذه هى الملازمة اللفظية .

(كلمـة التقوى) : هى جملتان ، وليست بكلمة ولكن قد تطلق الكلمة ويراد منها كلام قال ابن مالك . رحمه الله :

وكِلْـمَـةٌ بهـا كـلامٌ قـــد يُـؤَمّ

واستدل بقوله تعالى : ﴿ **كلاَّ إنها كَلِمةٌ هو قائِلُها** ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] والإضافة للسببية ، فيكون من إضافة السبب إلى المسبب ؛ لأنها - أى الكلمة - سبب فى التقوى ؛ لأن الصوفية يقولون : النفس الأمارة يصلح لها ذكر (لا إله إلا الله) ، وبـه تنتقـل إلى لوَّامة ، وتتوب وتندم على ما كان منها ، ويسمى صاحبها تقيًا ؛ لأنه اتقى ، أى : ابتعد عن المعاصى بسبب التوبة والندم .

والتقوى حروفها أربعة ، وكلمة التوحيد كلماتها أربعة ، فيكتسب كل حرف من كلمـة معنى ، فالتاء : توكل على الله ، تكتسب من (لا) ، والقاف : قناعة بما قسم الله تكسب من (إله) ، والواو : ورع ، يكتسب من (إلا) ، والياء : يقين ، يكتسب من (الله) .

و (لا إله إلا الله) : تنفى ما سوى الله من الآلهة الباطلة ، وتثبت الإله الحق .

والتقوى : تنفى طاعة الشيطان والهوى والنفس ، وتثبت طاعة الله تعالى فهى تشبه الكلمة فى الإثبات والنفى .

والتقوى لباس الذاكرين استعدادًا لذكر الله تعالى لهم . قال تعالى : ﴿ فاذْكُرُونِى أذكُرْكُمْ ﴾ . [البقرة : ١٥٢] .

ولا يذكر الله تعالى عبده إلا إذا كان لابسًا لباس التقوى .

قال الله تعالى : ﴿ ولباسُ التقْوى ذلك خَيرٌ ذلكَ من آياتِ الله ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

أى : علامة على أن العبد يذكره ربه الآن ، فتعرفه الملائكة ، والملائكة يلتمسون أهل الذكر ، ويعرفونهم بلباس التقوى الدال على ذكر الله تعالى لهم .

والتقوى تفتح باب الإكرام الإلهى ﴿ إنّ أكْرمَكُمْ عندَ اللهِ أتْقاكُم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وكلمة التوحيد سبب التقوى ، والتقوى سبب الإكرام .

ومن أجل صفات الإكرام : ذكر الله تعالى لعبده ، والمعية الإلهية كما فى الحديث القدسى : [**أنا مع عبْدى ما ذَكَرنى وتحركَتْ بى شَفَتَاه**] . رواه ابن عساكر ، وفى الحديث القدسى أيضًا : [**وأنا معه حَيْنَ يذكُرُنى ، فإن ذَكرنى فى نفسِه ، ذكرتُهُ فى نفسِى**] رواه البخارى .

وهذا يُسمَّى : الذكر الخفى ، ويتسبب عنه عطاء خفى وظاهر :

أما العطاء الخفى ، فهو حب الله ـ تعالى ـ الزائد عن حب الناس لله ـ تعالى ، والأنس بالله تعالى أُنْسًا خارقًا للعادة ، ويتفرع عن هذا الأنس حب الخلوة مع الله تعالى . كما قال بعض العارفين :

ولقد جعلتك فى الفُؤاد مُحَدِّثى * وأبحتُ جسْمىَ من أراد جُلُوسِى
فالجسمُ منِّى للجليسِ مُؤانِسٌ * وحبيبُ قلبى فى الفُؤادِ أنيسى

ثم يحصل له التلذذ بذكر الله ـ تعالى ـ فى الحالات الأربع : ذكر اللسان ، وذكر القلب ، وذكر اللسان والقلب معًا ، وذكر الروح لسماع ذكر الله تعالى أو

آى ذكره الحكيم . أو نظره إلى مخلوقات الله ـ تعالى ـ ؛ لأن فى معانى كلمة التوحيد لا خالق إلا الله ، وبذلك تكون آية وجهه من كتاب الله تعالى : ﴿ هذا خَلْقُ اللهِ ﴾ [لقمان : ١١] . فيرى الآثار الدالة على المؤثر .

وفى معانى كلمة التوحيد : لا بديع إلا الله ، فتكون آية وجهه من كتاب الله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السمواتِ والأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١١٧] . فيرى الكون كلّه بديعًا حسنًا كما قيل :

إذا ما رأيتَ الله فى الكلّ فَاعِلاً * رأيتَ جميعَ العالمين مِلاَحًا

وبذلك يضل إلى لذة اسمه تعالى (الخالق) ، واسمه تعالى (البديع) .

قال تعالى : ﴿ فأَيْنَمَا تُوَلُّوا فثَمَّ وجْهُ الله ﴾ [البقرة : ١١٥] .

أى : بعد فنائكم لأنفسكم وللكون لا تجدون غير ربكم إلهًا معبودًا موجودًا مهيمنًا رقيبًا حفيظًا ، أى حيثما تولوا بأرواحكم (حيثُ لا حيثُ) أى : حيث لا مشاهدة أكوان ، وحيث لا مشاهدة جهة أو مكان للمُشَاهَد ـ سبحانه وتعالى ـ قال العارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى ـ رضى الله عنه ـ :

(محبُوبُ قلبِى لاحَ للعينِ فى صُورةٍ) .

وهذا الكلام من شدة الحال ، وإلا فقد انتهت الحيثيات كلها فلا صورة ولا لَوَحَان ، وإنما هذا من آثار تجلى الأفعال للعارفين ، كما قال سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ : (حتى لا أرى فىَّ وفى كل شىء وفى لاشىء إلا إيّاك) .

ومعنى هذا الكلام : حتى أرى آثار قدرتك فى نفسى وفى جميع الموجودات أنك الموجد ، وأن ما أراه هو آثار قدرتك ، وفى لاشىء ، أى : فى المعدومات فأرى آثار قدرتك ، وأنك أعدمت الذى عدم ، وأفنيت ما فنى .

وفى قوله تعالى : (وألزمهم) : إشارة إلى أن الإيمان يلازم صاحبه إلى الممات فتكون هذه الآية فيها بشرى للمؤمنين كما قال تعالى : ﴿ وبَشر المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٤٧] . فهذه أعظم بشرى ، وهى الموت على

الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ وما كان الله لِيُضِيعَ إيمانَكُم ﴾ [البقرة : ١٤٣] . ﴿ صِبْغَةَ الله ومن أحْسَنُ من الله صِبغَة ﴾ [البقرة : ١٣٨] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ﴾ . من رواية البخارى .

استدل بعض العارفين على أن هذه الأمة لا يدخل قلوبها الشرك ؛ إكرامًا لرسولها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكثيرًا ما كان يذكر ذلك شيخى الشنقيطى . رحمه الله .

(قلت) : ولعل ذلك من ضمن أسباب الخيرية فى قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمةٍ أخرِجَتْ للناس تأمُرُون بالمعروف وتَنهوْن عن المنكر وتؤمنونَ بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

أى : فلا تشركوا بعد إيمانكم بعد نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما أخبر سبحانه وتعالى عن قوم سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ واتخَّذ قومُ موسى من بعدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا له خُوَارٌ ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

أى : أشركوا بالله ـ تعالى ـ بعد مفارقة نبيهم ـ عليه السلام ـ وهو حىّ . ونبىُّ هذه الأمة ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يطمئن أمته بعدم الشرك بعد مماته ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وعبر عنها سبحانه بقوله (كلمة) . : وهى جملة للإشارة إلى خفة النطق بها ، فهى وإن كانت جملة لكنها لخفتها كانت مثل كلمة .

قال سيدى الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر ـ رضى الله عنه ـ :

الحمدُ لربى قد هَدَانى * كِلْمه خفيفه على لسانى
هى علامه على الإيمان * ويوم القيامة ما وزْنها شِى

إشارات حروف الشهادتين :

وهى مبتدأة باللام ؛ لعلوها ، قال تعالى : ﴿ وكَلِمةُ الله هى العُلْيَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

والحرف الثانى الألف : إشارة إلى الألفة والأخوة ، قال تعالى : ﴿ فأصبحتُم بنعمته إخوانا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . بسبب كلمة التوحيد ، وقال تعالى : ﴿ وألَّفَ بينَ قلُوبِهم ﴾ [الأنفال : ٦٣] . أى : بسبب كلمة التوحيد .

والحرف الثالث الهمزة : إشارة إلى فلاح المؤمن بها ، قال تعالى : ﴿ قد أفلحَ المؤمِنُون ﴾ [المؤمنون : ١] .

والحرف الرابع : لام لطف الله ـ تعالى ـ بعباده ، وبالأخص بأهل (لا إله إلا الله) قال تعالى : ﴿ الله لطِيفٌ بعباده ﴾ [الشورى : ١٩] .

والحرف الخامس : الهاء إشارة إلى هداية الله لأهلها . قال الله تعالى : ﴿ يهْدِى به الله مَنِ اتبعَ رضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ﴾ [المائدة : ١٦] .

والحرف السادس : الهمزة ، إشارة إلى أسوة حسنة من أهلها برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكُم فى رسول الله أُسْوةٌ حَسنَة ﴾ [الأحزاب : ٢١] . يعنى : يا أهل كلمة التوحيد .

والحرف السابع : اللام المشددة ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لهُمُ البُشرْى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ [يونس : ٦٤] .

والحرف الثامن : الألف ، وهى إشارة إلى أمن الله تعالى لهم قال تعالى : ﴿ وآمَنهُم مِن خوْف ﴾ [قريش : ٤] .

والحرف التاسع : الألف ، وهمزته وصل إشارة إلى الوصل .

والحرف العاشر : اللام الأولى : إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ ولا يخَافُون لومةَ لآئِم [المائدة : ٥٤] . بسبب كلمة التوحيد ، وأنها تبعث فيهم روح الشجاعة .

والحرف الحادى عشر : اللام الثانية ، وهى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لهم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهارُ ﴾ [المائدة : ١١٩] بإسلامهم .

والحرف الثانى عشر : الهاء ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وهُدُوا إلى الطيِّب من القولِ وهُدُوا إلى صراطِ الحمِيدِ ﴾ [الحج : ٢٤] . لأنهم وحدوا البارى ، فوقاهم عذاب النار .

وحروفها اثنا عشر حرفًا ؛ للإشارة إلى عدة شهور السنة . قال تعالى : ﴿ **إن عِدَّةَ الشهورِ عند اللهِ اثْنَا عَشرَ شهرًا** ﴾ . [التوبة : ٣٦] فمن قال كلمة التوحيد ، فقد ملأ الاثنى عشر شهرًا ثوابًا ، وتشهد له أيامها بالخير كما فى الحديث : (**كل يوم ينادى : يا ابن آدم أنا خلْقٌ جديد ، وعلى عملك شهيد**) .

وفيها أربعة حروف للاسم الأعظم ، وهو لفظ الله ؛ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **منها أربعةٌ حُرُمٌ** ﴾ ، وبذكرها تنجو الاثنا عشر وهى : العينان ، والأذنان ، واليدان ، والرجلان ، واللسان ، والشمّ ، والبطن ، والفرج ، تنجو من الكفر ، ومن المعاصى ، ومن عذاب النار ، وتستنير بنورها ، كما فى الحديث : (**واجعل لى فى بصرى نُورا ، وفى سمعى نُورًا . . . الخ**) . رواه البخارى .

واعلم أنه كلما ذكر (لا إله إلا الله) ، خرج من قلبه ظلام ، ووضع مكانه نور حتى يكره ما كان يحب من المعاصى ، ويلوم نفسه على ما كان منه من تقصير ، فينقله الشيخ إلى ذكر اسمه تعالى (الله) ، وهو اثبات فقط ؛ ليزداد به نورًا ويصل إلى درجة الإلهام ، فتسمى نفسه (مُلْهَمة) . قال الله تعالى : ﴿ **فألهمَها فجُورَها وتقْواها** ﴾ [الشمس : ٨] . أى : عرفها فجورها ؛ لتفر منه ، وعرفها سبيل التقوى ؛ لتسلكه .

ولذلك قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **قد أفلح من زَكَّاهَا * وقد خاب من دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٩ ، ١٠] وذلك بواسطة القرآن والذكر ، فإلهام القرآن بيان للحلال والحرام ، وإلهام الذكر حب الطاعة ، وبغض المعصية ، وذلك من بركات ذكر الله ـ تعالى ـ .

بَيَان فَضْل العِلْم والعُلَمَاء

الشيخ على محمد جوى إمام وخطيب مسجد سيدى عبد العالى الإدريسى ـ رضى الله عنه ـ بدنقلا سمعته يقول : قال الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى ـ رضى الله عنه ـ : الذكر يُنَوِّر الجسد ، والعلم يُنَوِّر الروح .

(قلتُ) : لا خلاف فى هذا الكلام ؛ لأن المدار على تنوير الروح ، ويلزم من تنويرها تنوير الجسد .

ومعلوم أن أفضل الخلق بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هم العلماء ، وقد جعلهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورثته ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء**) . رواه البخارى .

وجعلهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خلفاءه، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**رحم اللهُ خُلَفَائِي . قالواْ : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يأتُون مِن بعْدى يبلِّغون الناسَ سُنَّتِى**) . رواه الطبرانى فى الأوسط وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**فضْلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائِر الكواكب**) . رواه الإمام أحمد ، وقد ألف الشيخ القرطبى ـ رحمه الله ـ كتابًا فى فضل العلم والتعليم والعلماء ، جمع فيه ما يدهش العقل ، ويشرح الصدر ، ومن قرأ هذا الكتاب لا يشتغل إلا بالعلم ، والعلم لا يُدْرَك إلا بالتلقى عن المشايخ زمنًا طويلاً .

كما قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ :

أخى لن تنال العلم إلا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرْصٌ واجتهادٌ وبُلْغَة * وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

والمراد بالبلغة : الشىء الذى يقتات منه .

توجيهى لتلقى العلم بالأزهر

وقبل مجيىء إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد بأول جزء من شرح النووى على صحيح مسلم ، فاستعرته منه ، وصرت أذاكر فيه ، فرأيت سيدى عبد العالى الإدريسى ـ رضى الله عنه ـ جالسًا على كرسىّ ، وبجواره زاد للسفر ، وسمعت من يقول : إن السيد يريد السفر إلى مصر إلى الأزهر ، فجئت وسلمت عليه ، وقبَّلْتُ يده ، فقال لى مع حدَّة : (العلم يُؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب) وكررها ، فاستيقظت من منامى ، وقد ألهمنى ربى السفر إلى

الأزهر ، وحضرت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى المحدِّث ، وهو يُدرِّس شرح النووى على صحيح مسلم ، فجلست عنده وسمعته يقرأ حديث : ﴿ **لا هجرة بعد الفتْح ولكن جهادٌ ونيّة ، وإن استُنفرتم فانفِرُواْ** ﴾ .

وللمناسبة : قال بعض العارفين : لو كنت أعلم ما فى (لا إله إلا الله) من العلم ما أتعبت نفسى فى طلب العلم .

(**قلت** :) سبحان الله ! ، وهذا الشيخ لولا أنه طلب العلم ، وتمكن منه ما ظهر له علم (لا إله إلا الله) ، فإن علومها لا تظهر للجهلاء .

قال تعالى : ﴿ **واتَّقُواْ اللهَ ويعلمكُمُ الله** ﴾ . [البقرة : ٢٨٢] .

أى : اتقوا الله فى أداء ما أوجبه الله ـ تعالى ـ عليكم فى طلب العلم يعلمكم أسراره ، ومعانيه اللدنية .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**طلبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلم**) . رواه ابن ماجة .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**من عَمِل بما علمَ أوْرثَه اللهُ علْمَ ما لم يعلَمْ**) . رواه أبو نعيم فى الحلية ، فلا يظن إنسان أن الذكر يعلمه ، ويستغنى به عما أوجبه الله عليه .

وقد كان شيخنا الشيخ السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ طالبًا للعلم من صغره بعد أن حفظ القرآن ، وكان يسافر إلى العلماء ، ويتغرب من أجل طلب العلم ، فلما أراد الله أن يظهره ، أظهره بالعلم فى عهد العلماء الأكابر .

(**وكانواْ أحقَّ بها وأهلَها**) : كتب الله لهم كلمة التوحيد فى الأزل ، فلما جاءتهم فى الدنيا كانواْ أحق بها ممن لم تكتب لهم ، وكانواْ أهلها ، أهَّلهم الله ـ تعالى ـ لقبولها ، وأوجد فيهم استعدادًا لذلك .

ويمكن تفسير هذه الآية بحديث : (**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدَةٌ : ما تعارَفَ منها ائتَلَف ، وما تناكَرَ منها اختلَف**) . رواه البخارى .

جميع الأرواح التى كتب الله ـ تعالى ـ لها الإيمان فى عالم الأزل فى جوار الروح المحمدية التى مثلها كالشمس ، كل من شعَّ عليه شعاعها ، دخل فى التعارف

المحمدى ، وكان أحق بكلمة التوحيد ، فإذا نزلت روحه إلى الدنيا اختارت الإيمان على الكفر ، وقربها من ذاك الشعاع قد أهلها لذلك ، فكانت أهلاً لكلمة التوحيد .

ولما كان ذلك فى علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ ختم الآية بما يدل على علمه بذلك فقال : ﴿ **وكان اللهُ بكل شىء عليماً** ﴾ .

فعلم بالمؤمنين فى الأزل ، فأثبتهم عنده ، وعلم بهم بعد وجودهم فى الدنيا فوفقهم إلى كلمة التوحيد .

وفى علمه سبحانه ﴿ **يخرجُ الحىَّ من الميِّت** ﴾ [الروم : ١٩] . **كعكرمة من أبى جهل** ، وعكرمة فى اللغة اسم (القمرية) الطائر المعروف ﴿ **ويخرجُ الميتَ من الحىّ** ﴾ كخروج كنعان من سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ فالإيمان حياة ، والكفر موت ، قال تعالى : ﴿ **أوَ مَن كان مَيْتًا فأحيَيْنَاه** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] يعنى : كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان .

وللمناسبة : هنا مسألة العوام يتكلمون فيها بمالا يليق فى قوله تعالى : ﴿ **إنه ليس مِن أهْلِكَ إنه عملٌ غير صالحٍ** ﴾ [هود : ٤٦] .

(**فأقول**) : الله سبحانه وتعالى أخبر سيدنا نوحًا ـ عليه السلام ـ أن يحمل معه أهله فى السفينة إلا مَنْ حقَّ عليه القول منهم ، فلما غرق ابنه (كنعان) ظن أن كنعانًا من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم ، ونسى أنه ممن حق عليه القول منهم فقال : (**ربِّ إن ابْنِى من أهلى**) ، وأنت وعدتنى بنجاة أهلى ، فهو من أهلى الموعود بنجاتهم ، فردَّ عليه الحق سبحانه بقوله : (**إنه ليس من أهلك**) أى : الذين وعدتك بنجاتهم بل أخبرتك بأنه ممن سبق عليهم القول منى بإغراقهم .

ثم بَين ـ سبحانه ـ السبب الذى لم يجعل ابنه من أهله الناجين بقوله : (**إنه عملٌ غيرُ صالح**) . وفى قراءة بكسر الميم ، وفتح اللام (**عَمِلَ**) أى : كفر ، والكفر يمنع النجاة .

الآيـــة الثـــانيـــة
فـــى فضـــل كلمـــة التـــوحيـــد

قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كيف ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيِّبَةٍ أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها فى السماء * تُؤْتِى أُكُلَهَا كلَّ حِينٍ بإذنِ ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] .

(ألم تر) : تنظر (كيف ضرب الله مثلا) ويبدل منه (كلمة طيبة) أى : لا إله إلا الله .

(كشجرة طيبة) : هى النخلة (أصلها ثابت) فى الأرض (وفرعها) غصنها أى : جريدها (فى السماء ، تؤتى) تعطى (أكلها) ثمرها (كل حين بإذن ربها) بإرادته ، كذلك كلمة الإيمان ثابتة فى قلب المؤمن ، وعمله يصعد إلى السماء ، وينا له بركته وثوابه كل وقت .

المثل : شىء أجنبى عن الموضوع يؤتى به لإيضاح القاعدة ، ومن بلاغة القرآن أنه يضرب الأمثال ؛ ليبين للناس المراد .

شبه الله ـ تعالى ـ الكلمة الطيبة بالنخلة لأمور :

الأول : أنها طيبة ، وطيبها بسبب ثمرها لحلاوته ؛ لأن الكلام إما طيب وإما خبيث ، كذا الشجر إما طيِّب وإما خبيث .

الثانى : الثبات ؛ لأن كلمة الحق ثابتة ، وكلمة الباطل ليست ثابتة ، قال الله تعالى : ﴿ إن الباطِلَ كانَ زَهُوقا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

كذلك الشجر فيه الثَّابت ؛ لطول عروقه فى الأرض ، وفيه غير الثابت ؛ لعدم طول عروقه فى الأرض .

الثالث : أن الكلمة الطيبة صاحبها بسببها يفعل الخير كل حين ، كقوله

تعالى : ﴿ أَقِمِ الصلاَةَ ﴾ [الإسراء : ٧٨] . فإن صاحبها يؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها ، كذا الشجر فيه ما يؤتى أكله كل حين كالنخلة ، وفيه مالا يؤتى كالشوك وغيره يؤتى ثمرًا خبيثًا لا يؤكل كالحنظلة ، والفرق بين المشبه والمشبه به شاسع ؛ لأن النخلة تؤتى الفانى وكلمة التوحيد تُؤتى الباقى ؛ لأن الله - سبحانه - باقى ، ولا يرضى أن يكون الجزاء على عبادته فانيًا .

ولما كان الجسد ظرفًا للطعام الفانى صار فانيًا ، ولما كانت الروح مصدرًا للعبادة الباقية كتب الله لها البقاء ، وأكل النخلة فى غذاء الجسد الفانى ، وأنوار (لا إله إلا الله) فى غذاء الروح الباقى .

ولما كان الثمر ينفى الجوع ويثبت الشبع كانت الكلمة الطيبة تنفى الشرك وتثبت التوحيد، ولما كان الكون يشتمل على نفى وإثبات كانت الكلمة كذلك ، فالنهار ينفى ظلمة الليل ، ويثبت ضوء النهار ، كذلك الكلمة تَنْفِى ظلمة الشرك ، وتثبت نور التوحيد .

ولما كان العلم بالشىء ينفى الجهل به ، كذلك الكلمة تثبت العلم بالله تعالى وتنفى الجهل به .

ولما كان العدل ينفى الظلم ويثبت العدل ، كذلك الكلمة تنفى ظلم الشرك ، وتثبت عدل التوحيد . قال الله تعالى : ﴿ إن الشركَ لظُلْمٌ عظيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

ولما كان الغنى ينفى الفقر الظاهر ويثبت الغنى ، كذلك الكلمة تنفى فقر القلب وتثبت غناه بالله تعالى .

ولما كان السلاح ينفى الخوف عن الخائف بالأمن ، كذلك الكلمة تنفى عن القلب الخوف من غير الله تعالى ، وتثبت له الأمن والطمأنينة قال الله تعالى : ﴿ ألا بذكْرِ اللهِ تطَمئِنُّ القلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ولما كان الفرح بحصول المطلوب ينفى الحزن ، كذلك الكلمة تنفى الحزن ، وتثبت الفرح بالله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ فبذلك فَلْيفْرَحُواْ هو خيرٌ مما يجمعُون ﴾ [يونس : ٥٨] .

ولما كان المطر يحيى الأرض ، وينفى عنها الموت ، كذلك الكلمة تحيى القلب ، وتنفى عنه الموت الذى لا يجعله ذاكرًا لربه تعالى ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم : ـ (**مَثَلُ الذى يذكرُ ربَّه والذى لا يذكُر ربَّه : مَثَلُ الحىّ والميّت**) . رواه البخارى .

ولما كان القلب يوصف بالموت ، فيكون مظهرًا لاسمه تعالى (المميت) ، تنقله الكلمة إلى أن يكون مظهرًا لا سمه تعالى (الحيّ) .

والله تعالى يقول : ﴿ **وما يستوى الأحياء ولا الأمواتُ** ﴾ [فاطر : ٢٢] لأن المؤمن الميت لا يزال قلبه حيا إلى يوم القيامة ، فهو يدرى ويعقل ولذلك شرع السلام على الأموات ، وشرعت زيارتهم ، ولو لم يعقلوا لكان ذلك المشروع عبثًا ، وهذه هى الحياة الطيبة التى يعقل بها صاحبها فى الحياة وبعد الممات . قال الله تعالى : ﴿ **فلنُحْيِيَنَّه حياةً طيّبَةً** ﴾ [النحل : ٩٧] .

والحياة الطيبة على قسمين :

حياة إجابة الحق سبحانه أزلاً ، وحياة الإجابة بعد التكليف .

أهل كلمة التوحيد والحب الإلهى

فأهل كلمة التوحيد أولاً حصل لهم إيمان بخالقهم ، وحب له سيبقى معهم حتى يشاهدوه فى الجنة ، وتكون رؤيتهم له ـ سبحانه ـ خاصة تفوق على من ليسوا كذلك وإلى ذلك أشار سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله عنه ـ بقوله :

ولى فى هواها نشوةٌ قبل نشأتى * ستبقى معى أبدًا وإن بلى الجسمُ

ولما سمعوا كلامه أحبوه ، واشتاقوا إليه ، فلما سمعوا كلامه فى الدنيا ذكّر الكلام الكلام ، ولما رأوا مخلوقاته فى الدنيا ذكرتهم الخالق ـ سبحانه ـ وازدادوا علماً وإيمانًا قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذا تليتْ عليهم آياتُهُ** ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿ **زادتهُم إيمانًا** ﴾ . [الأنفال : ٢] بقوله تعالى أزلاً ﴿ **ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وذلك للأنبياء والمرسلين . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وللعارفين والصديقين ، ولبنى آدم أجمعين ، ولذلك يقول الحق

سبحانه : ﴿ فاستمعوا له ﴾ أى : لهذا القرآن ﴿ وأنصتوا ﴾ أى : عند سماعه . ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] . بالتذكار لما سمعتموه منه من قبل أزلاً . قال سبحانه : ﴿ وإنه لذكرٌ لك ولقومك ﴾ [الزخرف : ٤٤] أى : مُذكرٌ لك ولقومك .

قال الله تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر ﴾ [القمر : ١٧] أى : كما ثبتنا الأرواح أزلاً لسماع كلا منا ، كذلك ثبتناها فى الدنيا لسماع كلامنا قال الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ . [إبراهيم : ٢٧] لسماع كلام الحق خارج الجنة وداخلها حينما ينادى - سبحانه - : (يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير كله فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ ! فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ ! فيقولون : يا ربنا وأىُّ شىء أفضلُ من ذلك ؟ ! فيقول : أحلّ عليكم رضوانى فلا أسخطُ عليكم بعده أبدًا) .

وهذا الحديث أخرجه البخارى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - وهذا هو الثبات الأعظم ؛ لأن فيه التجلى والسماع ، وكل ذلك مفتاحه كلمة التوحيد ، وهى فى كلام الله تعالى القديم ، وكل حرف منها بعشر حسنات .

القرآن كلام الله القديم

(مبحث هام) : القرآن كلام الله تعالى ليس مخلوقًا ، جيىء به فى هذه الكلمات ؛ ليؤدى الأمر والنهى ، فكما أن الروح حقيقتها غير معلومة لأحد سوى الله كذلك كلام الله لا يعلم حقيقة كنهه إلا هو ، فالقرآن كلام الله ليس مخلوقًا ، فَصَّله الله وبيَّنه ، وجعله بلسان عربى مبين .

وكما أن الروح إذا كانت فى الجسد عقلنا آثارها ، وإذا خرجت عن الجسد فقامت بنفسها لا نعلم عنها شيئا ، كذلك القرآن العظيم إذا كان فى المصحف أو تلوناه أو سمعناه علمنا منه المراد ، وإذا كان قائما بذات الله - تعالى - لا نسمع منه شيئا ، وكان منزهًا عن الحرف والصوت .

ولما أسمعه ـ سبحانه ـ جبريل كان كذلك سمعه سماعًا يليق بجلال الله .

قال الشيخ الدردير رضى الله عنه :

ثم الكلامُ ليس بالحُروف * وليس بالترتيب كالمألوفِ

وقال اللقانى ـ رضى الله عنه : ـ .

ونزِّهِ القرآنَ أى كلامه * عن الحدُوثِ واحذَرِ انتقامَه

وفى بدء الأمالى :

وما القرآن مخلوق تعالى * كلامُ الربّ عن جنسِ المقال

وقال البوصيرى ـ رحمه الله ـ : .

آيات حقٍّ من الرحمنِ محُدَثةٌ * قديمةٌ صفةُ الموصُوفِ بالقِدَمِ

لم تقْترِنْ بزمان وهى تخبرنا * عن المعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ

ولما قرأ شيخنا الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى ـ رحمه الله ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ ما يأتيهم من ذكْرٍ من ربهم محُدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] قال : محدث إنزاله لا هو . اهـ .

(قلت) : ولما كان القرآن كلام الله ، كان أحب مسموع إليه تعالى ، كما ورد فى الصحيحين : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« ما أذن الله لشىء ما أذن لنبىٍّ يتغنَّى بالقرآن »

وفى رواية الطبرانى : (حَسَنِ الصَّوتِ) .

ومعنى أذن : استمع ، ويكون ذلك للأتباع بالوراثة ، أى : ذلك الاستماع الإلهى .

وقد أشار شيخنا الشيخ السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ إلى هذا فى أحزابه بقوله : (وأوقفنى وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط فى مقام السماع العام) .

الوراء : هو المقام الذى يحصل للعقل فيه تصوُّر ، وهو مشاهدة ما سوى

الله ـ تعالى ـ ، ووراء الوراء : هو الذى لا يحصل للعقل فيه تصوُّر ، وهو المشاهدة الإلهية بلا حجاب ولا تصوُّر بوجه من الوجوه .

وهنا لابد من مشاهدة اسمه تعالى (المحيط) ؛ لأنك إذا تكلمت يسمعك ، فشاهد أنه يسمعك من جميع الجهات سماعًا يجل عن التصوُّر العقلى ـ فى مقام السماع العام : وهو أن تسمع القرآن منك بروحك ، وهى تسمعه من جميع جهاتها ، وتحصل المكالمة ، والطرب الروحى بذلك . قال عليه الصلاة والسلام : (**من أرادَ أن يتكلَّمَ معَ الله ، فلْيقْرأ القرْآنَ**) . رواه الديلمى فى الفردوس وهذه هى المكالمة ، فلها غايات أعلاها ما حصل لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . واعلم يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ أن هذا الكلام يدرك بالأذواق لا من الأوراق فإذا أردته فعليك به من روحك لروحك ، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل .

وقد بالغ بعضهم فى مقام السماع حتى قال :

فَأْذنى لم تسمعْ سوى نغمةِ الهوى * وإنِّى منكُمْ لا مِنَ الطَّيرِ سَامِعُ

الآيـــة الثـــالثـــة
فى فضـــل لا إلـــه إلا الله

قال الله تعالى : ﴿ فاعْلَمْ أنه لا إلهَ الا الله ﴾ [محمد : ١٩] .

العلم : هو الجزم المطابق للواقع عن دليل .

فخرج بقولنا (العلم) : الجهل . وهو قسمان :

بسيط : وهو عدم العلم بالشىء .

ومركب : وهو معرفة الشىء على غير حقيقته .

وخرج بقولنا (الجزم) : الظنّ وهو : إدراك الطرف الراجح ، والشك : وهو إدراك الطرفين على السواء ، والوَهْم : وهو إدراك الطرف المرجوح . وخرج بقولنا (المطابق للواقع) نحو عقيدة التثليث للنصارى ، فإنهم يجزمون بها ، لكنها ليست مطابقة للواقع .

وبقوله (عن دليل) : خرج إيمان المقلِّد ؛ لأنه ليس عن دليل .

قال الشيخ اللقانى - رحمه الله - فى المنظومة المسماة (جوهرة التوحيد) [1] : - كتب منها طلبة الأزهر ألف نسخة فى يوم ظهورها لهم - .

وكان يُدرِّسها فى أول عام حضرت فيه الشيخ على الشائب - رحمه الله - فحضرت عليه ، وكان يدرسها غيبًا متنًا وشرحًا ، وكان من العلماء الصالحين ، وكان إذا دخل قبة سيدنا الحسين - رضى الله عنه - لا يتكلم مع أحد أبدًا ، ويحصل له حال خشوع عجيب ، كأنه يشاهده وينزل عليه عرق كثير ، وكنتُ أدرس عليه - أيضًا - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، وفى ليلة من الليالى

---

(١) سيأتى كلام الشيخ اللقانى قريبًا .

رأيتُ النبى ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ فى النـوم ، وكان يحدثنى فى مسألة علمية ، أخطأت فيها ، فغضب ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال لى : يا ولد .

وذلك من ضمن كلام يطول ، فلما أصبحت وحضرت فى الدرس ، قلت فى نفسى ، وأنا جالس : يقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ لى : يا ولد ! .

فهل أنا صغير ؟ ! فالتفت إلىَّ الشيخ وهو يدرس وقال : (إنما قلنا لك يا ولد كعادة العرب . لا لأنك صغير) .

ومرة رأيت وجهه صار فى صورة عجيبة ، وبلحية طويلة ، ثم تحول إلى وجه آخر ، فقلت فى نفسى : ما هذا ؟ ! ! .

فردَّ الشيخ علىَّ وهو يدرس : وهذا الوجه الذى رأيته هو وجه سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، والثانى : وجه الإمام الليث ـ رضى الله عنه ـ .

ثم رجع إلى درسه إلى المكان الذى كان يقرأ فيه .

وأمثال هذا الشيخ عند الصوفية يسمون أرباب القلوب ، ولعلهم أن يكونوا المُحَدَّثين الذين منهم سيدنا عمر رضى الله عنه ـ كما فى حديث البخارى .

ومنهم شيخى وأستاذى السيد محمد عبد العالى الإدريسى ، وسماه والده السيد الشريف ـ رضى الله عنه ـ .

كنت مرة جالسًا عنده بسفينة بمصر عند زيارته الأخيرة لها .

وكان مريضًا ، فقلت فى نفسى : ما هذا المرض : سبحان الله ! ! .

فرفع رأسه وقال بصوت مرتفع (ابتلاءً يَا ابنى) .

وهكذا كان نداؤه لى حتى فى البلد إما أن يقول : يا شيخنا ، وإما أن يقول يا ابنى .

حكم إيمان المقلد ، وآراء العلماء فى ذلك

قال صاحب الجوهرة (رحمه الله) :

إذْ كلُّ من قلَّد فى التوحيد * إيمانُهُ لم يخْلُ من ترديدِ
ففيه بعضُ القومِ يحكى الخُلْفَا * وبعضهم حقَّق فيه الكشفا
فقال إن يجْزم بقولِ الغيرْ * كَفَى وإلا لم يزَلْ فى الضَّيرْ
واجزِمْ بأنَّ أولاً مما يجِبْ * معرفةٌ وفيه خُلْفٌ منتَصِبْ

والمقلد : هو الذى قلد غيره فى التوحيد من غير دليل .

والعالم هو الذى تعلم التوحيد وعرف الأدلة عليه .

وقد ضرب الشيخ السنوسى مثلاً للمقلِّد والعالم بجماعة نظروا للهلال ، فسبق بعضهم لرؤيته ، وأخبرهم به ، فإن صدقوه من غير معاينة كانوا مقلدين وإن أرشدهم بالعلامة حتى عاينوه لم يكونوا مقلدين .

وحاصل الخلاف فى المقلِّد أقوال ستة :

الأول : عدم الاكتفاء بالتقليد بمعنى عدم صحة التقليد ، فيكون المقلد كافرًا وبهذا قال السنوسى فى الكبرى .

الثانى : الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقًا ، أى : سواء كان فيه أهلية النظر أم لا .

الثالث : الاكتفاء به مع العصيان إن كان فيه أهليه النظر ، وإلا فلا عصيان .

الرابع : أنَّ مَنْ قلَّد القرآن والسنة القطعية ، صحَّ إيمانه ؛ لاتباعه القطعى ، ومن قلَّد غير ذلك لم يصحّ إيمانه ؛ لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم .

الخامس : الاكتفاء به من غير عصيان مطلقًا ، لأن النظر شرط كمال ، فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الأولى .

السادس : أن إيمان المقلد صحيح ، ويحرم عليه النظر ، وهو محمول على المخلوط بالفلسفة ، وما أحسن قول بعضهم :

عاب الكلام أناس لاخلاق لهم * وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضرَّ شمس الضحى فى الأفق طالعة * أن لا يرى ضوءها مَنْ ليس ذا بصر

والقول الحق الذى عليه المعول من هذه الأقوال القول الثالث .

والصواب : أن هذا الخلاف مطلق أى : جار فى النظر الموصل لمعرفة الله تعالى ، وفى غيره كالنظر الموصل لمعرفة الرسل ـ عليهم السلام ـ خلافًا لمن خصّ الخلاف بالنظر غير الموصل لمعرفة الله تعالى ، وقال :

أما النظر الموصل لمعرفة الله تعالى ، فهو واجب بالإجماع ، وقد جرى على ذلك الشيخ عبد السلام .

والراجح : أنه لا فرق فى هذا الخلاف بين أهل الأمصار والقرى ، وبين من نشأ فى شاهق جبل خلافًا لمن خصه بمن نشأ فى شاهق جبل دون أهل الأمصار والقرى ، وقد جرى على ذلك الشيخ عبد السلام أيضًا .

وحكى الآمدى اتفاق الأصحاب على انتفاء كفر المقلد ، وأنه لا يُعْرَفُ القول بعدم صحة إيمانه إلا لأبى هاشم الجبائى من المعتزلة .

وذكر ابن حجر عن بعضهم أنه أنكر وجوب المعرفة أصلاً ، وقال : إنها حاصلة بأصل الفطرة ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ التى فطر النَّاسَ عليها** ﴾ [الروم : ٣٠] .

وبقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة**) . [رواه الشيخان] .

ولذلك قال أبو منصور الما تريدى : أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم ، وأنهم حشو الجنة ، كما جاءت به الأخبار ، وانعقد به الإجماع فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه ، وحدوث ما سواه .

وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين والله أعلم .

قولـه (وبعضهم حقق فيه الكشفا) أى : وبعض القوم كالتاج السبكى حقق فى إيمان المقلد البيان عن حاله بما يصير به الخلاف فى الاكتفاء بالتقليد وعدم الاكتفاء لفظيًا ، والتحقيق : يطلق على إدراك الشىء على الوجه الحق ، وعلى إثبات الشىء بدليل .

والأول : هو المراد هنا .

وقوله (فقال . . . الخ) معطوف على قوله (حقق فيه الكشفا) من عطف المفصل على المجمل .

وقوله (إن يجزم بقول الغير) أى : إن يجزم المقلد بصحة قول الغير جزمًا قويًا بحيث لو رجع المُقَلِّد بالفتح لم يرجع المقلِّد بالكسر (كفى) أى : كفاه فى الإيمان .

وعلى هذا يحمل القول بكفاية التقليد ، فيكفيه ذلك فى الأحكام الدنيوية ، فيُزَوَّج ويؤمّ وتُؤكَل ذبيحته ، ويرثه المسلمون ويرثهم ، ويسهم له ، ويدفن فى مقابر المسلمين ، وفى الأحكام الأخروية أيضًا ، فلا يخلَّد فى النار إن دخلها ، ومآله إلى النجاة والجنة فهو مؤمن لكنه عاصٍ بترك النظر إن كان فيه أهلية النظر .

وقوله (وإلا لم يزل فى الضير) : وإن لم يجزم المقلد بصدق قول الغير جزمًا قويًا بأن كان جازمًا . لكن لو رجع المقلِّد ـ بالفتح ـ ، لرجع المقلِّد ـ بالكسر ـ لم يزل واقعًا فى الضير ؛ لأنه قابل للشك والتردُّد .

وعلى هذا يحمل القول بعدم كفاية التقليد .

والخلاف إنما هو فى المقلِّد الجازم ، وأما الشاك والظَّانّ فمتفق على عدم صحة إيمانهما ، وإن كان كلام المصنف يوهم خلاف المراد ، والخلاف فى إيمان المقلِّد إنما هو بالنظر لأحكام الآخرة ، وفيما عند الله ، وأما بالنظر إلى أحكام الدنيا ، فيكفى فيها الإقرار فقط ، فمن أقرَّ جرت عليه الأحكام الإسلامية ولم يحكم عليه بالكفر ، إلا إن اقترن بشىء يقتضى الكفر كالسجود لصنم .

قوله (واجزم) أى : اعتقد اعتقادًا جازمًا ، والمخاطب بذلك كل مكلف من ذكر أو أنثى حر أو عبد جِنِّى أو إنْسِى .

واجـزم بأن أولا مما يجب * معـرفـة وفيه خلف منتصب

قال المصنف فى شرحه : والكلام السابق من قوله : (فكل من كلف . . . الخ) [1] إنما أفاد أن المعرفة واجبة على المكلف ، وهذا أفاد أنها أول واجب ثم هذه المسألة ليست من أركان الدين المعتقدة ، كيف والأصح كفاية التقليد .

وقوله (أولاً) متعلق باجزم ، وأصل (أول) : أوأل على وزن أفعل ، قلبت الهمزة الثانية واوًا ، ثم أدغمت الواو فى الواو ؛ لاجتماع المثلين ، وله استعمالان :

أحدهما : أن يكون بمعنى سابق فيكون منصرفًا منونًا ومنه قولهم : الحمد لله أولاً وآخرًا .

والثانى : أن يكون صفة ، فيكون أفعل تفضيل بمعنى : أسبق ، فيكون غير منصرف للوصفية ووزن الفعل ، فإن حمل ما فى النظم على الأول ، فلا إشكال ، وإن حمل على الثانى ، فَصرْفُه وحذف المضاف إليه ؛ لضرورة النظم . وقوله (مما يجب) أى : من الذى يجب ، فما اسم موصول ، ومن تبعيضية ، وهو صفة لأ ولاً على الاستعمال الأول ، وللمضاف إليه المحذوف على الاستعمال الثانى .

والأصل : أن أول شىء مما يجب ، وقوله (معرفة) خبر أن ، والتنوين فيه للتعظيم ، وهو عوض عن المضاف إليه ، والأصل معرفة الله .

والمراد : معرفة صفاته وسائر أحكام ألوهيته لا معرفة ذاته ، وكنه حقيقته إذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته إلا هو ، وفى الحديث :

(تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة) .

---

(١) وهو بتمامه :

فكـل من كلف شرعـا وجبـا * عليـه أن يعـرف ما قد وجبـا

وفى الحديث أيضًا :

(إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار) .

وبالجملة : لا يعرف الله إلا الله ، فترك الإدراك إدراك ، والبحث عن ذات الله إشراك .

أول الواجبات على المكلف :

قوله (وفيه خلف منتصب) أى : وفى أول ما يجب خلاف قائم بين الأئمة السنيين وغيرهم ، ودفع الناظم بذلك توهُّم الاتفاق على الحكم السابق فى قوله (واجزم بأن أولاً الخ) ، وجعل الخلاف فى الأولية لا فى الوجوب ؛ لأنه لم يقع خلاف بين المسلمين فى وجوب المعرفة ، ووجوب النظر الموصل إليها .

كذا قال الشارح لكن قد سبق قول بحرمة النظر ، وقول بأنه شرط كمال ، وكأنه ناظر لما جرى عليه فيما تقدم من تخصيص الخلاف بغير معرفة الله تعالى وغير النظر الموصل إليه ، وقد تقدم ما فيه .

ويحتمل أنه لم يعتد بالخلاف بناء على ما أنشده السيوطى فى الإتقان :

وليس كل خلاف جاء معتبرًا * إلا خلاف له حظ من النظر

وجملة الأقوال فى أول الواجبات اثنا عشر قولاً :

أولها : ما قاله الأشعرى إمام هذا الفنّ أنه المعرفة .

وثانيها : ما قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني أنه النظر الموصل للمعرفة ويعزى للأشعرى أيضًا .

وثالثها : ما قاله القاضى الباقلانى أنه أول النظر ، أى : المقدمة الأولى منه نحو قولك : العالم حادث وكل حادث لابد له من مُحدِث ، فمجموع المقدمتين هو النظر ، والمقدمة الأولى هى أول النظر .

ورابعها : ما قاله إمام الحرمين أنه القصد إلى النظر أى : تفريغ القلب عن الشواغل ، وعزى للقاضى أيضًا .

وخامسها : ما قاله بعضهم : إنه التقليد .

وسادسها : أنه النطق بالشهادتين .

وسابعها : ما قاله أبو هاشم فى طائفة من المعتزلة وغيره أنه الشك ، ورد بأنه مطلوب زواله ؛ لأن الشك فى شىء من العقائد كفر ، فلا يكون مطلوبًا حصوله ، ولعلهم أرادوا ترديد الكفر ، فيئول إلى النظر .

وثامنها : أنه الإيمان .

وتاسعها : أنه الإسلام . وهذان القولان مردودان ؛ لاحتياج كل من الإيمان والإسلام للمعرفة .

وعاشرها : اعتقاد وجوب النظر .

وحادى عشرها : أنه وظيفة الوقت ، كصلاة ضاق وقتها فتقدم .

وثانى عشرها : أنه المعرفة أو التقليد أى : أحدهما لا بعينه ، فيكون مخيرًا بينهما .

والأصح : أن أول واجب ـ مقصدًا ـ المعرفة ، وأول واجب وسيلة قريبة النظر ، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر .

وبهذا يجمع بين الأقوال الثلاثة .

ويدخل فى قوله : ﴿ فاعلَمْ أَنَّهُ لاَ إلهَ إلاَّ الله ﴾ [محمد : ١٩] .

الواجب فى حق الله تعالى إجمالاً وتفصيلاً ، والمستحيل فى حقه تعالى إجمالاً وتفصيلاً :

فيجب فى حقه ـ تعالى ـ إجمالاً كل كمال ، ويستحيل عليه ـ تعالى ـ إجمالاً كل نقص .

ويجب فى حقه ـ تعالى ـ تفصيلاً : عشرون صفة ، ويستحيل فى حقه ـ تعالى ـ تفصيلاً عشرون صفة ، والجائز فى حقه ـ تعالى ـ واحد .

فهذه إحدى وأربعون صفة .

والواجب فى حق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أربعة ، والمستحيل أربعة ، والجائز واحد . فهذه تسع تضاف إلى إحدى وأربعين ، فيكون العدد خمسين صفة وهى :

الوجود ، والقدم ، والبقاء ، ومخالفته ـ تعالى ـ للحوادث ، وقيامه بنفسه ، والوحدانية .

الأولى نفسية ، والخمسة بعدها سلبية .

والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام وهذه السبعة تسمى صفات المعانى .

وكونه ـ تعالى ـ قادرًا ، ومريدًا ، وعالمًا ، وحيًا ، وسميعًا ، وبصيرًا ، ومتكلمًا .

وهذه السبعة تُسمى المعنوية .

فهذه العشرون واجبة فى حقه ـ تعالى ـ ، ويستحيل ضدها عشرون صفة وهى : العدم ، والحدوث ، والفناء ، ومماثلته ـ تعالى ـ للحوادث ، والاحتياج إلى المحل والمخصِّص ، والتعدد فى الذات والصفات والأفعال ، والعجز ، والكراهية ، والجهل ، والموت ، والصمم ، والعمى ، والبكم ، وكونه ـ تعالى ـ عاجزًا ، ومكرها ، وجاهلا ، وميتًا ، وأصم ، وأعمى ، وأبكم .

والجائز فى حق الله ـ تعالى ـ فِعْل كل ممكن أو تركه .

والواجب فى حق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : الصدق ، والتبليغ ، والفطانة ، والأمانة .

والمستحيل فى حق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : الكذب ، والخيانة ، والكتمان ، والبلادة .

ويجوز فى حقهم الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى مراتبهم

العلية . وهذه الخمسون عقيدة تندرج تحت قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كما قال الناظم :

وجـامـع معـنـى الـذى تقـررا * شهـادتـا الإسـلام فاطـرح المِرَا

(قوله : وجامع الخ) : لما فصل ما يجب لله ، وما يستحيل ، وما يجوز ، وما يجب للرسل وما يستحيل وما يجوز ، ذكر ما يتضمن ذلك : (وجامع) : مبتدأ ؛ لاعتماده على موصوف محذوف ، والتقدير : وشيء جامع ، و (شهادتا الإسلام) : فاعل سدَّ مسدّ الخبر .

وقوله (معنى الذى تقررا) بألف الإطلاق أى : معنى هو الذى تقرر فى ذهن السامع ، فالإضافة للبيان ، ويصح أن تكون الإضافة حقيقية ، أى : معنى ما تقرر من الألفاظ فى موضعه المخصوص من الكتاب ، وعلى كل فذلك المعنى هو جميع العقائد الإيمانية ، مما يرجع إلى الألوهية والنبوة وجوبًا ، وجوازًا ، واستحالة . والمعنى : ما يُعْنى من اللفظ ، ويُسَمَّى : مفهومًا باعتبار كونه يُفهم منه ، ومدلولاً باعتبار كون اللفظ يدل عليه .

وقوله (شهادتا الإسلام) أى : الشهادتان الدالتان على الإسلام الذى هو الانقياد الظاهرى كما تقدم ، فالاضافة فى كلامه من إضافة الدال للمدلول ، أو اللتان هما سبب فى الإسلام ، فالاضافة فى كلامه من إضافة السبب للمسبب أو اللتان هما الجزء الأعظم من مسمى الإسلام ؛ بناء على أنه الهيئة المركبة من الأركان الخمسة المذكورة فى حديث (**بنى الإسلام على خمس**) .

فالإضافة فى كلامه من إضافة الجزء للكل ، والجامع لما تقدم من العقائد إنما هو معنى الشهادتين لالفظهما .

فكلام المصنف على حذف مضاف أى : معنى شهادتى الإسلام ، كما أشار إليه الشارح .

ومعنى جمعه لها : استلزامه لها ؛ لأن الملزوم يصح وصفه بجمعه للوازمه بالنظر لدلالته عليها .

وقوله (فاطرح المرا) تكملة أى : إذا علمت أن كلمتى الشهادتين جمعتا جميع ما تقرر من العقائد الإيمانية ، فاتْرُك الجدال فى صحة جمعهما لما ذكر .

وبيان ما ذكره أن الجملة الأولى نفت الألوهية عن غيره ـ تعالى ـ وأثبتتها له ، وحقيقة الألوهية العبادة بحق ، ويلزم منها استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه ، فحقيقة الإله المعبود بحق ، ويلزم منه أنه مستغنٍ عن كل ما سواه ، ومفتقر إليه كل ما عداه .

فمعنى (لا إله إلا الله) الحقيقى : لا معبود بحق فى الواقع إلا الله .

ومعناها بطريق اللزوم ، لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله .

فتفسير الشيخ السنوسى الذى ذكره فى الصغرى باللازم لا بالحقيقة ، وإنما اختاره ؛ لكون استلزامه للعقائد المتقدمة أظهر من استلزام المعنى الحقيقى لها .

فإن علمت ذلك فاعلم أن الاستغناء يستلزم وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث ، وقيامه بنفسه ، وتنزهه عن النقائص ، ويدخل فى ذلك السمع والبصر والكلام ولوازمها ، وهو كونه سميعًا وبصيرًا ومتكلمًا بناء على القول بالأحوال ؛ إذ لو لم تجب له هذه الصفات ، لكان محتاجًا إلى المحدث ، أو المحل ، أو من يدفع عنه النقائص . فهذه إحدى عشرة عقيدة من الواجبات . وإذا وجبت هذه الصفات استحالت أضدادها ، فهذه إحدى عشرة عقيدة من المستحيلات ، ويستلزم أيضًا نفى وجوب فعل شىء من الممكنات أو تركه وإلَّا لزم افتقاره إلى فعل ذلك الشىء أو تركه ليتكمل به ، فهذه عقيدة الجائز ، فجملة ما استلزمه الاستغناء ثلاث وعشرون عقيدة ، وأما الأفتقار [1] فيستلزم الحياة والقدرة والإرادة والعلم ولوازمها ، وهى كونه حيًّا وقادرًا ومريدًا وعالمًا . بناء على القول بالأحوال ، ويستلزم ـ أيضًا ـ الوحدانية .

فهذه تسعة من العقائد الواجبات ، ومتى وجبت هذه الصفات استحالت أضدادها ، فهذه تسعة من العقائد المستحيلات .

---

(١) أى : افتقار ما عداه إليه سبحانه .

فجملة ما استلزمه الافتقار ثمانى عشرة عقيدة ، فإذا ضمت للثلاثة والعشرين السابقة كان المجموع واحدًا وأربعين الواجب له ـ تعالى ـ منها عشرون ، والمستحيل عليه عشرون ، والجائز عليه واحد ، فقد اشتملت الجملة الأولى على أقسام الحكم العقلى الثلاثة الراجعة له ـ تعالى ـ ، والجملة الثانية فيها الإقرار برسالته ـ ﷺ ـ ، ويلزم منه تصديقه فى كل ما جاء به ، ويندرج فيه وجوب صدق الرسل ، وأمانتهم ، وفطانتهم ، وتبليغهم لما أمروا بتبليغه للخلق . ويندرج فيه أيضا استحالة الكذب والخيانة والغفلة والكتمان عليهم .

ويندرج فيه أيضًا جواز جميع الأعراض البشرية التى تؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية ، وهذه جملة الأقسام الثلاثة المتعلقة بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

فقد بان لك تضمُّن كلمتى الشهادة لجميع العقائد المتقدمة ، ولعلهما لهذه المعانى مع اختصارهما جعلهما الشارع ترجمة عما فى القلب من الإيمان ، ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بهما مع القدرة عليهما ، وقد نصّ العلماء على أنه لابد من فهم معناهما ولو إجمالاً ، وإلا لم ينتفع الناطق بهما .

وقال بعضهم : الأوسع للذاكر أن يلاحظ أخذهما من القرآن ؛ ليثاب عليهما مطلقًا .

كيفية التلفظ بكلمة التوحيد

وقد اختلف العلماء هل الأفضل المدّ أم القصر : فمنهم من اختار المدّ ؛ ليستشعر المتلفظ بهما نفى الألوهية عن كل موجود سواه تعالى .

ومنهم من اختار القصر ؛ لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى .

وفصّل بعضهم بين أن يكون أول كلامه بهما فيقصر ، وإلا فيمدّ .

وأما حذف ألف (الله) ، فهو لحن لا يصح معه ذكر ، ولا ينعقد معه يمين .

واعلم أن النفى منصب على المعبود بحق فى الواقع ، فالمعنى انتفى المعبود بحق فى الواقع إلا الله ، كما يصح جعله منصبًا على ما فى ذهن المؤمن ؛ لأنه يتصوَّر أفراد المعبود بحق على سبيل الفرض ، ثم يحكم عليها بالنفى إلا الله لكن لا يحصل الرد على الكفار إلا باعتبار الواقع ، ولا يصح أن يكون مُنْصَبًا على ما فى ذهن الكافر ؛ لأن ما فى ذهنه من الأصنام ثابت لا يصح نفيه .

والتحقيق أن الكلمة المشرَّفة [1] من قبيل عموم السلب أى : السلب العام لجميع أفراد الإله ما عدا المستثنى ؛ لأنه يجب على المتكلم بهذه الكلمة أن يلاحظ أن الحكم بالنفى منصب على جميع أفراد الإله غير المستثنى ؛ لأنه لو جعله شاملاً للمستثنى لكفر ، فقوله (إلا الله) قرينة على ما أراده أولاً ، لكن جَعْلُهَا من عموم السلب مع أنه إذا دخلت أداة النفى على لفظ العموم كان الكلام من سلب العموم ، كما فى قولهم : لم آخذ كل الدراهم . فإن الحق أنها قاعدة أغلبية ، ولا يصح أن تكون الكلمة المشرفة على سلب العموم على القاعدة ؛ لأنه حينئذ لا تفيد التوحيد .

وقول بعضهم : إنها من سلب العموم محمول على أنها سلبت عموم الألوهية لغير المستثنى ، وقصرتها على المستثنى لكن لا يفيد ذلك جوهر الكلمة المشرفة .

---

(١) وهى : (لا إله إلا الله) .

رسالة الشيخ محمد عليش
فى
علم التوحيد

قد استخرت الله ـ تعالى ـ فى نقل الرسالة التى تسمى تقريب العقائد السنية بالأدلة القرآنية لفضيلة الشيخ محمد عليش شيخ السادة المالكية بالجامع الأزهر الشريف ـ رحمه الله ـ لكونها رسالة مختصرة فى علم التوحيد ، وقد أقام الأدلة على كل ما ذكره من الآيات القرآنية .

وحينما جئت الأزهر استقبلنى منامًا وأرشدنى إلى ما فيه الفتوح والحمد لله ، وقد حصل لى من فتح الله ـ تعالى ـ ما أشكر الله ـ تعالى ـ عليه على الدوام فلذلك أحبه كثيرًا وأشكره بصالح الدعاء له .

وإن بعض الإخوان يقولون : قد حصل بينه وبين الشيخ ابن السنوسى ـ رضى الله عنه ـ شىء بسبب وشاية الواشين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه .

وكان فى نفسى شىء من ذلك الذى حصل ، وكنت محتارًا فى الأمر حتى قابلنى رجل بليبيا بمدينة طرابلس وأخبرنى بأنه عنده الرسالة التى أرسلها الشيخ محمد عليش ـ رحمه الله ـ إلى الشيخ سيدى ابن السنوسى ـ رضى الله عنه ـ يعتذر له فيها ويخبره بأنه بلغه شىء فغضب من أجله .

ولما تبين له الحق استسمح الأستاذ الشيخ سيدى ابن السنوسى ـ رضى الله عنه ـ .

وعند ما سمعت ذلك فرح قلبى كثيرًا ؛ لأن هذا الخبر وافق ما فى قلبى لأنه بينى وبين الشيخ محمد عليش سر لا يعلمه إلا الله .

وأنا أكتب هذه الكلمات حضر بجوارى رجل ليبى من أهل علم وقرآن ، وقال لى : بلغنى أن الشيخ عليش ـ رحمه الله ـ ألف رسالة يثنى فيها على سيدى الشيخ ابن السنوسى ـ رضى الله عنه ـ وأقر فيها بعلمه وفضله . وفى عزمى ـ إن شاء الله ـ البحث عنها حتى تطبع ويقرأها الناس جميعًا .

وهذه هى الرسالة التوحيدية التى جمعها الشيخ عليش ـ رحمه الله ـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين .

أمـــا بعـــد

فيجب على كل من بلغ عاقلًا سواء كان ذكرًا أو أنثى ، وسواء كان حرًّا أو رقيقًا أن يعرف الصفات الواجبة لله ـ تعالى ـ . والصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ والصفات الجائزة عليه ـ تعالى ـ .

وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والصفات المستحيلة عليهم . والصفات الجائزة عليهم .

وأن يعرف ما أخبر به الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أحوال الموت والقبر وما بعدهما .

ومن لم يعرف ذلك فليس بمسلم ويخلد فى نار جهنم .

والمعرفة معناها الإدراك الجازم الموافق للواقع عن دليل .

والواجب معناه : ما لا يصدق العقل بعدمه ، والمستحيل معناه : مالا يصدق العقل بوجوده ، والجائز معناه : ما يصدق العقل بوجوده وبعدمه .

« **أمثلة الواجب** » كون الجسم مالئًا قدره من الفراغ ، وكونه متحركًا أو ساكنًا ، وكونه متلونًا بلون من الألوان ، وكونه صغيرًا أو كبيرًا ، وكونه حارًّا أو باردًا ، وكونه طويلًا أو قصيرًا ، وكونه ناعمًا أو خشنًا ، وكونه حيوانًا أو جمادا .

فإن هذه الأكوان كلها لا يصدق العقل بعدمها عن الجسم فهى واجبة له .

« **أمثلة المستحيل** » كون الجسم متحركًا ساكنًا فى وقت واحد ، وكونه أبيض

أسود ، أو أخضر أحمر مثلاً فى وقت واحد ، وكونه حارًا باردًا فى وقت واحد ، وكونه طويلاً قصيرًا فى وقت واحد ، وكونه ناعماً خشنًا فى وقت واحد ، وكونه حيوانًا جمادًا فى وقت واحد .

فإن هذه الأكوان كلها لا يصدق العقل بوجودها للجسم فهى مستحيلة عليه .

« **أمثلة الجائز** » كون الجسم متحركًا فى وقت أو ساكنًا فى وقت آخر ، وكونه متلونًا بلون خاص كالبياض فى وقت أو بلون غيره كالسواد فى وقت آخر ، وكونه صغيرًا فى وقت أو كبيرًا فى وقت آخر ، وكونه حارًا فى وقت أو باردًا فى وقت آخر ، وكونه طويلًا فى وقت أو قصيرًا فى وقت آخر . وكونه حيًا فى وقت أو ميتًا فى وقت آخر .

فإن هذه الأكوان كلها يصدق العقل بوجودها وعدمها فهى جائزة للجسم .

الصفات الواجبة فى حق الله

والصفات الواجبة لله ـ تعالى ـ بالأدلة المفصلة ثلاث عشرة صفة :

صفة الوجود .

الصفة الأولى : (الوجود) . فهو واجب لله ـ تعالى ـ لا يصدق العقل بعدمه .

ودليل وجوده ـ تعالى ـ خلقه السموات وما فيها من الكواكب والملائكة ، وخلقه الأرض وما فيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحور والأنهار والحيوانات والجمادات .

قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ** ﴾ [الزمر : ٦٢] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **الحَمْدُ للهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ [الأنعام : ١] وقال جل ذكره : ﴿ **الحمدُ للهِ فاطِرِ السَّمٰواتِ والأرض** ﴾ [فاطر : ١] ومعنى

فاطر : خالق ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ سبِّح اسمَ رَبِّكَ الأعْلى . الَذى خلق فَسَوَّى ﴾ [الأعلى : ١ ، ٢] أى : خلق كل شىء فسوى خلقه .

وقال تعالى : ﴿ اقرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذى خَلَقَ ، خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١ ، ٢] وقال تعالى : ﴿ وخلقَ كُلَّ شَىْءٍ فقدَّرَهُ تَقْديراً ﴾ [الفرقان : ٢] .

ومن المعلوم ببداهة العقل أن الخالق لا يصدق العقل بعدمه فيجب له الوجود .

هذا هو الدليل العقلى ، وأما الدليل السمعى فأكثر من أن يحصر ، منه البسملة ، وهى قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمنِ الرحيمِ ﴾ لأن معناها أتبرك باسم الذات الواجب الوجود الموصوف بجميع الكمالات ، المنزه عن جميع نقائص الصفات ، المنعم بجلائل النعم ودقائقها .

ومنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين * الرحمنِ الرحيمِ ﴾ [الفاتحة : ١ ، ٢] إلى آخر السورة ؛ لأن الحمد والربوبية والإنعام بالنعم الجليلة والنعم الدقيقة ، وملك يوم الدين ، والخطاب والعبادة ، والاستعانة ، والهداية والإنعام ، والغضب والإضلال . لا تمكن من المعدوم .

صفة القدم :

الصفة الثانية من صفاته ـ تعالى ـ الواجبة له ـ تعالى ـ التى لا يصدق العقل بعدمها فى حقه ـ تعالى ـ : (القدم) ومعناه : أنه لا ابتداء لوجوده ـ تعالى ـ وأنه لم يسبقه عدم .

ودليله قوله تعالى : ﴿ هو الأولُ ﴾ [الحديد : ٣] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولم يولَد ﴾ [الإخلاص : ٣] إذ المعنى : أنه غنى عن الموجد والمؤثر .

وقوله تعالى : ﴿ الله خالقُ كلِّ شىء ﴾ [الزمر : ٦٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وخلق كلَّ شىء ﴾ [الفرقان : ٢] إذ معناهما : أن كل شىء غير الله مخلوق لله ، فلا يجوز أن يكون شىء غير الله خالقًا لله ؛ لأنه دور وهو مستحيل .

. وأنه لو انتفى عنه ـ تعالى ـ القدم لثبت الحدوث له ـ تعالى ـ ؛ لأن الموجود إما قديم وإما حادث لا غير ، ولو كان ـ تعالى ـ حادثًا لزم احتياجه لمحدِث ، ومحدثه إما قديم وإما حادث ـ أيضًا ـ فإن كان قديماً فهو الإله الخالق لكل شيء ، لا المخلوق ، وإن كان حادثًا احتاج إلى محدث أيضًا ويقال فى محدثه مثل ما قيل فيه ، وهكذا فيمن يُفْرضُ بعدُه . ثمَ إن استمرت سلسلة المحدثين إلى غير نهاية لزم التسلسل وهو محال ، وإن فرض أن الأخير أحدثه الأول لزم الدور وهو محال ـ أيضًا ـ فالملزوم المؤدى إليهما وهو احتياجه ـ تعالى ـ لمحدث محال ، فملزومه وهو حدوثه ـ تعالى ـ محال ، فوجب له ـ تعالى ـ القدم .

صفة البقاء :

الصفة الثالثة من الصفات الواجبة له ـ تعالى ـ : (البقاء) ومعناه : أنه لا انتهاء لوجوده ـ تعالى ـ وأنه لا يلحقه عدم ، ودليله قوله تعالى : ﴿ . . . والآخرُ ﴾ [الحديد : ٣] وقوله ـ تعالى ـ ﴿ ولله ميراثُ السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٨٠] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ألا إلى الله تَصيرُ الأمورُ ﴾ [الشورى : ٥٣] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ثُمَّ اللهُ يُنشىء النَّشْأَةَ الآخِرةَ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إليه مرجعُكُمْ جميعًا ﴾ [يونس : ٤] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ كُلُّ شيء هالكٌ إلا وجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ويبقى وجهُ ربِّكَ ذُو الجلالِ والإكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما عند الله باق ﴾ [النحل : ٩٦] .

وأن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه ووجب بقاؤه .

مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث .

الصفة الرابعة من الصفات الواجبة له ـ تعالى ـ : (مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث فى الذات والصفات والأفعال) ومعناها : عدم مماثلته لشىء منها فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال .

ودليلها قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ليس كمثلِهِ شَيء ﴾ [الشورى : ١١] .

وأنه لو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثلها ، وقد علم مما سبق استحالة الحدوث عليه ـ تعالى ـ ووجوب القدم له ـ تعالى ـ وملزوم المحال محال ، فالمماثلة مستحيلة عليه ـ تعالى ـ وإذا كانت المماثلة محالة عليه ـ تعالى ـ وجبت له المخالفة للحوادث إذ لا واسطة بينهما .

قيامه ـ تعالى ـ بنفسه :

الصفة الخامسة من صفاته ـ تعالى ـ الواجبة له : (قيامه ـ تعالى ـ بنفسه) ومعناها : أنه موجود بلا موجد وأنه غنى عن كل شيء ، وأنه ذات متصفة بصفات الكمال ومنزهة عن صفات النقص ، ودليله قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل هو اللهُ أحدٌ * اللهُ الصَّمدُ * لم يلِدْ ولم يُولَدْ * ولم يكن له كُفُواً أحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ليس كمثله شيْء ﴾ [الشورى : ١١] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فاعلم أنه لا إلَهَ إلا الله ﴾ [محمد : ١٩] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ الله خالقُ كلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ الله لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيومُ لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ له ما فى السَّمٰواتِ وما فى الأرضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وهو العليُّ العظيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وأنه لو احتاج فى وجوده إلى شيء لكان حادثًا ، وقد علم مما سبق استحالة الحدوث عليه ـ تعالى ـ فاحتياجه محال أيضًا فوجب استغناؤه عن كل شيء ، وأنه لو كان صفة للزم أن لا يتصف بشيء من صفات المعانى كالحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام مع أن اتصافه بها واجب لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ الله لا إلٰه إلا هو الحيُّ القيومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ﴾ [البقرة : ٥٩] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فعَّالٌ لما يريدُ ﴾ [البروج : ١٦] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ [الحديد : ٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو السَّميعُ البصيرُ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكلَّم اللهُ موسى تكْليماً ﴾ [النساء : ١٦٤] .

فعدم اتصافه بها محال ، فملزومه وهو كونه صفه محال فوجب كونه ذاتًا غنيًا عن المحل .

صفة الوحدانية :

الصفة السادسة من صفاته ـ تعالى ـ الواجبة له ـ تعالى ـ : الوحدانية ومعناها : أن ذاته ـ تعالى ـ ليست مركبة من جزءين ولا أكثر ، وأنها لا مثل لها ، وأن صفاته لا مثل لها ، فليس لموصوف حياة كحياته ـ تعالى ـ ولا علم كعلمه ـ تعالى ـ ولا إرادة كإرادته ـ تعالى ـ ولا قدرة كقدرته ـ تعالى ـ ولا سمع كسمعه ـ تعالى ـ ولا بصر كبصره تعالى ، ولا كلام ككلامه ـ تعالى ـ ، وأن حياته ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن علمه ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن إرادته ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن قدرته ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن سمعه ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن بصره ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن كلامه ـ تعالى ـ صفة واحدة ، وأن الأفعال كلها : خيرها وشرها ، اختياريها واضطراريها خالقها وفاعلها الله وحده بلا شريك ولا معين .

ودليلها قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] وقوله ـ تعالى ـ ﴿ واللهُ خلَقكم ومَا تعمَلُون ﴾ [الصافات : ٩٦] وقوله تعالى : ﴿ هلْ مِنْ خالقٍ غيرُ الله ﴾ [فاطر : ٣] .

صفة الحياة :

الصفة السابعة من صفاته ـ تعالى ـ الواجبة له ـ تعالى ـ : (الحياة) :

ومعناها : صفة تصحح لموصوفها العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام .

وحياته ـ تعالى ـ قديمة بلا ابتداء ، باقية بلا انتهاء ليست بروح ، ودليله قوله تعالى : ﴿ اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقوله تعالى : ﴿ الم * الله لا إلَهَ إلا هو الحيُّ القيومُ ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] وقوله تعالى :

﴿ وَعَنَتِ الوجُوهُ للحيِّ القيُّومِ ﴾ [طه : ١١١] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ اللهُ خالِقُ كلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] فإن الخالق لا يكون إلا حيًا ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وربُّكَ يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ ﴾ [القصص : ١٨] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ عالمُ الغيْبِ والشهادةِ ﴾ [الحشر : ٢٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يعلمُ ما بين أيديهِمْ وما خَلْفَهُم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ [الحديد : ٢] .

فإن المختار العالم القادر لا يكون إلَّا حيًا ، فإن الحياة شرط فى الاتصاف بهذه الصفات .

صفة العلم :

الصفة الثامنة من الصفات الواجبة لله ـ تعالى ـ : (العلم) ومعناه : صفة ينكشف ويتضح ويتبين بها كل موجود سواء كان واجبا أو جائزا ، وكل معدوم سواء كان مستحيلاً أو ممكنًا .

ودليله قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يعلمُ ما بين أيديهمْ وما خلفَهُم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقوله ـ تعالى ـ ﴿ عالمُ الغيبِ والشَّهادَة ﴾ [الحشر : ٢٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو بكلِّ شيءٍ عَليمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وأنه لو لم يكن عالمًا لكان جاهلاً ، ولو كان جاهلا ولكان حادثًا وحدوثه محال لما سبق ، فجهله محال ، فعلمه واجب .

صفة الإرادة :

الصفة التاسعة من الصفات الواجبة لله ـ تعالى ـ الإرادة ومعناها : صفة تخصص الممكن وهو الجائز الذى يصدق العقل بوجوده وعدمه ببعض ما يجوز عليه كتخصيصه بالوجود فى زمان مخصوص دون غيره من الأزمنة ، وفى مكان

خاص دون غيره من الأمكنة ، وبلون خاص دون غيره من الألوان ، وبقدر خاص دون غيره من المقادير ، وبالحرارة دون البرودة ، وبالرطوبة دون اليبوسة ، وبالنسبة إلى أصل خاص دون غيره من الأصول ، وبجهة خاصة دون غيرها من الجهات .

ودليلها قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وربُّك يخلُقُ ما يَشَاءُ ويختَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما تَشاءُون إلاَّ أن يشاءَ الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إنما أمرُهُ إذا أراد شيْئًا أن يقولَ له كن فيكُون ﴾ [يس : ٨٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فعَّالٌ لما يريدُ ﴾ [البروج : ١٦] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فمن يُرِدِ اللهُ أن يهدِيَهُ يشرحْ صدرَه للإسلامِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فأراد ربُّك أن يبلُغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزَهما ﴾ [الكهف : ٨٢] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

صفة القدرة :

الصفة العاشرة من الصفات الواجبة لله ـ تعالى ـ : (القدرة) ومعناها : صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه .

ودليلها : خلقه السموات وما فيها ، والأرض وما فيها ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ [الملك : ١] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً ﴾ [الكهف : ٤٥] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكان ربُّك قديرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .

صفة السمع :

الصفة الحادية عشرة من الصفات الواجبة لله ـ تعالى ـ : (السمع) ، ومعناه : صفة ينكشف بها كل موجود سواء كان واجبًا أو ممكنًا ، وسواء كان صوتًا أو لونًا أو ذاتًا أو غيرها .

وليس سمعه ـ تعالى ـ بأذن ولا صماخ ، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء .

صفة البصر :

الصفة الثانية عشرة : (البصر) ومعناه : صفة ينكشف بها كل موجود انكشافًا غير انكشافه بالسمع ، سواء كان واجبًا أو حادثًا ، وسواء كان الحادث جسماً أو لونًا أو صوتًا أو غيرها .

وليس بصره ـ تعالى ـ بحدقة ولا عين ولا ننى ولا غيرها من الآلات .

ودليل السمع والبصر قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وهو السميعُ البصيرُ** ﴾ [الشورى : ١١] .

صفة الكلام :

الصفة الثالثة عشرة : (الكلام) ومعناه : صفة دالة على كل موجود ، سواء كان واجبًا أو جائزًا ، وعلى كل معدوم سواء كان محالاً أو جائزًا .

وكلامه ـ تعالى ـ قديم باق ليس بحرف ولا صوت ولا جهر ولا سر ولا عربية ولا عجمية ولا إعراب ولا لحن ولا تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ولا تنكيس ولا وقف ولا سكوت ، ولا وصل ولا فصل ولا ابتداء له ولا انتهاء له .

ودليله : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وكلّم اللهُ موسى تكليماً** ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وهو غير القرآن المنزل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وغير التوراة المنزلة على موسى ـ عليه الصلاةوالسلام ـ وغير الإنجيل المنزل على عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وغير باقى الكتب المنزلة على الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فإنها بحروف وأصوات وترتيب خاص ، وعربية أو عجمية ولها أول وآخر ، ويتعلق الجهر والإسرار بها والإعراب واللحن ، وغير ذلك ، وهى دالة على بعض ما دل عليه الكلام القديم .

والصفة السابعة التى هى الحياة وما بعدها كلها موجودة تمكن رؤيتها بلا تكيف ولا انحصار . وكلها قديمة باقية لا ابتداء لها ولا انتهاء لها ، ولا مثل لها ، لا لله ـ تعالى ـ ولا لغيره . فالوحدانية واجبة لها [1] كوجوبها لذات الله ـ تعالى ـ .

فهـذه الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله ـ تعالى ـ التى لا يصدق العقل بعدم شىء منها ، التى دلت عليها الأدلة المفصلة كما علمته فيما سبق .

وبعد معرفتها يجب أن تعرف أن الله ـ تعالى ـ متصف بصفات كمالية موجودة لا نهاية لها ، علم أنها لا نهاية لها ، ودل على مجموعها دليل واحد ، وهو وجوب كل كمال لله ـ تعالى ـ ؛ إذ لو انتفى عنه ـ تعالى ـ شىء من الكمال لكان ناقصًا ، والنقص محال عليه لاستلزامه الحدوث المحال عليه ـ تعالى ـ كما سبق بيانه .

الصفات المستحيلة فى حق الله ـ تعالى ـ

بالأدلة التفصيلية ثلاث عشرة صفة مقابلة للصفات الثلاث عشرة الواجبة له ـ تعالى ـ .

الصفة الأولى من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ :

(العدم) وهو مقابل الوجود :

ودليل استحالته عليه هو دليل وجوب الوجود له ـ تعالى ـ وقد تقدم بيانه .

الصفة الثانية من الصفات المستحيلة على الله ـ تعالى ـ :

(الحدوث) وهو مقابل للقدم :

ومعنى الحدوث : الوجود بعد العدم .

---

(١) أى : للصفات المتقدم ذكرها .

ودليل استحالته عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب القدم له ـ تعالى ـ وقد تقدم بيانه .

الصفة الثالثة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ

(طُرُوُّ العدم والفناء وانقطاع الوجود وتبدله بالعدم)

وهو مقابل للبقاء ، ودليل استحالته عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب البقاء له ـ تعالى ـ المتقدم بيانه .

الصفة الرابعة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ

(مماثلته ـ تعالى ـ للحوادث)

فى الذات : بأن يكون جسماً مركبًا أو حالاً فى مكان ، أو مخصوصًا بزمان ، أو موصوفًا بالكبر أو بالصغر ، أو يكون له نظير وشبيه من الذوات الحادثة ، وفى الصفات بأن تكون حياته كحياة الحوادث ، وعلمه كعلمهم ، وإرادته كإرادتهم ، وقدرته كقدرتهم ، وسمعه كسمعهم ، وبصره كبصرهم ، وكلامه ككلامهم .

وفى الأفعال بأن لا يكون مؤثرًا فى شىء وإنما له مجرد الكسب ـ تعالى الله عن ذلك كله علوًا كبيرًا ـ .

وهذه الصفة مقابلة لصفة مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث الواجبة له ـ تعالى ـ ودليل استحالة مماثلته ـ تعالى ـ للحوادث هو دليل وجوب مخالفته ـ تعالى ـ لها ، وقد تقدم بيانه .

الصفة الخامسة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ :

(احتياجه ـ تعالى ـ لموجد يوجده ، وكونه ـ تعالى ـ صفة محتاجة لموصوف يتصف بها)

وهذه الصفة مقابلة لصفة : قيامه ـ تعالى ـ بنفسه الواجبة له ـ تعالى ـ .

ودليل استحالة احتياجه ـ تعالى ـ لموجد أو موصوف هو دليل وجوب قيامه ـ تعالى ـ بنفسه .

الصفة السادسة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ :

(كونه مركب الذات بحيث يقبل الانقسام طولاً أو عرضًا أو عمقًا ووجود ذاتٍ نظير ذاته ـ تعالى ـ)

وتعدد حياته : بأن يكون له حياتان فأكثر ، وتعدد علمه : بأن يكون له علمان أو أكثر ، وتعدد إرادته . بأن يكون له إرادتان أو أكثر ، وتعدد قدرته : بأن يكون له قدرتان أو أكثر ، وتعدد سمعه : بأن يكون له سمعان أو أكثر ، وتعدد بصره : بأن يكون له بصران أو أكثر ، وتعدد كلامه : بأن يكون له كلامان قديمان ذاتيان فأكثر ، ووجود نظير هذه الصفات لغيره ـ تعالى ـ .

وتأثير شيء غيره ـ تعالى ـ في شيء من الأشياء بطبعه أو بقوة مجعولة فيه مستقلاً عنه ـ تعالى ـ أو معينًا ومساعدًا له ـ تعالى ـ ، فليست النار محرقة بطبعها ولا بقوة مخلوقة فيها ، وإنما الخالق للإحراق الله ـ تعالى ـ عند خلقه النار ، ولو شاء خلق النار ولم يخلق الإحراق ، كما فعل ذلك بخليله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولو شاء خلق الإحراق ولم يخلق النار ، كما شوهد كثيرًا خرقًا للعادة .

وليس الماء البارد مرويًا بطبعه ولا بقوة مخلوقة فيه وإنما الخالق للرى الله ـ تعالى ـ عند شرب الماء لا به ، وإن شاء الله ـ تعالى ـ خلق الرى بلا ماء ، وإن شاء خلق العطش الشديد مع شرب الماء البارد كما يشاهد في المريض .

وليس الملبوس ساترًا ودافعًا للبرد أو للحر بنفسه ولا بقوة مخلوقة فيه ، بل الخالق للستر والدفء والبرودة هو الله ـ تعالى ـ عند لبس الملبوس لا به ، ولو شاء خلق الستر والدفء والبرودة بلا ملبوس ، أو خلق الملبوس بلا ستر ولا دفء ولا برودة .

والطعام ليس مشبعًا بطبعه ولا بقوة مخلوقة فيه ، بل المشبع هو الله ـ تعالى ـ

عنده لا به ، وإن شاء خلق الشبع بدون أكل الطعام ، أو خلق الجوع الشديد مع كثرة الأكل .

وليست السكين قاطعة بذاتها ولا بقوة مخلوقة فيها ، بل الله ـ تعالى ـ خلق القطع عندها لا بها ، ولو شاء خلقها ولم يخلق القطع عندها ، أو خلق القطع بدونها .

والحيطان والعواميد ليست حاملة للسقف المبنى عليها بذاتها ولا بقوة مخلوقة فيها ، وإنما الله ـ تعالى ـ هو الحامل له عندها لا بها ، ولو شاء حمله بدونها ، كما حمل السماء بلا شيء .

وليست الأرض حاملة للجبال والحيوانات والأشجار وباقى ما هو عليها لا بذاتها ولا بقوة مخلوقة فيها . والحامل لذلك كله هو الله ـ تعالى ـ عندها لا بها ، وعلى هذا قياس جميع الأسباب العادية .

ومن يعتقد تأثير شيء منها فى مسبَّبه بطبعه فهو كافر ، أو بقوة مخلوقة فيه فهو فاسق ، أو يعتقد تأثيرها بذلك وأن الله هو المؤثر فيهما ولكن يعتقد استحالة خلق السبب بدون مسببه أو عكسه فهو مؤمن ولكن يخشى عليه إنكار معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، وإنكار المعجزات كفر وإنكار الكرامات فسق .

والاعتقاد الصحيح المأمون العاقبة اعتقاد أن المؤثر فيهما هو الله ـ تعالى ـ مع إمكان تخلف أحدهما عن الآخر كما تقدم بيانه .

وهذه الصفة بجميع أقسامها مقابلة لصفة الوحدانية الواجبة لله ـ تعالى ـ فى الذات والصفات والأفعال . ودليل استحالة هذه الصفة هو الدليل السابق لوجوب الوحدانية له ـ تعالى ـ .

الصفة السابعة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ

(المـــوت)

وما فى معناه كالنوم والإغماء ، وهذه الصفة مقابلة لصفة الحياة الواجبة له ـ تعالى ـ . ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب الحياة له ـ تعالى ـ .

الصفة الثامنة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ

(إيجاده وخلقه تعالى شيئا بلا إرادة له ، بأن يكون بطريق التعليل أو الطبع)

وهذه الصفة مقابلة لصفة الإرادة الواجبة له ـ تعالى ـ . ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب الإرادة له ـ تعالى ـ .

الصفة التاسعة من الصفات المستحيلة على الله ـ تعالى ـ :

(العجز عن ممكن ما)

وهذه الصفة مقابلة لصفة القدرة الواجبة له ـ تعالى ـ . ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب القدرة له ـ تعالى ـ .

الصفة العاشرة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ :

(الجهـــل)

وما فى معناه ، كالظن والشك والوهم والغفلة والذهول والنسيان ، والسهو ، والنوم والإغماء ، والجنون (بموجود أو معدوم) .

وهذه الصفة مقابلة لصفة العلم . ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب العلم له ـ تعالى ـ .

الصفة الحادية عشرة من الصفات المستحيلة عليه ـ تعالى ـ

(الصـــمم)

وما فى معناه ، كسمعه الأصوات العالية دون الإسرار ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات .

وهـذه الصفـة مقابلة لصفة السمع الواجبة لله ـ تعالى ـ ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب السمع له ـ تعالى ـ المتقدم بيانه .

الصفة الثانية عشرة من الصفات المستحيلة على الله ـ تعالى ـ :

(العمـــى)

وما فى معناه ، كالعشى وهو عدم الإبصار ليلاً ، والجَهَر وهو عدم الإبصار نهارًا .

وهذه الصفة مقابلة لصفة البصر الواجبة له تعالى ، ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب البصر له ـ تعالى ـ .

الصفة الثالثة عشرة من الصفات المستحيلة على الله ـ تعالى ـ :

(البكم والخرس)

وما فى معناه ، كالفهاهة والعى والسكوت ، وكون كلامه ـ تعالى ـ بحروف وأصوات .

وهـذه الصفـة مقابلة لصفة الكلام الواجبة لله ـ تعالى ـ ودليل استحالتها عليه ـ تعالى ـ هو دليل وجوب الكلام له ـ تعالى ـ .

فقد تمت الثلاث عشرة صفة التى دلت على استحالتها على الله ـ تعالى ـ الأدلة التفصيلية ، ويجـب على المكلف أن يعرف أن كل نقص فى حقه ـ تعالى ـ فهو محال عليه ـ تعالى ـ وأن أفراده لا نهاية لها كما أن أفراد الكمال الواجب له ـ تعالى ـ لا نهاية لها . ودليل استحالتها إجمالا هو دليل وجوب كل كمال له ـ تعالى ـ .

وأما الجائز فى حقه ـ تعالى ـ فأفراده كثيرة لا نهاية لها وتجمعها قاعدة : وهى أنه يجوز فى حقه ـ تعالى ـ فعل كل ممكن أو تركه ، فلا يجب عليه ـ تعالى ـ فعل شىء منها وإن كان صلاحًا للعباد أو أصلح ، وإنما يفعله ـ سبحانه وتعالى ـ تفضلاً منه على عباده وإحسانًا منه إليهم .

ولا يستحيل عليه ـ تعالى ـ فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ؛ إذ للمالك أن يفعل فى مِلكه ما يشاء ، فهو الخالق للإيمان والطاعة والسعادة والعافية والغنى وجميع النعم فضلاً وإحسانًا ، وهو الخالق للكفر والمعاصى والشقاوة والأمراض والفقر عدلاً منه فى مخلوقه ومملوكه .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ يختَصُّ برحمتِهِ من يشاءُ واللهُ ذو الفضْلِ العظِيم ﴾ [آل عمران : ٧٩] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ من يُضْلِلِ اللهُ فلا هَادِىَ له ﴾ [الأعراف : ١٨٦] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وربُّكَ يخْلُقُ ما يشَاءُ ويختارُ ﴾ [القصص : ٦٨] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لا يُسْأَلُ عمّا يفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] وقال ـ تعالى ـ ﴿ فعَّالٌ لِمَا يُريدُ ﴾ [البروج : ١٦] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يُضِلُّ من يشَاءُ ويهْدِى من يشَاءُ ﴾ [النحل : ٩٣] .

ومن الجائز عليه ـ تعالى ـ عقلاً تعذيب المطيع ؛ لأنه عدل ؛ لأنه خالق للطاعة ولاكتسابها مع تنزهه عن الانتفاع بها ، وإنما ينتفع بها العبد الذى خلقها الله على يديه ، ووفقه لاكتسابها ،وإثابة العاصى ؛ لأنه فضل ؛ لأنه ـ تعالى ـ هو الخالق للمعصية ولاكتسابها مع تنزهه عن الضرر بها ، وإنما يتضرر بها العبد الذى خلقها الله ـ تعالى ـ على يديه ، وخذ له باكتسابها عدلاً منه ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولا يظْلمُ ربُّك أحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] وقال تعالى : ﴿ وما ربُّكَ بظلامٍ للعَبيد ﴾ [فصلت : ٤٦] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فيغفر لمن يشاءُ ويعذِّبُ من يشاء ﴾ [البقرة : ٢٨٤] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن يشَأْ يُذهِبْكُم ويأتِ بخَلْقٍ جديدٍ * وما ذلك على اللهِ بعَزيز ﴾ [فاطر : ١٦ ، ١٧] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لا يُسْأَلُ عما يفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

ومن الجائز فى حقه ـ تعالى ـ رؤيته ـ تعالى ـ بالأبصار بلا كيف ولا انحصار ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وجُوهٌ يومئذٍ نَاضرَةٌ إلى ربِّهاَ ناظِرة ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] وإنزال الكتب وإرسال الرسل مبينين للناس ما نُزِّل إليهم ، ومبشرين للطائعين ، ومنذرين للعاصين ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ نزَّل عليكَ الكِتَابَ بالحقِّ مُصدِّقًا لِمَا بين يَديْهِ وأنزَلَ التوراةَ والإنجيلَ * من قبلُ

هدًى للناس وأنزلَ الفرقانَ ﴾ [آل عمران : ٣ ، ٤] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ الحمدُ لله الذى أنْزَلَ على عبدِهِ الكِتابَ ﴾ [الكهف : ١] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ تباركَ الذى نزَّلَ الفرقانَ على عبدِهِ ليكُونَ للعالمينَ نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ رُسُلاً مبشرينَ ومنذرين ﴾ [النساء : ١٦٥] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وأرسلْنَاكَ للنّاس رَسُولاً ﴾ [النساء : ٧٩] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هو الذى أرْسَلَ رسُولَهُ بالهُدَى ودينِ الحقّ ليظهرهُ على الدّين كُلّه ﴾ [التوبة : ٣٣] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إذْ أرسَلْنَا إليهِمُ اثْنين فكذّبُوهما فعزّزْنَا بثالثٍ ﴾ [يس : ١٤] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إنا أرسلْنا إليكُمْ رَسُولاً شاهِدًا عليكُمْ كما أرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ [المزمل : ١٥] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إنا أرسلْنَا نُوحًا إلى قومِه أن أنذرْ قومَك ﴾ [نوح : ١] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إنا أنزلْنَاهُ فى ليلَةِ القدْرِ ﴾ [القدر : ١] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إنا أنزلْنَاهُ فى ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا منذِرينَ ﴾ [الدخان : ٣] .

مبحث الرسل :

وأما الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فبعثهم الله مبشرين ومنذرين وأيدهم بالمعجزات فجاءوا بالآيات البينات ، والدلائل والبرهان ، والصدق والإيمان ، والعدل والإحسان ، فجميع ما جاءوا به فهو حق وما أخبروا به فهو صدق ، لا يجوز العدول عنه ، ولا الخروج منه ، فأمروا بالإيمان والطاعة ونهوا عن الكفر والمعصية ، ووعدوا بالمغفرة والثواب الجزيل على الإيمان والطاعة ، وحذروا من العذاب والانتقام على الكفر والمعصية .

ختم الرسالة :

ثم ختم الله ـ تعالى ـ الرسالة بسيدنا (محمد) نبيه وصفيه وخيرته من خلقه ، إمام المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، إمام الهدى ونبى الورى ، والمنقذ من الحيرة والردى نبى الرحمة وكاشف الغمة عن جميع

الخلق بشفاعته العظمى التى خصه الله ـ تعالى ـ بها ، وأيد كل رسول منهم بمعجزات خارقة للعادة فى النوع الذى تكون عليه أمته ، فائقة مجاوزة للحد الذى تقدر عليه .

مثال ذلك : أن الله ـ تعالى ـ بعث موسى ـ عليه السلام ـ فى زمن سحرة ، فأيده الله ـ تعالى ـ بالعصا وباليد البيضاء وفلق البحر وتفجير الماء من الحجر ونحوها ، فعلم العقلاء الموفقون من أهل زمانه أن ذلك خارج عن عادتهم وأنه ناشىء عن قدرة قادر يقدر ولا يُقْدَر عليه .

وبعث عيسى ـ عليه السلام ـ فى زمن أطباء فأيده الله ـ تعالى ـ بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك ، فعلم العقلاء من أهل زمانه الموفقون أن ذلك خارج عن عادتهم وأنه ناشىء عن قدرة قادر يقدر ولا يقدر عليه .

وبعث سيدنا محمدًا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى زمن بلغاء وكهان وأيده الله ـ تعالى ـ بالقرآن الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فلم يزل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يخبرهم بما كان وبما يكون ، ويظهر لهم مع توالى الساعات ما كانوا يجهلونه من كلام رب العالمين حتى تبين لأهل العقول الموفقين أن ذلك خارج عن عادتهم وأنه كلام قادر يقدر ولا يقدر عليه ، لا يشبهه كلام المخلوقين فآمنوا به واتبعوه إلا من حق عليه العذاب .

ما يجب فى حق الرسل

فيجب لهم الصدق فى جميع أقوالهم ، سواء كانت شرعية أو عادية . ودليله : المعجزة وهى أمر خلقه الله ـ تعالى ـ مخالفًا للعادة عند دعوى الرسالة مع عدم معارضته بمثله ، منزل منزلة قول الله ـ تعالى ـ : صدق عبدى فى كل ما بلغه عنى ، كانشقاق القمر ، ومشى الشجر ، وتسبيح الحصى ، وتظليل الغمام ، ونبع الماء من بين الأصابع ، ونزول القرآن .

ويجب لهم ـ أيضًا ـ : العصمة ، وهى : حفظ الله ـ تعالى ـ ظواهرهم

وقلوبهم من المعاصى والكبائر والصغائر . ودليلها : أن الله ـ تعالى ـ أمرنا بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم غير المختصة بهم .

قال الله ـ تعالى ـ فى حق نبينا (محمد) ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ﴿ **قل إن كنتم تحبُّون الله فاتّبعُونى يحببْكُم الله** ﴾ [آل عمران : ٣١] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **واتبعُوه لعلكُم تهتدُون** ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **الذين يتبعُون الرسولَ النبّى الأمّى** ﴾ [الأعراف : ١٥٧] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **لقد كان لكم فى رسولِ اللهِ أسْوةٌ حسنةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١] والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يأمر بمعصية ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن الله لا يأمُرُ بالفحْشَاء** ﴾ [الأعراف : ٢٨] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **وما آتاكم الرسولُ فخُذُوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [الحشر : ٧] .

ويجب لهم التبليغ لكل ما أمروا بتبليغه للخلق ، ودليله قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **يا أيها الرسولُ بلّغْ ما أُنزلَ إليكَ من ربك وإن لم تفعلْ فما بلّغتَ رسالَتَه** ﴾ [المائدة : ٦٧] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلْنَا من البينَاتِ والهُـدى من بعـد ما بينّـاه للنـاسِ فى الكتـابِ أولئـكَ يلْعَنهُم الله ويلْعَنهُم اللاعِنُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٩]

فهذه ثلاث صفات واجبات للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام [1] ـ .

ما يستحيل فى حق الرسل :

ويستحيل فى حقهم ـ صلى الله عليهم ـ : الكذب .

ودليل استحالته عليهم هو دليل وجوب الصدق لهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

ويستحيل فى حقهم ـ أيضًا ـ : العصيان والفسوق كبيرة أو صغيرة ظاهرية

---

(١) ويجب لهم كذلك : صفة الأمانة ، وصفة الفطانة كما تقدم ص ٢٩ .

أو باطنية ، ودليل استحالته عليهم هو دليل وجوب العصمة لهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

ويستحيل عليهم ـ أيضًا ـ الكتمان لشيء مما أمروا بتبليغه للخلق . ودليل استحالته عليهم هو دليل وجوب التبليغ لهم ـ صلى الله عليهم وسلم ـ .

فهذه ثلاث صفات محالات على الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام [1] ـ .

ما يجوز فى حق الرسل :

(يجوز فى حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : كل وصف بشرى لا يؤدى إلى نقص فى مراتبهم العليّة) كالأكل والشرب والجوع والعطش والبول والتغوط والجماع فى الحل والنوم والسهر والنسيان والمشى فى السوق والبيع والشراء والتجارة والحرف الشريفة والمرض .

ودليله : مشاهدة اتصافهم به ، إما لتعظيم أجرهم ، أو للتشريع لأممهم ، أو لتسليتهم عن الدنيا ، وتنبيههم لخسة قدرها عند الله ـ تعالى ـ وعدم رضاه ـ تعالى ـ بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه .

السمعيات :

ويجب الإيمان بأن الملائكة أجسام مخلوقون من نور ، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ليسوا ذكورًا ولا إناثًا ، معصومون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، مستقرهم فى الدنيا السموات ، وينزلون إلى الأرض بأمر الله ـ تعالى ـ ومستقرهم فى الآخرة الجنات .

وأن الجن مخلوقون من النار يأكلون ويشربون وينامون ، منهم ذكور ومنهم إناث ، منهم من آمن ومنهم من كفر ، وأنهم فى التكليف كالآدميين .

---

(١) ويستحيل فى حقهم كذلك : الخيانة والبلادة كما تقدم ص ٢٩ .

ويجب الإيمان بأن الجنات مخلوقة فى الجهة العليا ، وأن المؤمنين يدخلونها ويخلّدون فيها بلا موت ، دائماً أبدًا بلا نهاية .

وأن النار مخلوقة فى الجهة السفلى وأن الكافرين يدخلونها خالدين فيها دائماً أبدًا بلا غاية ولا نهاية .

وأن الإنسان وكذا غيره من الحيوانات والجن والملائكة لا يموت حتى يتم عمره الذى قدره الله له وهو جنين فى بطن أمه ولو قتل [1] .

وأن عزرائيل ـ عليه السلام ـ هو الذى يقبض الأرواح بأمر الله ـ تعالى ـ وله أعوان من الملائكة الكرام .

وأن كل ميت يشاهد قبل موته مكانه الذى سيصير إليه ويخلد فيه من الجنة أو من النار .

وأنه إذا دفن يضمه القبر ضمة تختلف منها أضلاعه . وأن الله ـ تعالى ـ يرد عليه روحه وسمعه وبصره ، ويرسل له ملكين يسألانه عن دينه وإلهه ونبيِّه . فالمؤمن يقول لهما : الله ربى ، ومحمد عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه ، فيقولان له : نم صالحًا ، قد علمنا إن كنت لمؤمنًا ، ويفسح له فى قبره ما شاء الله ، ويمتلىء قبره نورًا وروائح طيبة ، ويستمر كذلك إلى أن ينفخ إسرافيل ـ عليه السلام ـ فى الصور النفخة الثانية فيحييه الله ويبعثه ويسوقه إلى الموقف الأعظم للحساب ، فمن لطف الله ـ تعالى ـ به أسبل ستره عليه ، وأطلعه على سيئاته بحيث لا يطلع عليها أحد ، ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة . ومن غضب الله عليه فضحه عند أهل الموقف وأمر مناديًا ينادى عليه بفضائح أعماله .

وأن فى الموقف ميزانًا له كفتان : إحداهما من نور توضع فيها الحسنات ، والأخرى من ظلمة توضع فيها السيئات توزن به أعمال العباد .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامَةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ

---

(١) أى أن المقتول ميت بأجله لا بالقتل .

شيئًا وإن كان مثقالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فمن ثَقُلَتْ موازينُه فأولئك هُمُ المُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ موازِينُه فأُولئكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٨ ، ٩] .

وأنه يشتد الزحام فى الموقف جدًا ، والناس جميعًا من أولهم إلى آخرهم مجموعون فى محل واحد ، وملائكة السموات السبع محيطون بهم صفوفًا سبعة ، صفًا خلف صف .

وتدنو الشمس منهم وتقابلهم بوجهها ـ وهى الآن فى الدنيا فى السماء الرابعة ومقابلة للأرض بظهرها ـ فيسيل العرق منهم من أبدانهم ، حتى يغوص فى الأرض أميالاً ، ويتفاوت الناس فى العرق بحسب أعمالهم ، فمنهم من يبلغ عرقه شحمة أذنيه ، ومنهم من هو دونه ، ومنهم من لا يصيبه منه شىء ، ومنهم من هو فى ظل العرش .

الشفاعة :

ويجب الإيمان بأن الشفاعة فى فصل القضاء ، وهى الشفاعة العظمى مختصة بنبينا : سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ـ صَلى الله عليه وسلم ـ .

وبيانه أنه إذا طال على الناس زمن الوقوف ، واشتدت عليهم الأهوال ، يطلبون من يشفع لهم فى الانصراف من ذلك الموقف ولو إلى النار ، فيأتون آدم ـ عليه السلام ـ ، ويقولون له : أنت أبو البشر ، خلقك الله ـ تعالى ـ بيده ، وأمر الملائكة بالسجود لك ، فاشفع لنا عند الله أن يصرفنا من هذا الموقف . فيقول : إن الله ـ تعالى ـ غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، وإنه كان منى أمر أوجب خوفى منه ، فلا جرأة على الشفاعة عنده ، نفسى ، نفسى إذهبوا إلى نوح يشفع لكم ، فيذهبون إلى نوح ـ عليه السلام ـ ويقولون له : أنت أول رسل الله بعد آدم ، ورسالتك عامة ، ومنزلتك عالية ، فاشفع لنا ، فيقول لهم مقالة آدم ، ويدلهم على إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيأتون إبراهيم ،

ويقولون له : أنت خليل الله ، فاشفع لنا عنده ، فيقول لهم مثل ذلك ويدلهم على موسى - عليه السلام - ويقولون له : أنت كليم الله فاشفع لنا عنده ، فيقول لهم كذلك ، ويدلهم على عيسى - عليه السلام - فيأتون عيسى - عليه السلام - ويقولون له : أنت روح الله فاشفع لنا عنده ، فيدلهم على سيدنا محمد - ﷺ - فيأتون محمدًا - عليه الصلاة والسلام - ويسألونه فيقول : أنا لها ، فيسجد مدة فيقول الله - تعالى - له : إرفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، وقل يسمع لك ، ثم يرفع رأسه ويحمد الله - تعالى - بمحامد يعلمه الله إياها ، لم يحمد بها أحد قبله ، ويشفع لأهل الموقف فى الانصراف فيحمده الأولون والآخرون .

ويجب الإيمان بالصراط ، وهو قنطرة تنصب على جهنم طوله مسيرة ثلاثة آلاف سنة ، ألف منها صعود ، وألف منها هبوط ، وألف منها استواء ، وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف ، وعلى جوانبه كلاليب لا يعلم عددها إلا الله الذى خلقها ، تخطف الخلائق حال مرورهم عليه بحسب أعمالهم ، فمنهم من يمر عليه كالريح العاصف ومنهم من يمر عليه زحفًا .

ويجب الإيمان بالحوض لنبينا فى الموقف ، طوله مسيرة شهر ، وكذا عرضه ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل ، كيزانه بعدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا .

ويجب الإيمان بأنه بعد استقرار أهل الجنة فيها ، واستقرار أهل النار فيها ، وإخراج عصاة المؤمنين منها ، يؤتى بالموت بصورة كبش ويذبح بين الجنة والنار ، وينادى : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، فيتم فرحهم وسرورهم ، ويا أهل النار خلود بلا موت فيزيد حزنهم وصريخهم .

وهذا كله أخبر به نبينا محمد ﷺ - والعقل يجوزه ، فوجب الإيمان به ، وهذه العقائد يتوقف على اعتقادها الإيمان ولا ينجو المكلف من الخلود فى النار إلا بمعرفتها ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مفيدة العوام

يقول راجى رحمة الرب العلى * الجعفرى صالح نسل الولى
الجعفرى ساكن الجنان * معلم للعلم والقرآن
الحمد لله على التوحيد * ننجوبه من ربقة الترديد
ثم الصلاة بالسلام السرمدى * على النبى المصطفى محمد
وآله أهل التقى والطهر * ألقى بها النجاة يوم الحشر
وبعد فالعلم بذا التوحيدِ * فرضٌ محتمٌ على العبيد
وهذه أرجوزة صغيرة * لكنها فى علمها كبيرة
سميتها مفيدة العوام * أرجو بها موائد الإكرام
وأسأل الله الكريم البارى * قبولها فى البدو والأمصار
ونفعَ حافظ لها وقارى * وافتح لهم خزائنَ الأسرار
أرجو بها القبول والسعادة * واليسر والتوفيق والإفادة
ودفعَ حاسد وما يريد * يا حىّ يا قيُّوم يا مريدُ
قد أوجبَ الله على الإنسان * معرفةَ المهيمن الديَّان
فواجب معرفة لما يجب * فى حقه والمستحيل فاحتسب
وما يجوز إن عرفت فالزم * ومثل ذا لرسله فحتم
فواجب فى حقه تعالى * كل كمال قد أتى إجمالا
ويستحيل ضدُّه عليه * مَن المصيرُ راجع إليه
فواجب فى حقه الوجود * جلَ الإله الواحد المعبود
والقدمُ البقاءُ للقدير * مخالفٌ لخلقه الكثير
قيامه بنفسه العليَّة * أوجب له كذاك وحدانية
وقدرة إرادة والعلم * كذا الحياة قد أتانا العلم
سمع له وبصر كلام * سبحانه مقدّس علاَّم
وهذه الصفات سبع قد أتت * وبالمعانى عندهم قد عُلِمت
ومعنوية له تعالى * سبع صفات فاحذر الجدالا

ككونه جلَّ عن التشبيه * أى قادرًا فى غاية التنزيه
جل المريدُ عالم الأشياء * حي سميع خالق الأفياء
وهو البصير فى دُجَى الظلماء * متكلم وصادق الأنباء
ويستحيل ضدُّ ذى الصفات * على الجليل منْزل الآيات
العدم الحدوث والفناء * مماثل للخلق لا يجاءُ[1]
كذا احتياجه إلى سواه * كذا تعدُّد له يأباه
فى الذات والصفات والأفعال * جل إله العرش عن مثال
عجز كراهة كذاك الجهل * وموته وصمم ذا نقل
كذا العمى وبكم منفى * عن الإله وهو العلى
وفعل ممكن عليه جازا * أو تركه ومن دراه فازا
فواجب فى حقِّ رسل البارى * الصدق فى الأقوال والأخبار
أمانة تبليغهم فطانه * والكل معصوم له صيانه
ويستحيل كذب خيانه * كذاك كتمان فخذ بيانه
كتمانهم شيئا من الأحكام * كذا بلادة لدى الأحلام
وجائز فى حقهم كالنوم * والأكل والشراب عند القوم
وهذه الخمسون واجب على * كل الأنام فهمها على الولا
تنبيك عنها كلمة التوحيد * فلا تكن فى الأمر ذا ترديد
يا سعد من بذكرها يوالى * يحيى بها الأيام والليالى
فذا موفق كذا سعيد * قد جاءه الفتوح والتأييد
لا سيما للذكر بالإثنين * فلازم الذكر بكل أين
تقول لا إله ـ الله * محمد أرسله الإله
فالمصطفى وسيلة القبول * أكرمْ به من صادق رسول
بغيره إيماننا لا يقبل * ومَنْ قلاهُ كافر مجندل[2]
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله بالسلام

---

(١) أى : لا يتأتى ولا يكون .
(٢) أى : صريع هالك يبغضه له صلى الله عليه وآله وسلم .

على نبى جاء بالأحكام * ورسل أفاضل كرام
ما الجعفرى سأل المجيبا * فتح الهدى ميسرًا قريبا
كذاك للأصحاب والأحباب * من خالق مدبر وهاب
فإن أردت حفظها توسَّلْ * بأحمد نبينا المفضل
عساك أن تحفظ ما نظمته * من درر التوحيد قد بينته
بنوره تهدى إلى الرشاد * فإنه وسيلة العباد
وبالصلاة دائما عليه * إن شاء ربى واصلاً لديه
وتم نظمها ببعض ليله * بالأزهر الشريف يوم الجمعه
سألتُ مولاى لكل قارى * لِنَظْمها سعادة الأخيار
كذاك ختم الخير للجميع * من غير تفريق ولا تضييع
أبياتها خمسون مع ثمانيه * من فضل ربى نظمها أتى ليه

قلت : لما كان أول واجب على المكلف هو علم التوحيد ذكرته هنا فى شرح كلمة التوحيد ليكون القارىء له خارجًا عن ربقة التقليد الذى قال العلماء فيه : إنه لا يخلو إيمانه من الترديد ، ولكنه إذا قرأ علم التوحيد وعرف الله ـ تبارك وتعالى ـ وصفاته الواجبة له فإنه يكون ثابت الإيمان وأجمع العلماء على أنه مؤمن حقًا ولا يسمى مقلدًا .

ولما كان طريق شيخنا العالم الشيخ أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ على الكتاب والسنة كما قال هو ذلك ، وقال : إن الآخذين طريقته الأحمدية لا شيخ لهم إلا النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذى يتولى تربيتهم أردت بفضل الله ـ تعالى ـ أن يكون الآخذون لهذا الطريق موحدين عالمين ، وليسوا مقلدين ، لأن الأوراد توصل إلى مقام العارفين ، ولا يصح أن يدخل هذا المقام من كان مختلفا فى إيمانه ممن لم يقرءوا علم التوحيد ولم يعرفوه .

أردت ـ بفضل الله ـ تعالى ـ بقراءتهم لهذا الكتاب الذى ذكر فيه علم التوحيد أن يكون المريد عالمًا عارفًا بربه ـ سبحانه وتعالى ـ فيذكر الله ـ تعالى ـ على علم .

ولما كان الشيطان يوسوس بأشياء لا يقبلها الشرع لمن كمل إيمانه ، أردت

بقراءة علم التوحيد ليستطيع المريد أن يدفع شبه الشيطان ووساوسه ، فهو علم نافع ، وشيح للوساوس قاطع ، وبه يكون الثبات فى الحياة الدنيا والآخرة .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ يثبتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثَّابتِ فى الحياة الدنيا وفى الآخِرة ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقال العلماء : إن علم التوحيد واجب عينى على كل فرد : رجل وامرأة ، ويكون الإنسان بتركه عاصيًا ، وقد وفقنى الله ـ تعالى ـ إلى منظومة صغيرة جامعة لمسائل التوحيد ، فعلى كل مريد أن يجتهد فى حفظها ، حتى يوفقنى الله ـ تعالى ـ إلى شرح لها يبين مجملها باختصار ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ وقد طبعت وحدها مستقلة وطبعت فى هذا الكتاب واسمها « مفيدة العوام » .

واعلم يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ أن طريقنا هذا قرآن وعلم ، فعليك ـ ما استطعت ـ أن تحفظ ما تيسر من القرآن ، وأن تحضر ما تيسر لك من العلم حتى تكون من أهل القرآن العظيم ، والعلم الشريف ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ﴿ أشرافُ أمتى حملةُ القرآنِ وأهلُ الليلِ ﴾ رواه الطبرانى فلا تنس هذا الشرف العالى النفيس ، وهو حفظك للقرآن ، وتهجدك به فى الليل .

وهذا هو وصف شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فإنه كان من أهل العلم والحديث والتفسير والتهجد بالليل بالقرآن العظيم ، فإن كنت من أتباعه فهذا طريقه : فجاهد نفسك وهواك وأخلص لخالقك ومولاك ، واعلم أن الأوراد لها وارد ، فلا تطلبن واردًا بغير ورد ، ومن غير الشجرة لا يأتى لك الوَرْد ، فأورادك شجرتك ، وماء سقيها إخلاصك ومحبتك ، فلا تكن ممن غفل عن اللآلى وأضاع الأيام والليالى ، وكم بالليل من ساهر يزأر ، ومن داع بدعائه يجهر ، وكم من إخوة لنا من المغاربة دخلوا الخلوات ، فظهرت لهم التجليات ، وشربوا من بحر الأحزاب الزاخر ، فكتبوا من العلم ـ ما تنورت به الدفاتر ، فظهرت منهم نفائس ابن إدريس من كل معنى وعلم نفيس ، كأنهم يكتبون عنه ما يقول ، وكيف لا يكون كذلك ، وهم فى كفالة صاحب الشفاعة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

من أسرار كلمة (محمد رسول الله)

ومما منّ الله ـ تعالى ـ به على شيخنا الشفاء ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لقنه : لا إله إلا الله . محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، وجريانها على اللسان بعد مرورها على القلب فيه فوائد :

أولاهـا : الميم الأولى تمحو عن القلب الشواغل السوائية التى تعطله عن النهـوض إلى الحضرة القدسية . ومن أسمائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه الماحى . . . والحاء : حياة جديدة يكتسبها القلب تسمى : حياة الذكر ، كما فى الحديث : (**مثلُ الذى يذكرُ ربَّه والذى لا يذكر ربَّه مثلُ الحىّ والميت**) رواه البخارى . ومن أسمائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محيى .

والميم الثانية : موت النفس فى حضرة القدس وانتباهها من نوم غفلتها . وفى الأثر : (**الناسُ نيامٌ فإذا ماتُوا انتَبهُوا**) [1] .

والميم الثالثة : مدد محمدى يفاض على الروح والقلب من الأسرار والأنوار . قال سيدى عبد السلام بن مشيش ـ رضى الله عنه ـ : (اللهم صلِّ على من منه انشقّت الأسرارُ وانفلقت الأنوارُ) .

والدال : دنوك منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما دمت مداومًا على هذا الـذكـر مع المحبة . قال الشيخ الإمام سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ : (واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس) فإذا فهمت كلامى هذا علمت أنك إذا قلت : محمد رسول الله ، حصلت لك فوائد لا تعد ولا تحصى .

وكلمـة : (رسـول الله) رحمـه الله العمـومية والخصوصية التى فى قوله ـ

---

(١) انظر درس الجمعة حـ٢ صـ ٩٦ .

تعالى - : ﴿ وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالَمِين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] فتحيط بك رحمة الله التى تجذبك إلى طاعته وتبغضك فى معصيته .

والسين : سعادة الله الأبدية التى تكون معك فى الدنيا وفى الآخرة .

قال البوصيرى - رحمه الله - :

وإذا سخَّرَ الإلـه أنـاسًـا * لسـعـيد فإنهم سُعـداء

والواو : ولاية الله - تعالى - التى منّ الله بها على رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال - تعالى - : ﴿ إنما وليُّكم اللهُ ورسوله ﴾ [المائدة : ٥٥] .

واللام : لطف الله الظاهر والخفى الذى بسببه يمنع العذاب . قال - تعالى - : ﴿ وما كان اللهُ لِيعَذِّبَهُمْ وأنتَ فيهم ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

وكلمة : (الله) . الألف : أنس الله وطمأنينته المثبِّتة للقلب عند الفزع . قال - تعالى - : ﴿ إذْ يقولُ لصاحِبِه لا تحْزَنْ إن اللهَ مَعَنا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

واللام الأولى : لزوم التقوى . قال - تعالى - : ﴿ وألْزمهُم كلمةَ التقْوى وكانُوا أحقَّ بها وأهلَها ﴾ [الفتح : ٢٦] .

واللام الثانية : لين القلب والجلد لذكر الله - تعالى - : قال الله تعالى : ﴿ ثم تَلِينُ جلودُهُم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [الزمر : ٢٣] .

والهاء : هداية الله - تعالى - لنوره قال - تعالى - : ﴿ يهدِى اللهُ لنورِهِ من يشَاءُ ﴾ [النور : ٣٥] .

فالذكر بهذه الكلمة المباركة : (محمد رسول الله) تحصل به هذه الفوائد وأكثر مما ذكرته لك مما لا يدخل تحت حصر .

وجعل شيخنا رضى الله تعالى عنه هذا الذكر من خصوصياته ؛ لأنه كتب إلى السيد الميرغنى - رضى الله عنه - خطابًا يقول له فيه : وعليك يا أخانا عثمان بالإكثار من هذا الذكر الذى اختصنا الله به من بين أوليائه وهو (لا إله إلا الله . محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) .

قلت : وكأن السيد سيدى أحمد - رضى الله عنه - أخذ هذا المعنى من قول

النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - له حينما لقنه هذا الذكر : (خزنتها لك يا أحمد . ما سبقك بها أحد . علمها أصحابك ليسبقوا بها الأوائل) وإنى موقن ومصدق غاية التصديق بكلام الشيخ السيد أحمد بن إدريس - رضى الله عنه - وأنه صادق فيما قال .

فيجب على كل مريد أخذ الطريقة المحمدية الأحمدية أن يصدق هذا الكلام غاية التصديق بغير شك ولا ريب لينتفع بذلك .

ولهذا الذكر سر عجيب وغريب : لأنك إذا قلت : محمد رسول الله ، وتصورته ونظرت إليه بقلبك فإنه - صلى الله عليه وآله وسلم - ينظر إليك كذلك ، وعند ذلك تترنم روحك .

يقول ابن الفارض - رضى الله عنه - :

ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا * سرّ أرقُّ من النسيم إذا سرَى
وأباحَ طرفيَ نظرةً أمَّلتُها * فغدوتُ معروفًا وكنتُ منكّرَا

ولا تنس ايها المريد المحمدى الأحمدى أنك فى كفالته - صلى الله عليه وآله وسلم - وهذه نعمة من أعظم النعم ، وبتذكرك لهذه النعمة يحصل لك حال .

وذكِّر نفسك دائماً وأبداً بها . قال الله - تعالى - : ﴿ **وذكِّرْ فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين** ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

ومن الذكرى : أن يذكِّر العبد نفسه نعم الله عليه الظاهرة والباطنة .

قال الله تعالى : ﴿ **وأسْبغَ عليكُم نِعَمَه ظاهرةً وباطِنةً** ﴾ [لقمان : ٢٠] ليذكر الله - تعالى - عباده نعمه الظاهرة والباطنة عليهم ليشكروه ليزيدهم . قال الله - تعالى - : ﴿ **وإذْ تأذَّنَ ربُّكمْ لئن شكرتُم لأزيدَنَّكمْ** ﴾ [إبراهيم : ٧] لأنه - سبحانه وتعالى - يحب المزيد لعباده من الفضل . قال الله - تعالى - : ﴿ **ويزيدُهم من فضله** ﴾ [الشورى : ٢٦] وقال الله - تعالى - : ﴿ **ولدَينا مزِيد** ﴾ [قَ : ٣٥] .

ومن الواجب على المسلم أن يشكر الله - تعالى - على الإيمان به وعلى القرآن وعلى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - .

ومن دعاء أمير المؤمنين سيدنا على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ : (اللهم لك الحمد حيث اصطفيتنى بأعظم النبيين دعوة وأفضلهم شفاعة وأرفعِهم درجة وأقربهم منزلة وأوضحهم حجة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأصحابه الطيبين الطاهرين) .

وقال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

لما دعا اللهُ داعينا لطاعته * بأكرم الرسل كنّا أكرمَ الأمم

وقال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ :

ومما زادنى فى شرفًا وتيهًا * وكدت بأخْمصى أطأ الثُّريَّا
دُخولى تحت قولكَ يا عبادى * وأن صيرَّتَ أحمد لى نبيا

فوائد دفن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الأرض

وإنما دفن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الأرض لأمور :

(الأول) : ليرفع الله العذاب والخسف عن أهل الأرض . قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **وما كانَ اللهُ ليعذبهم وأنتَ فِيهم** ﴾ [الأنفال ٣٣] .

ثانيًا : ليكون فى روضته التى أعدها الله ـ تعالى ـ له ، فقد أخرج البخارى عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (**ما بين مِنبرى وبيتِ عائشةَ روضةٌ من رياضِ الجنَة ومنبرى على حوضى**) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**القبرُ إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حُفَر النار**)رواه الترمذى .

وقبره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ روضة تفضل جميع الروضات .

ثالثا : لتزوره أمته وتسلم عليه ويرد عليهم السلام ، ويفرح بذلك وتقرُّبهم عينه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

قال عليه الصلاة والسلام : (**ما من أحد يسلم علىَّ ـ وفى رواية عند قبرى ـ إلا ردَّ الله علىَّ رُوحى فأ ردَّ عليه السلام**) رواه أبو داود .

رابعا : لتزداد الأمة إيمانا وحبا عند رؤية روضته الشريفة ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

خامسًا : ليشفع للزائرين له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما ورد فى الحديث : (**من زارنى وجبت له شفاعتى**) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

سادسًا : ليصلى لربه وتنزل البركة فى الأرض . قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**الأنبياءُ أحياءٌ فى قبورهم يُصلُّون**) رواه البيهقى .

سابعًا : لتعرض عليه أعمال الأمة ، فإن وجد خيرًا شكر الله ـ تعالى ـ وإن وجد غير ذلك استغفر الله لهم . قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**تُعْرضُ علىَّ أعمالُكم فإن وجدتُ خيراً شكرتُ اللهَ وإن وجدتُ غيرَ ذلك استغفرتُ اللهَ لكم**) رواه البزار .

قصة الأعرابى الذى زار قبر النبى صلى الله عليه وسلم وبشر بالمغفرة

روى أن أعرابيًا جاء ليزور قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأناخ ناقته خارج المسجد ، ثم جاء إلى القبر الشريف وسلَّم على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم قال : يا رسول الله سمعنا عن الله ـ تعالى ـ وعقلنا أنه قال : (**ولو أنّهم إذْ ظَلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفرُوا اللهَ واستغفر لهم الرسول لوجدُوا اللهَ توّابًا رحيماً**) [النساء : ٦٤] .

فاستغفر الله لى يا رسول الله . ثم أنشد هذه الأبيات :

يا خير من دُفنتْ بالقــاع حضرتُـهُ * فطاب من طيبهن القــاعُ والأكمُ
نفسى الفــداء لقــبر أنت ساكنُـه * فيه العفــافُ وفيه الجـودُ والكـرمُ
أنت الحبيبُ الـذى تُرْجَى شفاعتُه * عنـد الصراطِ إذا ما زلّتِ القـدمُ

فرأى أحد خدمة المسجد النبوى ـ وكان نائماً ـ النبّى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال له : اذهب إلى الأعرابى خارج المسجد وقل له : إن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لك : إن الله ـ تعالى ـ قد غفر لك .

مدائح للعلماء عند زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

وقال الشيخ الشبراوى ـ رحمه الله ـ عند زيارته قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

مُهْجتى قد نلتِ كل الأرَب * هذه أنوارُ طه العربى
هذه أنوارُه قد ظهرتْ * وبدت من خَلْف تلك الحُجُب
أبشرى يا نفسُ هذا المصطفى * أكْرمُ الرسل خيارُ العربى
أبشرى يا نفسُ هذا المصطفى * بثى شكْوَاكِ له وانتحبى
واسْكبى الدمعَ حلالاً فعلى * غيرِه دمعُ الهنا لم يُسْكَبِ
يا رسولَ اللهِ إنى مذنبٌ * ومن الجود قبولُ المذنبِ
يا رسول اللهِ أدرك سيدى * نفسَ سوء فى الهوى تلعبُ بى

وقال سيدى محمد بن سليمان الجزولى ، مؤلف دلائل الخيرات ـ رضى الله عنه ـ عند زيارته قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم : ـ

يا رحمةَ اللهِ إنى خائفٌ وجلّ * يا نعمة الله إنى مفلسٌ عَانِى
وليس لى عمل ألْقَى العزيزَ به * سوى محبتك العظمى وإيمانى
فكن أمانى من شرّ الحياةِ ومن * شرِّ الممات ومن إحراقِ جثمانى
وكن غنائى الذى ما بعده فَلَس * وكُن فكاكِى من أغلالِ عصْيانِى
تحية الصمد المولى ورحمته * ما غنت الورق من أوراق اغصانى
عليك يا عروتى الوثْقَى ويا سندى ال * أسمى ومن مدْحُهُ رَوحى وريحانى

وأنشد الفخر الرازى ـ رحمه الله ـ قصيدة عند زيارة قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مطلعها : .

وعليك صلى اللهُ يا علمَ الهدى * ما حنَّ مشتاقٌ إلى مثواكا
يا سيِّد السادات جئتُك قاصدًا * أرجو رضاك وأحتمى بحماكا
أنت الذى لولاك ما خُلق امرؤٌ * كلاّ ولا خُلِقَ الورى لولاكا

قلت : أشار بذلك إلى الحديث القدسى الصحيح الذى أخرجه الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه وهو (لولاكَ لولاكَ ما خلقتُ الأفلاكَ) .

وممن اعتنى بفضل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعلو شأنه ومعجزاته والتبرك بآثاره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذكر فضائله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه .

وقد اختلف شراح البخارى فى معنى الحديث الذى ورد عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (من رآنى فى النوم فَسَيرانِى فى اليقظة) :

قال فريق : يراه فى الدنيا . وقال فريق آخر : يراه فى الآخرة . وردّ عليهم الفريق الثانى بأن رؤيته ـ صلى الله وآله وسلم ـ للمؤمنين يوم القيامة ليست متوقفةً على رؤيته فى الدنيا فى النوم . ثم قال جماعة : يلزم على رؤيته فى الدنيا فى اليقظة انتقاله من قبره الشريف وتعدده .

وأجاب العلماء أن الثابت أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى روضته كالشمس فى السماء ترى لكل إنسان ، وفى كل بلد ولم تنتقل ولم تتعدد .

وهذا الذى ارتضاه الحافظ السيوطى وألّف فيه رسالة سماها : (تنوير الحلك فى جواز رؤية النبى ـ ﷺ ـ والملك) . وصدّرها بهذا الحديث السابق .

وممن أثبت ذلك وأقرّه شيخنا وأستاذنا الشيخ السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ وقد أخبر بأنه تلقى جميع أوراده عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة ووافقه فى ذلك تلميذه عالم المغرب السيد محمد بن على السنوسى ـ رضى الله عنه ـ ذكر ذلك فى كتبه .

نصائح للمريد السالك :

فيا أيها المريد السالك للطريقة المحمدية الأحمدية العلمية القرآنية افهم كلامى هذا تمام الفهم ، واجعله لك ديدنًا دائماً أبدًا سرمدًا من غير غفلة ولا نسيان ؛ حيث إن تصديقك لقول شيخك ولاية صغرى ، وهو مفتاح للباب لك وبكل ما أخبر به الشيخ .

وعدم التصديق قفل للباب عليك ، فلا تقفل بنفسك باب الفتوح عليك ، ولا تشك فى أقوال الصادقين التى قد موها إليك . أين أنت من الذين يقرءون

أورادهم ، ويشاهدون بأرواحهم شيخهم من حبهم ؟ أين أنت من الذين يقرءون أورادهم ويشاهدون بقلوبهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معهم ؟ أين أنت من الذين يشاهدون النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويكلمهم ويسمعون كلامه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟

فإن كنت من أهل هذا الطريق فهذا حال أهله ، ولا تكونن من الممترين وإياك ومجالسة أهل الإنكار ، فإن حديثهم هو النار .

وعليك بالفرار منهم فرارك من السبع ، ولا تجالسهم لترد عليهم فإن الجلوس معهم فتنة ، وسماع قولهم نقمة ، واستعذ بالله منهم فإنه خير معاذ ، واتل قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وهو السميعُ العليم** ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

والذى يستمع لهم كان مثله كآكل الطعام المحرم من حيث لم يدر أن السمّ فى الدسم . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذا رأيتَ الذين يخُوضُونَ فى آياتِنَا فأعرضْ عنهم حتى يخُوضُوا فى حديثٍ غيرِه** ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

كم من منكر قد أخره الإنكار ، وأورثه دار البوار ، وحرم من أهل البركات والأسرار ، وعادى عباد الله الأخيار .

والحمد لله قد أرشدنا شيخنا ـ رضى الله عنه ـ بأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يكفلنا . وكل من كان كذلك فهو محفوظ بفضل الله ـ تعالى ـ من التغيير والتبديل والمخاوف والأراجيف .

قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

ومـن تكـن برسـول الله نصرتُـه * إن تلْقَـه الأسْـدُ فى آجامِها تجِمِ

قال البوصيرى هذا البيت عند ما بلغه أن خادم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان ذاهبًا إلى الشام مع جماعة فتعرض لهم الأسد ، فتقدم إليه وقال له : يا أسد : إما أن تترك لنا الطريق ، وإلا شكوتك لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فولىّ الأسد مدبرًا إلى الغابه .

والباء فى قوله : (برسول الله) للسببية ، والمعنى : ومن تكن نصرته من

الله ـ تعالى ـ بسبب حبه للنبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ إن تلقه الأسد فى مساكنها تهرب وتخاف ، ومعنى (تجم) : تخاف .

وقال سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله عنه ـ

لم أخـل من حسدٍ عليك فلا تُضِعْ * سَهَـرِى بَتشْنِيعِ الخَيَالِ المُرْجِفِ

وقال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ : (الذى ما استغاثك به جائع إلا شبع ، ولا ظمآن إلا رَوِى ، ولا خائفٌ إلا أمن ، ولا لهفانُ إلا أُغيث) .

وقال سيدى أبو العباس المرسى ـ رضى الله عنه ـ : لو غاب عنى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين .

وقال السيد عبد الله المحجوب ـ رضى الله عنه ـ لتلميذه الرضى ـ رحمه الله ـ لما سأله عن أسانيده فى الحديث قال : وأما الأحاديث فمنه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ إلىَّ . قال الرضىُّ : فعلمت أنه من أهل الاتصال .

ذكر ذلك الجبرتى فى تاريخه ، ونقله عنه النبهانى ـ رحمه الله ـ فى (جواهر البحار) .

وكان شيخنا ـ رضى الله عنه ـ ليس له معول فى أول أمره وأوسطه وآخره ، إلا على النبى ـ ﷺ ـ وقد تلقى عنه ـ ﷺ ـ أوراد طريقته كلها فى حاله اليقظة ، ولم ينقل عن ابنه السيد عبد العال ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : اجتمعتُ بالنبى ـ ﷺ ـ يقظة ـ فيما أعلم ـ غير أنه بلغنى أنه قال : ما تركنا للوالد ـ رضى الله عنه ـ موضع قدم إلا خطوناه .

وسمعت كلامًا عن رجل من جزيرة الأشراف بدنقلا يقول : ذهبت أنا ووالدى إلى السيد عبد العالى الإدريسى ـ رضى الله عنه ـ ببلدة : (شيخ شريف) بدنقلا وجلسنا فى مجلسه ، فلما تفرق الإخوان علم أن والدى يريده فى أمر خاص ، وكان من عادته إذا علم أن إنسانًا يريده فى أمر خاص لا يتكلم معه أمام الناس ، بل يقوم فيدخل فى غرفته وينادى على الذى يريده فى كلام خاص .

فقام كعادته ودخل غرفة ، ونادى على والدى فدخل عليه ، ودخلت معه فقال : من هذا ؟

فقال والدى : هذا ابنى ، ثم قال لوالدى : كأنك تريد أن تحدثنى حديثًا خاصًا . قال : نعم ، أريد أن أدعو سيادتكم إلى بلدنا فى جزيرة الأشراف لنتشرف بكم ، فقال له : لولا خوف الملامة منكم ما أخبرتكم بهذا الخبر ، أمرنا ألا نتعدى هذا المكان .

قلت : طال علىَّ الزمن ولا أدرى هل قال : أمرنا ألا نتعدى هذا المكان ؟ أو قال : أمرنا من قبل الحق ألا نتعدى هذا المكان .

وهذا الكلام يفهم منه أنه ـ رضى الله عنه ـ كوالده ؛ لأن والده ـ رضى الله عنه ـ كان كثيراً ما يقول : أمرنا بكذا .

وعلى كلتا الروايتين فالأوامر يتلقاها الأولياء عن النبى ـ ﷺ ـ أو عن ملك من الملائكة ، إما فى اليقظة وإما فى المنام ، لا عن الله ـ تعالى ـ مباشرة ؛ لأننا فى هذه الدنيا لا نرى الله ـ تعالى ـ ولا نسمع كلامه .

حقيقة الرؤية الإلهية والمشاهدة :

وقد قيل : إن الرؤية الإلهية والمكالمة الإلهيه تكون فى النوم لمن عنده استعداد لذلك ، كما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنى أبى قال : رأيت رب العزة فى النوم تسعًا وتسعين مرة ، فقلت : لئن رأيته تمام المائة لأسألنه . قال : فلما رأيته قلت : يا رب : ما أفضل ما يتقرب به إليك المتقربون ؟ قال : بكلامى يا أحمد . قلت : بفهم أم بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم .

وهذا الحديث مكتوب فى إجازات القراء ، وقد قال العلماء فى الهاتف الذى يسمعه الولى فى حال اليقظة إنه ملك يتكلم عن الله ـ تعالى ـ كما أنهم قالوا : إذا رأى الله فى النوم فى صورة فإنه ملك من ملائكته وليس هو الله ؛ لأن الله ـ تعالى ـ منزه عن المكان والصورة فى اليقظة وفى المنام .

وأما المشاهدات التى تحصل للأولياء فى حال اليقظة فهى من باب خرق العادة وليست من الأمور العادية ، كما قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فى أحزابه : (حتى أشهدك مشاهدة خارجة عن المحسوسات والمعقولات) .

وهذا الشيء لا يكون إلا من باب الكرامة وخرق العادة ، وهى بالقلوب والأرواح ، لا بالأبصار .

ونحن حينما نقول : كما تجليت على نبيك سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو الغاية التى أعطيتها سيدنا محمدًا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فليس الغرض من ذلك أن الله ـ تعالى ـ يعطينا مثل ما أعطى سيدنا محمدًا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؛ لأن العطاء الذى أعطاه الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يعطه نبيًا مرسلًا ولا ملكًا مقربًا .

وإنما الغرض أن تعطينا شيئًا من جنس ونوع الشيء الذى أعطيته له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على حسب حالنا ، وعلى قدر ما نستحق بتفضلك علينا .

واعلم يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ أن من أعظم درجات الولاية المشاهدة الإلهية القلبية الخارجة عن المحسوسات والمعقولات التى يدرك لذتها كل ذرة من ذرات الجسد وهى التى قال الصوفية عنها : إنها أفضل من جنة عدن .

وأول مفتاح لباب الولاية والعناية : الإكثار من ذكر لا إله إلا الله . محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

وكما أنك إذا عرَّضت جسدك للشمس وجدت لها أثرًا مذهبًا لرطوبات الجسد ينقله من الرطوبة إلى الحرارة ، كذلك : لا إله إلا الله ، لها نور وشعاع ، إذا أكثر الإنسان منها نقلت نفسه من أمّارة إلى لوّامة .

والأمّارة هى النفس المظلمة ، واللوامة : هى النفس المضيئة التى ذهب ظلامها وتنورت بالإكثار من ذكر لا إله إلا الله .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ولا أُقسِم بالنَّفس اللَّوَّامة** ﴾ [القيامة : ٢] .

قال المفسرون : لا زائدة ، والمعنى : أقسم بالنفس اللوامة لنورها الذى جعلها تلوم صاحبها على فعل المخالفات التى سبقت منه فى أيام الظلمة .

وفى ذكر (محمد رسول الله) معها فوائد كثيرة لا تنحصر وقد جعل

شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فى طريقته الأحمدية الذكر بالاثنين بالجملتين (لا إله إلا الله) . (محمد رسول الله) .

الاشارات والأسرار فى (محمد رسول الله)

وكلمة (محمد رسول الله) لها إشارات غريبة ، وأسرار عجيبة ، ينتفع الذاكر منها على قدر إشاراتها وأكثر من ذلك .

كلمة (محمد) ـ ﷺ ـ تحتوى على خمسة أحرف إشارة إلى قول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (بنى الإسلامُ على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان) [أخرجه البخارى ـ رحمه الله ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

والإشارة إلى أن هذه الأمور الخمسة لا تقبل ولا تنفع إلا بمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبدونها لا ينفع شىء من ذلك .

وقد قلت بفضل الله ـ تعالى ـ فى منظومتى المسماة : (روضة القلوب والأرواح) :

فإسم المصطفى فى الدين ركنٌ * وجاحدُهُ أضلُّ الجاحدينا

ولـلإشارة إلى الحواس الخمس التى بها الإدراك وهى السمع ، والبصر والشم ، والذوق ، واللمس إشارة إلى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سبب إدراك القرآن والحديث والعلم .

ولولاه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما أدرك الناس شيئًا من ذلك ، كما قال سيدى عبد السلام بن مشيش : (وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق) أى : أنزل الله ـ تعالى ـ علوم آدم ـ عليه السلام ـ من علومه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ فى همزيته :

لك ذاتُ العلوم من عالِم الـ * ـغيب ومنها لآدمَ الأسماءُ

وقال ـ رحمه الله ـ فى بردته :

وكلهم من رسول الله مُلْتمِس * غَرْفًا من البحر أورشْفًامن الدِّيم

والذى علم نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الله ـ سبحانه ـ وتعالى ـ وأثنى عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وعلّمكَ ما لم تكُنْ تعْلم وكان فضْلُ اللهِ عليكَ عظيماً** ﴾ [النساء : ١١٣] .

وللإشارة إلى أن الخلفاء خمسة : سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وسيدنا الحسن ـ رضى الله عنهم ـ كما فى الحديث : (**الخلافةُ بعدى ثلاثُون سنة ، ثم تكونُ مُلكًا عضُودًا**) .

وبعد وفاة سيدنا على ـ رضى الله عنه ـ وكرم الله وجهه ـ بقيت ستة أشهر تولى فيها الخلافة مكان أبيه سيدنا الحسن ـ رضى الله عنه ـ .

وإشارة إلى أن أصحاب العباء خمسة : سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيدنا على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ والسيدة فاطمة الزهراء ، وسيدنا الحسن ، وسيدنا الحسين ـ رضى الله عنهم ـ .

وذلك أن السيدة فاطمة الزهراء صنعت طعامًا فأعجبها وجاءت به إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومعها الحسنان ، فقال لها : أين على ؟ فقالت : بالمنزل ، فأمر بإحضاره ، فجاء فأكل معه ، ثم أدخلهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تحت العباءة ، ثم رفع يديه قائلاً : (**اللهم هؤلاءِ أهلُ بيتى وعِتْرَتى ، اللهم والِ مَنْ وَالاهم ، وعَادِ من عادَاهُم**) فنزل سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ وهو يقول : يا محمد : إن الله يهنئك بأهل بيتك ، ثم تلا عليه : ﴿ **إنما يُريدُ اللهُ ليذْهِبَ عنكُم الرجْسَ أهلَ البْيتِ ويُطَهّركُم تَطْهيرا** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . رواه الترمذى .

فليبشر كل من زار أضرحتهم وأحبهم بدعوة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المقبولة بولاية الله ـ تعالى له فى الدنيا والآخرة : (**اللهم والِ من والاهم وعادِ منْ عاداهم**) .

والحروف الخمسة فى اسم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تشير إلى الصلوات الخمس ؛ لأنها صلة بين العبد وربه ، ومناجاة وقربة إلى الله ـ تعالى ـ ولا يكون ذلك إلا به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

ألا ترى أنك فى الصلاة تذكر الشهادتين وتصلى وتسلم عليه وعلى آله ﷺ ، وذكرى لمعراجه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى السماء السابعة ؛ لأن الأركان السبعة توصل إلى السجود .

ولما وصل ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى السماء السابعة رأى ربه وهو ساجد ، فالركن الأول : تكبيرة الإحرام [1] والثانى : القيام لها ، والثالث : قراءة الفاتحة والرابع : القيام لها ، والخامس : الركوع ، والسادس : الرفع منه ، والسابع : السجود ، وهو تذكرة لسجوده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في السماء السابعة ، وقد قيل : إن الشىء بالشىء يذكر .

والخمسة تشير إلى الأمور الخمسة التى لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ : علم الساعة ، وعلم ما فى الأرحام ، وإنزال الغيث ، وعلم ما فى غد ، وعلم الموت بأى أرض ، وقد أطلع الله نبيه على علم الساعة وعلى كثير من خوارق العادات ، وعلمه من الغيب ما شاء .

والخمسة الأحرف تشير إلى أن السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ ستلد خمسًا وهم : سيدنا الحسن وسيدنا الحسين ، والسيدة زينب والسيدة رقية ، والسيدة أم كلثوم .

ألا والإشارة إلى أن أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ يوصفون بخمس صفات ينسبون إليها حتى يقال : وارض عن أصحابه المهاجرين والأنصار ، وأهل بدر ، وأهل أحد ، وأهل بيعة الرضوان .

والحروف الخمسة تشير إلى الأنوار الخمسة وهى : الأول : الله نور السموات والأرض ، والنور الثاني : النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ﴿ **قد جاءكم من اللهِ نورٌ** ﴾ [المائدة : ١٥] والثالث : نور الإيمان : ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلْنا له نُورًا** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] هو نور الإيمان ، والنور الرابع : نور الهداية ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **يهْدى اللهُ لنوره من يشاءُ** ﴾ [النور : ٣٥] والنور الخامس : نور القرآن العظيم والسنة الغراء ، قال ـ تعالى ـ :

---

(١) هذا على مذهب من لا يرى النية ركنا .

﴿ يُخْرِجُهم من الظلماتِ إلى النُّور ﴾ [البقرة : ٢٥٧] يعنى : نور الكتاب والسنة .

والخمسة أحرف تشير إلى المعارف الخمسة : المعرفة الأولى : معرفة الأرواح لربها يوم : ﴿ أَلَسْتُ بربكُم ﴾ [الأعراف : ١٧٢] والثانية : معرفة الآيات : ﴿ سَيريكُمْ آياتِه فتعْرِفُونها ﴾ [النمل : ٩٣] .

الثالثة : معرفة أهل الكتاب للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال ـ تعالى ـ : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . . ﴾ [البقرة آية ١٤٦] .

والرابعة : معرفة الأرواح كما فى حديث : (**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدة ما تعارَف منها ائْتَلَف وما تناكَرَ منها اخْتَلَف**) رواه البخارى ومسلم يعنى فى عالم الأرواح ، الخامسة : معرفة الله التكليفية التى أوجبها علماء التوحيد ، قال صاحب الجوهرة ـ رحمه الله ـ :

واجزمْ بأنَّ أولاً مما يجب * معرفةُ وفيه خُلفُ منتصب

والحروف الخمسة تشير إلى الأنهار الخمسة ، النيل والفرات ، ونهران فى الجنة والكوثر ، إشارة إلى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سبب الحياة الإسلامية الإيمانية ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجعلْنا من الماءِ كلَّ شىءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

والحروف الخمسة تشير إلى الأحوال الخمسة : حياة الأرواح حين خلقها الله ـ تعالى ـ بقوله : (كن) ، وموت الأجساد قبل نفخ الروح فيها ، وحياة الأجسام بعد نفخ الأرواح فيها ، وبعث الأجساد بعد خروج الأرواح منها ، وحياة الأجساد بعد رجوع الأرواح فيها .

والأحرف الخمسة تشير إلى أحوال العالم الخمسة : الأولى : إذا اشتغل بعلم الفقه فهو فقيه ، الثانية : إذا استطاع الترجيح فى مذهبه فهو مرجح ، فإن علم قواعد إمامه واجتهد عليها ، فهو مجتهد مذهب ، فإن علم قواعد الأئمة الأربعة واجتهد فهو مجتهد المذاهب ، الخامسة : إذا بلغ رتبة الاجتهاد المطلق فهو مجتهد مطلق .

والحروف الخمسة تشير إلى أحواله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الأولى : فى عهد ما قبل الرسالة ، الثانية : حال حياته بعد الرسالة ، الثالثة : حال حياته أيام الجهاد ، الرابعة : حال حياته بعد فتح مكة ، الخامسة : طور حياته فى عالم البرزخ .

والأحرف الخمسة تشير إلى أحوال الوحى الخمسة : الحالة الأولى : أحيانًا يأتى مثل صلصلة الجرس وهو أشده تجليًا ، الثانية ، يأتى فى صورة إنسان ، الثالثة : بالإلهام ، الرابعة : فى المنام ، الخامسة : ليلة المعراج بلا واسطة .

والحروف الخمسة تشير إلى أنواع العصمة الخمسة : عصمة قبل النبوة ، وعصمة فى القرآن ، وعصمة فى السنة ، وعصمة فى أحواله الشرعية والنوع الخامس : عصمة فى أحواله العادية ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

والحروف الخمسة تشير إلى أحواله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الموت : الأولى : حياته بعد الموت بحياة تفوق حياة الشهداء ، الثانية : سماعه سلام من يسلم عليه ، الحالة الثالثة : ردّه سلام من يسلم عليه الحالة الرابعة : معرفته لمن يسلم عليه ، الحالة الخامسة : أنه فى روضة من رياض الجنة إلى يوم القيامة .

والأحرف الخمسة تشير إلى شىء من بركاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : البركة الأولى فى ذريته ، والثانية فى أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ الثالثة : لمن دعا لهم بالبركة ، الرابعة : فى مُدِّ أهل المدينة وصاعهم ، الخامسة : فى ثمرها وفى ترابها وأنهما شفاء .

والأحرف الخمسة تشير إلى أنواع الشفاعة : شفاعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الدنيا وشفاعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لفصل القضاء وشفاعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأصحاب الكبائر من أمته ، وشفاعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأهل زيارته ، والخامسة : هى شفاعة الله ـ تعالى ـ وهى آخر الشفاعات .

الأولى شفاعته فى الدنيا ، منها أن الله ـ تعالى ـ رفع به ـ صلى الله عليه وآله سلم ـ العذاب عن أهل الأرض ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **وما كان الله ليعذبهم**

وأنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] ، والثانية : شفاعة فصل القضاء يوم القيامة حينما يقول ـ ﷺ ـ (أنَا لهَا . أنَا لهَا) رواه البخارى وغيره فيسجد تحت العرش ويفتح عليه بمحامد . فيسمع النداء : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفَع وسل تعط ، والثالثة : الشفاعة لأهل الكبائر من أمته ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (دعْوتِى شفَاعَتِى ادّخرْتها لأهلِ الكبائِر من أمّتِى) رواه أبو داود والترمذى الرابعة : شفاعته لمن زاره قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (من زَارَنِى وجبتْ له شَفَاعتى) والشفاعة الخامسة لله ـ تعالى ـ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (يأتى الله ـ تعالى ـ إلى من فى جهنم وينادى : أخرِجُوا مَنْ كان فى قَلْبِه مثقالُ حبةِ خردَلٍ من إيمان) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

والحروف الخمسة تشير إلى الصفات الخمسة التى فى الآية : ﴿ يا أيها النبى إنا أرْسلْنَاكَ شاهِدًا ومُبشرا ونَذيرًا * وداعِيًا إلى اللهِ بإذْنِه وسرَاجًا مُنيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] الصفة الأولى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شاهد ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ فكيفَ إذا جئْنَا من كلّ أمّةٍ بشهيد وجئْنا بكَ على هؤلاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] .

ومن أسمائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (شاهد) ، الصفة الثانية مبشر ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وبشرِ المؤمنينَ بأنَّ لهم من اللهِ فضلًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] . الثالثة : نذير ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وأنذرْهُمْ يومَ الآزِفَةِ ﴾ [غافر : ١٨] . الرابعة : أنه داع إلى الله ـ تعالى ـ قال ـ تعالى ـ : ﴿ وداعِيًا إلى اللّهِ بإذْنِه ﴾ [الأحزاب : ٤٦] . الصفة الخامسة أنه سراج منير وأن منه ـ ﷺ ـ توقد جميع السرج القلبية للمؤمنين .

وقد وصف الله ـ تعالى ـ الشمس بأنها سراج ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجعلْنَا سراجًا وهَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٣] وقد وصف الله ـ تعالى ـ القمر بأنه منير ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقَمرًا مُنيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] . فكأنه ـ سبحانه ـ يصف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنه شمس وقمر .

والخمسة أحرف إشارة إلى أن أركان الحج خمسة : وهى النية والإحرام ، والوقوف بعرفة ليلاً ، وطواف الإفاضة ، والسعى .

والحروف الخمسة تشير إلى أن أحزاب شيخنا خمسة ، وأن المواظبة عليها توصل إلى الحضرة المحمدية .

وتشير الحروف الخمسة إلى تقسيم الغنائم ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **واعْلموا أنَّما غَنِمْتُم من شيءٍ فأنّ لله خُمُسَه** ﴾ [الأنفال : ٤١] إشارة إلى أن الغنائم لم تحل قبله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأحد من الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ .

وتشير الحروف الخمسة إلى العوالم الحية الخمسة : عالم الإنس وعالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الحيوان ، وعالم النباتات ، للإشارة إلى الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ : (**لَوْلاَك لولاكَ ما خَلقْتُ الأَفْلاَكَ**) ، وإلى الحديث الذى رواه الحاكم ـ رحمه الله ـ : أن الله خاطب سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ لما توسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**لولاه ما خَلقْتُك**) رواه الحاكم والإمام أحمد وجاء به السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه فى مولده .

وقال فخر الدين الرازى ـ رضى الله عنه ـ عند زيارته لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : .

أنت الذى لولاك ما خُلِقَ امرؤٌ * كلا ولا خُلِقَ الورى لولاكا

وقال الشيخ السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ فى الصلاة الرابعة : « فظهرت صور الحسن من فيضه فى أحسن تقويم ، ولولا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم » .

وقال الشيخ سيدى أحمد بن الرفاعى ـ رضى الله عنه ـ فى صلاته على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد أجازنى بها السبط سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما منذ ثلاثين سنة : (فهو سرك القديم السارى ، وماء جوهر الجوهرية الجارى الذى أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات) .

وتشير الأحرف الخمسة إلى أنه صاحب الشفاعة لأن كلمة شفاعة خمسة أحرف وتشير إلى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الوسيلة العظمى لأن كلمة وسيلة خمسة أحرف .

وتشير إلى أن السيدة فاطمة الزهراء بنته وبضعته رضى الله عنها لأن كلمة فاطمة خمسة أحرف .

وتشير إلى أن روضته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تكون بالمدينة المنورة لأن كلمة مدينة خمسة أحرف .

وتشير إلى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صاحب الزيارة لأن كلمة زيارة خمسة أحرف .

احكام زيارته صلى الله عليه وآله وسلم

وإنى أقول بقول القائلين بوجوب زيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما ذكر ذلك الشوكانى ـ رحمه الله ـ حيث قال (باب من قال بوجوب زيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإنى اعتقد ذلك لعلو شأنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند ربه تعالى ، بمعنى أن الزائر له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يثاب ثواب الواجب ؛ لأنه يجب على المؤمن أن يعتقد أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل خلق الله أجمعين ، وأفضل من اللوح والقلم والعرش والكرسى والملائكة والأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ، وأفضل من الكعبة والحرم وعرفات ومنى .

فإذا توجهت إلى زيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يجب عليك وجوبًا شرعيًا أن تعتقد أنك متوجه إلى أفضل الخلق عند الله ـ تعالى ـ وأقربهم إليه وأحبهم له ، ويجب عليك أن تحبه أكثر من محبتك لأولادك ووالديك ولنفسك التى بين جنبيك .

واسمع قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من رواية البخارى ـ رحمه الله ـ :
(لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِه ووالدِه والناسِ أجمعين) .

وقوله :

(لا يؤمن أحدُكم حتى تكونَ ذاتِى أحبَّ إليهِ من ذاتِه ، وعترتِى أحبَّ إليه من عِترتِه) .

والعترة هى : القرابة .

قال الجعفرى : وإلى هنا قد تركت الكلام على زيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن أراد أن يطلع اطلاعًا محققا ، فليقرأ كتاب (شفاء السقام فى زيارة قبر النبى ـ عليه الصلاة والسلام) ـ للشيخ تقىّ الدين السبكى مؤلف (جمع الجوامع فى علم الأصول) ، وكتاب (الدرّ المنظم فى زيارة القبر المعظَّم) للشيخ ابن حجر الهيثمى ، وإن شاء الله سأجمع كتابًا فى الزيارة ، وكتابًا فى مناقب آل البيت . رضى الله عنهم . أسأل الله التوفيق .

عود إلى الاشارات فى (محمد رسول الله)

وحروف سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خمسة أحرف تشير إلى كلمة مجاهدة ، والمجاهدة قسمان : مجاهدة النفس ويسمى الجهاد الأكبر ، ومجاهدة العدو ويسمى الجهاد الأصغر ، والسبب فى ذلك أن مجاهدة النفس توصل إلى جهاد العدو ، ومن لم يجاهد نفسه فاته الجهادان .

ومن أسمائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (نبى الملاحم) ، وكلمة ملاحم خمسة أحرف تشير إلى أنه ـ ﷺ ـ نبى الجيوش التى تجاهد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى ـ قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وجاهِدوا فى الله حَقَّ جهادِهِ هُوَ اجتَبَاكُم ﴾ [الحج : ٧٨] . وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو وأصحابه هكذا ؛ لأن الله ـ تعالى ـ اصطفاه واجتباه ؛ ليكون إمام المرسلين وخاتم النبيين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ، واجتبى أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ ؛ ليكونوا أصحابًا له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، واجتبى أهل بيته ـ رضى الله عنهم ـ ليكونوا أهل بيت له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

قال السبط سيدنا الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ : (إن الله تعالى لم يبعث نبيًا حتى يختار له قومًا ورهطًا وأهل بيت ، وقد اختارنا الله ـ تعالى ـ أهل بيت لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم) .

ويمتد الاجتباء إلى أمته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لقوله تعالى :

﴿ كنتم خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

(قلتُ) : أى : لأن الذى بعث إليهم هو خير الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ، فالكتاب الذى أنزل عليه هو خير الكتب وأفضلها وأجمعها والبيان الذى بينه كذلك . وأهل بيته ـ ﷺ ـ أفضل أهل بيوت الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ، وبلده الذى ولد فيه أفضل البلاد ، وزمنه أفضل الأزمنة ، وينقسم إلى أقسام :

الزمن الذى كان فيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ثم زمن الصحابة رضى الله عنهم . ، ثم زمن التابعين ـ رضى الله عنهم ـ ، ثم زمن أولادهم ـ رضى الله عنهم ـ وتمتد الأفضلية إلى يوم القيامة على حسب تقوى المسلمين ، وتمسكهم بالدين . والبلد الذى دفن فيه ـ ﷺ ـ خير البلاد ؛ لقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

(اللهم كما أخرجتنى من أحبِّ البلادِ إلىّ فأسكِنّى أحبَّ البلاد إليك) رواه الحاكم،وأمته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل الأمم ، وقد أقسم الله ـ تعالى ـ بذاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بقوله :

﴿ لعمرُك إنهم لفى سكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] .

وأقسم ـ سبحانه وتعالى ـ ببلده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قوله :

﴿ وهذا البلدِ الأمينِ ﴾ [التين : ٣] .

وأقسم سبحانه بزمنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قوله : ـ ﴿ والعَصرِ ﴾ [العصر : ١] .

قال بعض المفسرين : أقسم الله ـ تعالى ـ بزمنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأنه خير الأزمنة : وقلت فى قصيدة لى بفضل ربى العلى :

دار الحبيب أحق أن تهواها * وتحنُّ من طرب إلى ذكراها
دار بها سكن النبىُّ محمدٌ * طابت به الدنيا وطابَ ثَرَاها

وكلمة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خمسة أحرف ، فإذا كررت ثلاث مرات ، صارت خمسة عشر تشير إلى العترة الطاهرة النبوية وهم : سيدنا على ، والسيدة فاطمة الزهراء ، وسيدنا الحسن ، وسيدنا الحسين ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ ؛ لأن حروفهم خمسة عشر حرفًا .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**من كنتُ مولاه فعلى مولاه**) رواه الترمذى وأحمد وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**يا على : أما ترضَى أن تكونَ مبنِى بمنزلةِ هارون من موسى غيرَ أنه لا نبى بعدى**) . رواه البخارى والترمذى وابن ماجة .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**يا على : لَا يبْغَضُكَ إلا منَافِقٌ**) . رواه الترمذى وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى خيبر :

(**لأعطينَّ الرايَة غدًا رَجُلًا من الصالحِينَ يحبُّ الله ورسولَه ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه**) . رواه ابن ماجة .

فأعطاها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سيدنا عليًا ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ وقام صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأخذ بيد الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وقال : (**هذه فاطمةُ بنتُ محمدٍ من لم يعرفْهَا فلْيَعْرِفْها . فاطمةُ بضعةٌ منى مَنْ أغضَبها فقد أغْضَبَنِى**) . رواه مسلم .

(قلتُ) : وفى هذا الحديث إشارة إلى تمام الاتصال بينه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبين عترته ـ رضى الله عنهم ـ .

ومفهوم الحديث : ومن أحبها فقد أحبنى ، وقد تلقيت هذا الحديث عن شيخى محمد إبراهيم السمالوطى حينما كنت أحضر عليه صحيح مسلم فى مسجد سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ .

وحديث أنها (**سيدةُ نساءِ العالَمِين فى الجنَة**) . رواه البخارى ومسلم وقد تلقيته عن شيخى الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى حينما كان يقرأ كتابه (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم) ، وكنت بفضل الله تعالى ـ مقرئا له سنين عديدة ، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

(**الحسنُ والحسينُ سيدا شبَابِ أهلِ الجنَّةِ**) . رواه الترمذى .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأشار إلى حسن وحسين :

(**من أحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معى فى دَرَجَتِى يوم القيامة**) . رواه الترمذى وأحمد .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو على المنبر ، وبجواره السبط سيدنا الحسن ـ رضى الله عنه ـ ، وأشار إليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال :

(**إن ابنى هذا لَسَيِّدٌ ، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فِئَتَيْن من المسلمين عَظِيمتَيْن**) رواه البخارى .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأشار إلى السبط سيدنا الحسن رضى الله عنه :

(**لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ من ضِئْضِىءِ ابنى هذا من يصلّى عيسى بنُ مريمَ خَلْفَه**) والضئضىء : عظام الظهر .

تلقيته عن شيخى الشنقيطى ـ رحمه الله ـ ، وأعوذ بالله من دعوى العلم من غير حضور على مشايخ ، ومن غير الشهادة العالمية التى حكم علماء الأزهر بأن من لم يحملها لا يكون عالمًا يثق العلماء بعلمه ، ولا يتولى الوظائف الدينية من إمامة وقضاء ووعظ وهكذا .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حق السبط سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ (**حسينٌ منى وأنا من حُسين**) تلقيته عن مشايخى بالأزهر ، ثم رأيته فى نسخة مخطوطة للشيخ محمد الزرقانى المالكى الأزهرى شارح موطأ الإمام مالك ، وشارح المواهب اللدنية للقسطلانى قال بعد ذكره : هذا حديث صحيح وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**من أرادَ أن ينظُرَ إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على**) .

وقد شرحت فى كتاب (المنتقى النفيس) حديث : (**حسينٌ منى وأنا من**

حسين) بأنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كالشمس ، وحسين منى أى : شعاع برز للكون من الشمس ، ومعنى (وأنا من حسين) : أنا متصل بالحسين كما تتصل الشمس بشعاعها ، وهذا عام فى جميع أهل بيته ـ رضى الله عنهم ـ لأنهم يتصلون به ـ ﷺ ـ كما يتصل شعاع الشمس بالشمس قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**كل نسب وصِهْرٍ ينقطع يوم القيامة إلا نَسبى وصِهْرى**) رواه أحمد قال شيخنا الشنقيطى ـ رحمه الله ـ : لما بلغ سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ هذا الحديث خطب السيدة أم كلثوم من سيدنا علىّ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ فكانت زوجة له رضى الله عنه وعنها .

وقد قلت فى قصيدة لى :

الجعفرى له فى حبكم أمل * ما خاب مَنْ جاءكم بالحب والأمل
يرجو بكم من رسول الله نظرته * تهدى الفؤاد لفهم العلم والعمل
إذ أنتم منه أنوارٌ مباركة * لها اتصالٌ به كالشمس فى المثل

وهذه القصيدة لها سرٌ عظيم ، وفى عام اثنتين وتسعين بعد الثلثمائة والألف رأيت جدى سيدنا عليا ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ بالمدينة المنورة ، فقال لى : أتحفظ قصيدة : الجعفرى له فى حبكم أمل .

فقلت له : نعم ثم استيقظت من منامى ، فعلمتُ أنه يعاتبنى حيث لم أذكر اسمه فيها ، فذكرت اسمه ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ وزدت فيها هذه الأبيات :

أذكر عليا إذا ما جاء مبتدرًا * أهل العداوة فى بَدْرٍ بلا مهل
والسيف يلمع فى يمناه ذو خطر * أردى الأعادى أهيْلَ الرمح والأسلِ
له زئيرٌ كمثل الأسْد فى أجَمٍ * يردى الأعادى بوهم الرعبِ والوَجَلِ

بشائر النسب الجعفرى :

والحمد لله من فضل الله علىّ قد رأيت أجْدادى جميعًا ، وهم يعرفوننى وأعرفهم وقد أقر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأن جدى سيدنا جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ ، وذلك أننى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله

وسلم ـ ومعه الخلفاء الأربعة الراشدون ، فسلمت عليه ، وعلى الخلفاء رضى الله عنهم .

ولما سلمت على سيدنا على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ ، أمسكت بيده ، وقلت له : إننى محسوب عليك ، إننى من ذريتك ، إننى من ذرية سيدنا جعفر الصادق ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم جالسًا ، فنظر إلينا ، ولما قلتُ من ذرية سيدنا جعفر الصادق قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : نعم ! وأشار برأسه من أعلى إلى أسفل مصدقا على قولى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وقبل ذهابى إلى الحج فى هذه السنة عام ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف رأيت سيدنا الحسين فى مقامه ، وسلمتُ عليه ، ومن محبتى فيه قلت له : مَنْ أنا ؟ قال : الجعفرى .

قلت له : إننى من ذريتك ، وإن أهلى يشبهونك ، كأنى أعرفه بأننى من ذريته فرفع صوته قائلا : (سام وحام ويافث أبناء نوح ـ عليه السلام ـ أنا أعرفهم ، وأعرف ذراريهم) . ، ثم شرع يشرح فى ذرية سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ ، ففهمت من كلامه ـ رضى الله عنه ـ كيف لا أعرف ذريتى ، وقد أطلعنى الله ـ تعالى ـ على ذرية أبناء نوح ـ عليه السلام ـ ولى رسالة صغيرة سأبين فيها إن شاء الله ـ تعالى ـ اتصالى بأجدادى ، رضى الله عنهم ـ مبينًا ذلك بالنسب الظاهر ، وبما ثبت فى الباطن ، وقد قالوا : النسب يظهره العلم ، ويخفيه الجهل ، وينفع صاحبه إذا أيقن به واحترمه ، وعمل ما ينجيه من النار ، ويخلصه من غضب الله ـ تعالى ـ .

قال عليه الصلاة والسلام : (**من بطَّأَ به عملُه لم يسرعْ به نسبُهُ**) أبو داود والترمذى أى من كان عمله سيئا ، وأخره عن دخول الجنة ، لا يدخله نسبه الجنة .

والخمسة أحرف تشير إلى أحوال الإنسان الخمسة فى عوالمه وهى .

عالم الأرواح ، وعالم البطون ، وعالم الدنيا ، وعالم البرزخ والقبور ، وعالم الآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : (**الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ ما تعارفَ منها ائتلفَ ، وما تناكرَ منها اختلفَ**) رواه البخارى ومسلم .

بيان مكانته صلى الله عليه وآله وسلم

فالذين تعارفوا به ـ ﷺ ـ فى عالم الأرواح عرفوه فى الدنيا وأسلموا وآمنوا به ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿ وذكِّر فإنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤْمنينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

فذكرهم معرفتهم بك فى عالم الأرواح ، فهو ﷺ المعروف للأرواح فى عالمها ، وفى عالم البطون يكتب الملك سعادة السعيد ، ولا يكون السعيد سعيدًا إلا بمتابعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفى عالم الدنيا لا يكون المسلم مسلماً إلا بالشهادتين ، ولا تكون النجاة فى الدنيا والآخرة إلا بمتابعته ـ ﷺ ـ وفى عالم البرزخ والقبور إذا قال الملك للمؤمن (ما تقول فى هذا الرجل) ، فإنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يحضر إذا ذاك ويراه الميت .

وفى يوم القيامة المؤمنون يَرِدُون عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الحوض المورود ، ويشفع شفاعة فصل القضاء ، ويشفع لأهل الكبائر من أمته ويرونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الجنة ، فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

كما قال سيدى أحمد الرفاعى ـ رضى الله عنه ـ : (ماء جوهر الجوهرية الجارى) وكما قال سيدى عبد الكريم الجيلى ـ رضى الله عنه ـ : (السر السارى فى سائر الأسماء والصفات) ، وكما قال سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه : « وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك » .

وكما قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ : (الذى منه امتدت جداوِل جميع الإلهِيِّين) .

وكما قال البوصيرى ـ رضى الله عنه ـ :

أنت مصباحُ كلِّ فضلٍ فما تَصْـ ❊ ـدُرُ إلا عن ضوئك الأضواءُ

وكما قال الرافعى ـ رضى الله عنه ـ :

أنت شكلٌ من محضِ نورٍ تشخَّص ❊ وبمشكاتِه الوجود تقمص
❊ وبألآئه لدى من تَفَحَّصْ ❊

أنت مصبـاحُ كل فضـل فما تصـ * ـدر إلا عن ضوئـك الأضـواء

وكما قال شيخنا السيد بن إدريس - رضى الله عنه - : (مبدأ الكل ومرجع الكل وهو الكل فى الكل بلا بعض ولا كل) .

وكما قال رضى الله عنه : (فيوض الجمال والجلال والكمال) .

وكما قال رضى الله عنه مخاطبًا النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - : (يا مصب ينابيع ثجاج الأنوار السُّبحانيَّاتِ) .

وأخيراً أقول كما قال السيد محمد عثمان الميرغنى - رضى الله عنه - : (ولو أخذت فى النقل لتهت فى وسع هذا الميدان) .

وكما قال - رضى الله عنه - :

(الحمـد لله الذى اصطفى لمحبته الذات المحمدية من القدم ، وجعلها واسطة لكل إنسان ، وأمدها بأنواره العظيمة الشعشعانية ، وأوصل إمدادها لجملة الأعيان) .

قلت : يشـير - رضى الله عنـه - إلى حديث سيدنـا جابـر بن عبد الله الأنصـارى - رضى الله عنـه - الذى منه : (**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**) . رواه عبد الرزاق اليمنى . وبقوله (وجعلها واسطة) إشـارة إلى قوله - تعالى - :

﴿ **وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النَّبيِّينَ لَما آتيتُكُم من كتابٍ وحِكْمَةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم لَتُؤْمِنُنَّ به ولَتَنْصرُنَّهُ قالَ أأَقْرَرْتم وأخَذْتُم على ذلكم إصرى قالُوا أقْرَرْنا قال فاشْهَدُوا وأنا معكم من الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨١] .

فالإيمان به - ﷺ - واسـطة فى إعـطاء النبيين والمـرسلين النبـوة والرسالة - صلوات الله وسـلامـه عليهم أجمعين - فلولا إقرارهم بالميثاق الذى أخذه الله عليهم وهو الإيمان به - صلى الله عليه وآله وسلم - ونصره إذا أدركهم زمنه ما نالوا النبوة والرسالة وهو - ﷺ - واسطة فى إسلام كل مسلم إذ أنَّ كل مَنْ لم يقل (محمد رسول الله) لا يكون مسلما ولا مؤمنًا ، وهو - صلى الله عليه وآله وسلم -

الواسطة فى رفع العذاب عن كل إنسان وحيوان ، إذ هو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الواسطة في رفع العذاب عن الأرض ـ قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وما كان اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنت فيهم ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

وهذا شىء يسير من معانى كلام السيد الختم ـ رضى الله عنه ـ ولو شرحه عارف من العارفين بالله تعالى لملأ منه كراريس .

عود إلى الإشارات فى (محمد رسول الله)

وتشير الأحرف الخمسة إلى بعض ترقيات الروح الخمس وهى : سالك ومالك ومقام الرهبة ومقام الرغبة ومقام الشهود :

أما السالك ، فهو الذى أخذ طريق السادة الصوفية ، وسلكه على حسب شروطهم ، وأما المالك ، فهو الذى ملك نفسه وهواها بسبب الأذكار التى يذكرها ، والأوراد التى يتلوها .

لقد جعل شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فى أوراد طريقته الأحمدية كل يوم شيئا من القرآن ، وشيئا من الأحاديث النبوية ؛ لتستنير الروح بأنوار الألوهية ثم بالأنوار المحمدية ، وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : طريقنا الكتاب والسنة ، وكان ـ رضى الله عنه ـ يلازم تفسير القرآن ، وشرح السنة فى دروسه .

فمن واظب على ذلك ، فلابد إن شاء الله ـ تعالى ـ أن يملك نفسه ، قال أبو البركات الشيخ الدردير المالكى ـ رضى الله عنه ـ :

ويا مالك ملِّك جميع عوالمى * لروحى وخلِّص من سواك عقولنا

ومعنى ذلك أن : النفس لها ميول إلى الخير ، ولها ميول إلى الشر ، فهو يسأل الله ـ تعالى ـ أن يُغَلِّب ميول نفسه إلى الخير على ميولها إلى الشر ، كما فى الآية : ﴿ إن النفسَ لأمارةٌ بالسوء إلا ما رحم ربِّى ﴾ [يوسف : ٥٣] .

فمن رحمه الله ـ تعالى ـ بالتوفيق لذكره وللتوبة ، والاستقامة غلب خيره شره . ومقام الرهبة ، هو مقام الخوف من الله ـ تعالى ـ كما قال تعالى :

﴿ ويخافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

ومقام الرغبة هو رجاء رحمة الله تعالى ـ كما قال تعالى : ﴿ ويرجُونَ رحمَته ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

ومقام الشهود أوله عند الصوفية تجلى الأفعال ، وآخره أشار إليه شيخنا ـ رضى الله عنه ـ بقوله (حتى أشاهدك مشاهدة خارجة عن المحسوسات والمعقولات) والفضل فى ذلك كله راجع إلى الله ـ تعالى ـ ثم إلى الواسطة فيه ، وهو رسول الله ـ صلى الله عليه آله وسلم ـ ، قال تعالى : .

﴿ وقالواْ حسبُنا اللَّهُ سيُؤْتِينَا اللهُ من فضلِهِ ورسولُهُ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

فإذا ذكرت (لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) أفاض الله على قلبك شيئا من معانيها التى هى بحار متلاطمة ، وأسرار متراكمة ، وأنهار تجرى ، وأسرار تسرى .

فعليك بها يا أخانا ؛ لتعرف كلامى هذا لعلك أن ترشد إلى طريق شيخنا سيدى أحمد أما إذا تركت الأذكار ، فاعلم أنه لا تلوح لك الأسرار ، وإيش حال من ترك أرضه بلا زرع ! ، وإيش حال الزارع وكم له من نفع ! ، لا تعطل الإبل فقد وقفت على بابك بأقتابها ، عن أن تملأ الحقائب معرضًا عن الدنيا وسرابها ، وقد ملأ المغاربة من كنوز الأحزاب حقائبهم ، وبلغوا بتوفيق الله تعالى مما يريدون مآربهم ، فانهلت عليهم الأحزاب بميازيبها ، فأعرضواْ عن زخارف الدنيا وأكاذيبها ، فأحزابنا تشرحها الأرواح العالية ، وتدركها النفوس الفانية ، فما دراها من لها ترك ، وهى تدور على قلب تاليها كدورة الفلك لمعانيها الربانية ، وأسرارها المحمدية ، وأنفاسها الأحمدية ، الساقى للتالين لها من أنتم فى كفالته ، والدليل لأرواحهم من أنتم فى طريقته .

فلا تنس أيها المريد الساقى ولا الدليل ، وقل حسبنا الله ونعم الوكيل ولهذا التهليل نهران : نهر إلهى ، ونهر محمدى ، النهر الإلهى ممتد من قولك : (لا إله إلا الله) والنهر المحمدى ممتد من قولك (محمد رسول الله) والنهر الإلهى فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] .

والنهر المحمدى فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ إنَّا أعطيْناك الكوثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] . ﴿ إن هذا كان لكم جَزاء وكان سعيكُم مشكُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٢] .

أى : لأنكم قلتم (لا إله إلا الله) وسعيتم فى واجباتها المطلوبة منكم ، فمن نطق بالشهادتين ، فليبشر بالشراب من النهرين ، وجزاء الأعمال على قدر الكثرة والإخلاص والإقبال .

و (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تشير إلى الرحمتين اللتين فى الآيتين :

الأولى : ﴿ ورحمتى وسِعت كلَّ شىءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

والثانية : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

فمن ذكر بالشهادتين ، انهلت عليه ميازيب الرحمتين .

وقد لقن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شيخنا رضى الله عنه الشهادتين ، وأمره أن يلقنها أصحابه ، وقال له صلى الله عيه وآله وسلم ـ :

(خزنتها لك يا أحمد . . . الخ) .

من أسرار معانى كلمة التوحيد :

ومن أسرار معانيها هذا العلم الذى ستقرؤه ، وهو يجب عليك أيها المريد أن تحفظ هذه الأشياء :

الدين ثلاثة أشياء : إسلام وإيمان وإحسان .

وأما أموره ، فثلاثة أشياء : امتثال أمر ، واجتناب نهى ، ورضاء بقضاء وقدر .

وقال النووى ـ رحمه الله ـ : هو أربعة أشياء ، الصحة فى العقد ، والصدق فى القصد ، والوفاء بالعهد ، واجتناب الحد .

فمعنى الصحة فى العقد : الاعتقاد الصحيح فى ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته وأفعاله وأسمائه .

ومعنى الصدق فى القصد : الإخلاص لله ـ تعالى ـ فى العبادة .

ومعنى الوفاء بالعهد : امتثال ما أمر الله ـ تعالى ـ به .

ومعنى اجتناب الحد : اجتناب ما نهى الله ـ تعالى ـ عنه ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واعلم أنه لا يصح قول الإيمان إلا بالعمل ، ولا يصح قول وعمل إلا بنية ، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة ، وفى هذه كفاية لمن لاحظته العناية ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن لَمْ يجعلِ اللَّهُ له نُورًا فما لَهُ من نورٍ** ﴾ [النور : ٤٠] .

وأما الإسلام فأصوله خمسة : أصل صدرت عنه الأصول ، وأصل يأتى بالأصول ، وأصل تأتيه الأصول ، وأصل تفرعت منه الأصول ، وأصل ترجع إليه جميع الأصول ، فالذى صدر عنه الأصول هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، والذى يأتى بالأصول هو سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ ، والذى يأتيه الأصول هو سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، والذى تفرعت عنه الأصول هو القرآن الكريم .

والذى ترجع إليه جميع الأصول هو التوحيد والاقتداء بالقرآن وسنة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأكل الحلال ، واجتناب الحرام ، والشفقة على خلق الله ـ تعالى ـ ، من عمل بذلك عاش بخير ، ومات بخير إن شاء الله ـ تعالى ـ .

وشروط الإسلام ثلاثة : معرفة الفردانية ، والإقرار لله ـ تعالى ـ بالوحدانية ، ولسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالرسالة .

وأركان الإسلام خمسة : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً .

وإن قيل لك ما أدلة الإسلام ؟ فقل : دال ودليل ومستدل وبيان : فالدال هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، والدليل هو جبريل ـ عليه السلام ـ ، والمستدل هو سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، والبيان هو القرآن العظيم .

وواجباته : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وشروطه : بر الوالدين ، وصلة الرحم ، وحفظ الفرج ، وغضّ البصر ، وكفّ الأذى عن خلق الله ـ تعالى ـ ، وامتثال العلماء .

وعلاماته : أداء الفرائض فى أوقاتها على التمام ، ومعرفة شروط الصلاة وفرائضها وسننها ومكروهاتها ومفسداتها ، وغض البصر ، وحفظ القلب واللسان ، وحفظ المعاملة مع الله ـ تعالى ـ ومع خلقه والشفقة عليهم والنصيحة لهم .

وشعائره اثنا عشر وهى : سنن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهى : قصّ الشارب ، ونتف الإبط ، والختان ، وحلق العانة ، وتشييع الجنازة وبذل السلام ، والإصلاح بين المسلمين ، وإكرام الضيف ، وكفّ الأذى عن الجار ، وترك مجالسة الأشرار ، وترك الهجران فوق ثلاثة أيام ، وإكرام أهل العلم الصلاح

ومصطلحاته ثلاثة : الصدق فى القول ، والصفاء باطنًا وظاهرًا ، وانعفو من غير عتاب .

ومفسداته سبعة : الاقتداء بالمضلِّين ، وضيق اليقين ، وغش المسلمين ، والكذب ، والكبر ، والرياء ، والدعوة بغير حق واف .

وأما الإيمان فأصوله سبعة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله ـ تعالى ـ .

وقواعده وأركانه : التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان : والإيمان معروف بالقلب وعلاماته : الصدق من غير عذر [1] ، والرضا من غير فجور ، والعمل من غير تقصير ، والصفاء من غير تكدير ، والإخلاص من غير رياء ، والزهد من غير طمع ، والصبر من غير ضجر ، والذكر من غير غفلة ، والمودة من غير جفاء ، واليقين من غير شك ، والتواضع من غير كبر ، والعدل من غير ظلم ، وأرضه قلوب المؤمنين ، وأصله اليقين ،

---

(١) أى : مخلصا لوجه الله تعالى .

وعروقه الصدق ، وغصونه الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وورقه الخوف من الله ـ تعالى ـ ، وثمره الموحدون ، ونهايته العلم ، ومأواه كلام الله ـ تعالى ـ واسم الشجرة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وورقه الحياء ، ونوره العلم ، وصفاؤه ملازمة الذكر وسنن الشريعة وتصديق اليقين ، وسماؤه الزكاة ، ومطيته التقوى ، وعلاماته حب الأنصار ، واتباع الآثار ، والتمسك بشريعة النبى المختار ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

هذه هى حقيقة الإيمان الخالص المنجى لأهله من المهالك ، سلك الله بنا ، وبأحبابنا أحسن المسالك .

وأما الإحسان : فهو نهاية الإيمان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك من حيث لا تراه .

وشروطه : المتابعة : وأركانه المجاهدة ، وعلاماته الكرم بطيب نفس ، وفروعه الصبر على الطاعات ، والتسليم لرب الأرض والسموات ، وثمره محبة الله ـ تعالى ـ ومحبة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومحبة المؤمنين .

وأما نهايته فهى العجز عن معرفة الله ـ تعالى ـ لا إله إلا هو ، ولا يعلم ما هو إلا هو ، أزمة الأمور جميعها بيده ، ومصدرها منه ، ومردها إليه .

ويدخل فى التهليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمنُ الرحيمُ** ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

فالرحمن : هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائق النعم .

فالمعنى : لا منعم بالنعم كبيرها وصغيرها إلا الله ، فحينما تذكر لا إله إلا الله تستشعر هذا المعنى بقلبك ، ويكون ذلك من باب الشكر لله ـ تعالى ـ على جميع نعمه ، قال ـ تعالى ـ ﴿ **وما بكم من نعمةٍ فمن الله** ﴾ [النحل : ٥٣] .

وقال ـ تعالى ـ ﴿ **وإن تعدُّوا نعمةَ الله لا تحصُوها** ﴾ [النحل : ١٨] .

فالاعتراف بالنعم شكر ، وامتثال الأمر واجتناب النهى شكر ، والحمد لله

على نفس النعم شكر ، والحمد لله لذاته لكونه يستحق الحمد شكر ، وهو من أجل طبقات الشكر ، والحمد لله على نعيم الجنة شكر ، قال ـ تعالى ـ .

﴿ **وقالُواْ الحمدُ لله الَّذى صدقنا وعدَه وأورثنا الأرْضَ نتبوأُ من الجنةِ حيث نشآءُ** ﴾ [الزمر : ٧٤] .

ومن معانى التهليل : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ .

يعنى : واحد فى ذاته ، وفى صفاته ، وفى أفعاله ﴿ **الله الصمد** ﴾ يعنى : المقصود لحوائج الدنيا والآخرة ، فلا يُقْصَد سواه ، ﴿ **لم يلد** ﴾ لأن الذى يلد يموت ، والله ـ تعالى ـ حى لا يموت أبدًا ، ﴿ **ولم يولد** ﴾ لأن الذى يولد يرث المجد والعز عن آبائه ، والله ـ تعالى ـ مجده وعزه أبديان ، ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ أى : مساويًا ، تعالى الله عن المساوى وعن النظير وهو على كل شىء قدير .

فحينما تذكر لا إله إلا الله تستشعر وتشاهد بقلبك هذه المعانى ، وتذكر قول شيخنا الشيخ السيد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ فى أحزابه : (وتكون آية وجهى من كتاب الله ـ عز وجل ـ من حيث التجليات الإلهية الأحدية الصمدية) ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ وقوله : (فتكون آية وجهى من كتاب الله ـ عز وجل ـ من حيث التجليات الإلهية الواحدية الرحمانية الرحيمية (**وإلهُكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمنُ الرحيمُ**) .

(**قلت** :) من معانى هذا الكلام أن يدخل العبد فى مقام الفناء ، ويتحلى به حتى يفنى عن نفسه ، وعند ذلك يقول كما قال شيخنا : (حتى لا أرى فىّ ، وفى كل شىء ، وفى لا شىء إلا إياك) .

وعند ذلك يدخل فى مقام المشاهدة الصديقية ، كما قال شيخنا :

(حتى أشاهدك مشاهدة خارجة عن المعقولات والمحسوسات) .

وعند ذلك ينال مقام (كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها) [رواه البخارى وغيره] .

فيدخل بذلك فى المقام الذى أشار إليه شيخنا ـ رضى الله عنه ـ (حتى يكون تصريفى كله تصريفًا كليًا إلهيًا أحديا بالمرتبة الأحدية الإلهية من جميع الوجوه) . حتى سأل شيخنا ـ رضى الله عنه ـ ربه تعالى أن يرزقه تلاوة القرآن فى مقام بـ (ولسانه الذى ينطق به) كما قال : (حتى أتلوه ب (ولسانه الذى يتكلم به) . ولا يصل العارف لذلك حتى يصل إلى مقام الفناء ، ثم ينتقل منه إلى مقام المشاهدة ، والإدراكات هنا كلها أذواق روحانية لادخل للجسد فيها إذ الروح هى المقصودة بتلك المعانى ؛ لأنها لطيفة مجردة عن المادة ، والمعانى المدركة بالذوق كذلك ، والروح تتلذذ بها بلذات شتى متنوعة ، وتتقوى بها على التجليات الإلهية التى هى فوق العقول والإشارات والعبارات كما يتقوى الجسد بأنواع الطعام الترابى .

فسبحان من جمع بين الروح والجسد ، وهما متباينان غاية التباين ، ومختلفان غاية الاختلاف ، ولكن بقدرته العظيمة جمع بينهما ، وجعل اجتماعهما مظهرًا لآثار قدرته سبحانه ، فالروح وحدها لها عالم تظهر فيه .

وقد كانت فى عالم السماء ، فناداها ربها فأجابته ، وهذا النداء الأول للأرواح عامة ، والنداء الثانى لأرواح المسلمين خاصة عند خروج الأرواح :

﴿ يا أَيَّتُها النفسُ المطمئنةُ ارْجعى إلى ربك راضيةً ﴾ [الفجر : ٢٧ : ٢٨] فتخرج الروح من الجسد عند سماعها هذا النداء .

والنداء الثالث : للمؤمنين بأرواحهم وأجسادهم ، فيقول ـ سبحانه ـ عند باب الجنة للروح بجسدها ﴿ فَادْخُلى فى عِبَادِى * وادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر : ٢٩ ، ٣٠] .

وأما أرواح الكفار فالنداء الثانى لهم عند خروج أرواحهم من الملائكة : ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُم اليومَ تجزون عذابَ الهُونِ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

والنداء الثالث لهم يوم القيامة ﴿ اصْلَوْهَا اليومَ بما كُنْتم تكفُرون ﴾ [يس : ٦٤] كفانا الله وإياكم شر عذاب الدنيا ، وشر عذاب الآخرة .

من فوائد الذكر بـ (محمد رسول الله)

(محمد رسول الله) بذكرها يكون الإنسان فى المعية المحمدية بصفاتها . قال ـ تعالى ـ : ﴿ محمَّدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشدَّاءُ على الكفَّارِ رُحَماءُ بينهُم تَراهُم رُكَّعًاسُجَّدًا يبتغُون فضْلاً من اللهِ ورضوَانًا سِيماَهم فِى وُجُوهِهم من أثرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

فإذا ذكر هذه الجملة الشريفة وصل إلى خمسة أشياء ببركة ذكرها وحبها :

الشىء الأول : المعية المأخوذة من قوله ـ تعالى ـ (معه) فيكون بروحه مع روحه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بواسطة الذكر اللسانى ، والشهود القلبى إذ كلما قال : (محمد رسول الله) ذكره لسانه وشاهده قلبه ، وله بكل حرف عشر حسنات ؛ لأنها من القرآن ، وعدد (محمد رسول الله) ثلاثة عشر حرفًا فى عشر بمائة وثلاثين حسنة ، فإذا قلنا (فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) كان الثواب الذى هو مائة وثلاثون حسنة مكررًا بعدد الأنفاس واللمحات ، وبعد ذلك يضاعف إلى أن يكون عدد ما وسعه علم الله أى : عدد المخلوقات التى خلقها الله ـ تعالى ـ وعلمها ، أو علم عددها ، فيكون الثواب ثوابًا كثيرًا ، لا يعلم عدده إلا الله ـ تعالى ـ وهذا هو المراد من قوله (عدد ما وسعه علم الله) أى : عدد المخلوقات والمعلومات التى خلقها الله ـ تعالى ـ ، وعلم عددها ؛ الله قادر على ذلك ، وذلك كالصيغة المشهورة عند العلماء (عدد معلوماتك) .

الشىء الثانى : الشدة على الكفار ، فمن ذكرها يكون ذا شدة وقوة ، وبأس على الكافرين ، وهذه هى صفات المؤمنين الكاملين .

الشىء الثالث : الرحمة للمؤمنين ؛ لينال الإرث المحمدى ، قال ـ تعالى ـ ﴿ وكانَ بالمؤمنينَ رحيماً ﴾ [الأحزاب : ٤١] .

وينال رحمة الله ـ تعالى ـ كما فى الحديث :

(الراحمُون يرحمهُمُ الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ ، ارْحَمُواْ مَنْ فى الأرضِ

يَرْحَمُكُمْ مَنَ فى السَّمَاءَ) رواه أبو داود والترمذى . وكما فى الحديث : (من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم) . رواه الترمذى .

الرابعة : العبادة ؛ لأنه ـ ﷺ ـ كان من أكثر خَلْق الله عبادة لله .

الصفة الخامسة : ﴿ سِيمَاهُم فى وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُود ﴾ تظهر عليهم آثار العبادة بأنوارها .

(محمد رسول الله) وبذكر هذه الجملة يصل المريد إلى مظهر سبعية الأسماء النفسية كما قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فى الصلاة الثانية : (ومظهر سبعية الأسماء النفسية) .

(قلت) : اعلم أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مظهر جميع الأسماء والصفات الإلهية .

مثلاً : هو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مظهر اسمه ـ تعالى ـ الرحمن الذى له الرحمة المطلقة العامة ، كما صرح بذلك ـ سبحانه ـ حيث قال : ﴿ ومَا أرسلناكَ إلاَّ رحمةً للعالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ رحمة عامة ، ومن أجل ذلك كان يدعو للكفار بالهداية ، ويقول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (رب اهد قومى فهم لا يعلمون) .

وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مظهرًا لاسمه ـ تعالى ـ الرحيم ذى الرحمة الخاصة بالمؤمنين ـ قال ـ تعالى ـ يصف رحمته الخاصة : ﴿ وكَانَ بالمؤمنينَ رحيماً ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

وقال تعالى يصف رحمة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الخاصة : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رءوفٌ رحيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وقد سأل الله تعالى شيخنا [٣] تجلى الرحمة المطلقة بقوله :

---

(١) أى السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه .

(ثم تصب يا إلهى على ذاتى فيوضات بحر محيط الرحمة الذاتية ، حتى أكون كل رحمة إلهية فى جميع عوالمك الإطلاقية والتقييدية ، ويكون لسان رحمة ذاتى من جميع جهاتى يتلو فى جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة : ﴿ ورَحمتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىءٍ ﴾ .

أساس الترقى فى مراتب الأنفس السبعة

فالأنفس السبعة هى : (الأمارة واللوامة والملهمة والراضية والمرضية والمطمئنة والكاملة) .

إنما أساس ترقيتها وانتقالها من أمارة إلى لوامة بكلمة(لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، كما أن النفس الكافرة تنتقل بها من الكفر إلى الإسلام ؛ والإيمان بها هو الأساس الأول الذى عليه المعوَّل ، وكلمة (محمد رسول الله) لا ينفع عمل إلا بوجودها . إذ من لم يشهد له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالرسالة لا يكون مسلماً ولا مؤمناً .

ومن شهد له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالرسالة ، ولم يحبه أكثر من نفسه كان ناقص الإيمان ، ولا ينال كمال سبعية النفس ، وإنما بحبه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أكثر من النفس ينال كمال سبعية النفس عند تعاطى الأسباب ، فتنتقل النفس بالذكر فى درجات الكمال من درجة إلى أرقى إلى أن تصل إلى النفس الكاملة كما قال الشيخ الدردير ـ رضى الله عنه ـ (ومقامها الحيرة) .

كما أشار إلى ذلك سلطان العاشقين ابن الفارض ـ رضى الله عنه ـ بقوله :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا * وارحم حشا بلظى هواك تسعَّرا

انتهى كلام الشيخ الدردير ـ رضى الله عنه ـ .

(قلتُ) : وقد شطرت بفضل الله ـ تعالى ـ رائية ابن الفارض التى أولها هذا البيت المذكور فقلت :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا * وافتح فؤادى بالعلوم ليعمرا

وأدم فؤادى بالشهود منوَّرا * وارحم حشا بلظى هواك تسعَّرا [1]

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى فضل (لا إله إلا الله) . منها :

ما ورد عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (**أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله**) رواه النسائى وابن ماجة والترمذى وقال : حديث حسن .

وعن عبد الله بن بشر رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله (**إن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ ، فأخبرنى بشىء أتشبث به ! قال : لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

(**قال موسى : يا رب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به . قال : يا موسى قل : لا إله إلا الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : قل لا إله إلا الله . قال : إنما أريد شيئا تخصنى به . قال : يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة ، مالت بهم لا إله إلا الله**) رواه النسائى وابن حبان والحاكم وغيرهم .

وفى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (**من قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . فى اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**) .

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سئل أىُّ العبادة أفضل أجرا عند الله ـ تعالى ـ يوم القيامة ؟ قال .

---

(١) أنظر ديوان الجعفرى ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ ط أولى .

الـذاكرون الله كثيرا ، قلت : يا رسول الله ، ومن الغازى فى سبيل الله عز وجل ! ؟ قال : لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى كسر لكان الذاكرون الله أفضل منه) .

وفى سنن ابن ماجة عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ : **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ ! قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى** [1]) .

وعن أبى مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : لقيت إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليلة أسرى بى ، فقال : يا محمد ، أقرىء أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غرسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) رواه البخارى .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : **(من قال لا إلـه إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر)** رواه ابن النجار بسند يُعْمَل به .

وعن أم هانىء قالت : قال رسول الله ﷺ : **(لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبًا)** رواه البيهقى .

وعن على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم يدخل النار)** . رواه

---

(١) قال الحاكم أبو عبد الله فى كتابه (المستدرك على الصحيحين) : هذا حديث صحيح الإسناد رواه الترمذى ، والحديث بهذه الرواية (ألا أنبئكم . . .) فى سنن الترمذى ج٥ / ٤٨ فى كتاب الدعاء بالباب السادس ص ٤٥٩ برقم ٤٩٥ ، وكذلك ورد فى سنن ابن ماجه ج٢ / ٣٣ كتاب الأدب ٥٣ باب فضل الذكر ص ١٢٤٥ ورقمه ٣٧٩٠ ، وفى مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥ ص١٩٥ .

وقد روى الحديث بلفظ (ألا أخبركم . . .) وهى رواية الموطأ كتاب القرآن ٧ ما جاء فى ذكر الله تعالى ص ٢١١ حديث رقم ٢٤ ، ومسند الإمام أحمد ٥ / ٢٣٩ ، ٦ / ٤٤٧ .

الطبرانى فى الأوسط بسند حسن ، وزيد أنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**إن الله عهد إلىَّ ألاَّ يأتينه أحد من أمتى بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئا إلا وجبت له الجنة . قالواْ يا رسول الله : ومن ذا الذى يخلط بلا إله إلا الله ؟ قال : حرص على الدنيا ومتاعها ، يقولون قول الأنبياء ، ويعملون عمل الجبابرة**) رواه الحاكم والترمذى بسند يعمل به .

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (**ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده : الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله**) . رواه الشيخ كمال الدين فى لوامع الإسعاد ، ورواه الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس رضى الله عنه فى أحاديث روح السنة ، وأخرجه الحافظ الإمام أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب (الثواب) .

وقد روى شيخنا الشيخ السيد بن إدريس رضى الله عنه جملة أحاديث فى كتابه المسمى (روح السنة) فى فضل الذكر منها :

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها كلمة لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**) رواه أبو داود والنسائى .

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال :

(**جدِّدُواْ إيمانكم أكثرواْ من قول لا إله إلا الله**) رواه الإمام أحمد .

ومما ورد عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى تلقين الموتى : (**يا فلان ابن فلانة اذكر ما كنت عليه فى دار الدنيا ، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولاً**) . رواه ابن ماجة .

(قلتُ) : تلقين الميت سنة عند احتضاره غير أنه لا يقال له : قل .

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (**لقنواْ موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدمًا . قالواْ : يا رسول الله كيف هى للأحياء ؟ !**

فقال : هى أهدم وأهدم حتى حسبوها عشرين مرة) .

(قلتُ :) يعنى إذا كانت تهدم الذنوب بالتلقين فمن باب أولى إذا ذكرها الإنسان بلسانه ، وتكون أكثر هدمًا للذنوب .

وجاءت امرأة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقالت : يا رسول الله أوصنى . قال لها : (**اهجرى المعاصى ، وأكثرى من ذكر الله فإنكِ لا تلقين الله غدًا بشىء أحب إليه من كثرة ذكره**) . .

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال :

(**إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلاً عن كتّاب الناس يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدواْ قومًا يذكرون الله تعالى تنادَوْا : هلمُّوا إلى حاجتكم ، فيحفونهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم بهم ـ : ما يقول عبادى ؟ فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك . فيقول : كيف لو رأونى ؟ ! فيقولون : لو رأوك كانواْ أشدَّ لك عبادة ، وأشدَّ لك تحميدًا ، وأكثر لك تسبيحًا .**

فيقول : فما يسألونى ؟ فيقولون : يسألونك الجنة ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون لا والله يا رب ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ ! ! فيقولون : لو أنهم رأوها كانواْ أشدَّ عليها حرصًا ، وأشد لها طلبًا ، وأعظم فيها رغبة ! .

قال : فمم يتعوذون ؟ فيقولون : من النار ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ ! .

فيقولون : لو رأوها كانواْ أشد منها فرارا وأشد لها مخافة .

فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم .

فيقول ملَك منهم : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .

(قلتُ) : هذا الحديث الذى أخرجه البخارى رحمه الله فى صحيحه ، ونقله شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فى روح السنة أعظم دليل على حلق الذكر وأن

يذكر الناس ربهم جماعة ، وأنه يدل على فضل الذكر ، ويدل على فضل مجالسة الذاكرين لمن جالسهم ولو لم يكن منهم .

وفيه دليل على أن من زار قبر نبى أو قبر أحد من أهل بيت النبوة أو قبر صحابى أو ولىّ لله تعالى ، وجلس بجواره ولو شيئا قليلاً يدخل فى هذا الحديث (**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**) .

حكم زيارة القبور للرجال والنساء

أما زيارة قبور المؤمنين والمؤمنات فسنة فعلية وقولية : أما كونها فعلية فذهابه صلى الله عليه وآله وسلم لزيارة قبور أهل البقيع ، وأما كونها قولية فقوله ﷺ : (**ألا فزوروها**) يعنى القبور .

وقال علماء الحديث السنة القولية والفعلية إذا وردت فى شىء كان أقوى دليلاً من غيره يعنى بخلاف السنة القولية وحدها أو الفعلية وحدها وأما الجلوس عند القبر فقد روى البخارى رحمه الله فى صحيحه عندما ترجم (باب زيارة القبور للنساء) (مر صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة جالسة عند قبر ابنها وهى تبكى فقال لها - صلى الله عليه وآله وسلم - (**اتقى الله واصبرى فقالت : إليك عنى انك لا تدرى ما بى فقيل لها أتدرين من هذا ؟ قالت : لا فقيل لها هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذهبت إليه تعتذر فقال لها ﷺ : إنما الصبر عند الصدمة الأولى**) .

قال شراح البخارى فيه دليل على جواز زيارة النساء للقبور وعلى الجلوس عندها بجوارها لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أقر المرأة على الزيارة وعلى الجلوس ونهاها عن البكاء وهو لا يسكت صلى الله عليه وآله وسلم على حرام ولا على مكروه .

وقال الحافظ أبو بكر بن العربى فى شرحه المسمى العارضة لسنن الترمذى عند حديث (**لعن الله زائرات القبور**) قال : وفى رواية (**زوارات**) بصيغة المبالغة ؛ لأن خدمة الأزواج واجبة فإذا أكثرت الزيارة ضيعت الواجب وضياع

الواجب حرام وفاعل الحرام يستحق اللعنة لذلك لعنهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كانت الزيارة لأجل العظة فما أحوجهن إلى العظة . انتهى كلام ابن العربى .

وقد ورد فى السنن أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ زارت قبر أخيها عبد الرحمن ـ رضى الله عنهما ـ وأن السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ زارت قبر سيدنا حمزة سيد الشهداء ـ رضى الله عنه ـ وأنها كانت بجوار قبره تصلى وتبكى . وأما حديث (**ارجعن مأزورات غير مأجورات**) فهذا فى الجنازة فإن العلماء أجمعوا على أن النساء لا يخرجن مع الجنازة وقد بين ذلك النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حينما سألهن (**أتحملنه فيمن يحمل ؟ قلن : لا ، قال : أتدفنه فيمن يدفن ؟ قلن . . لا ، قال : ارجعن مأزورات غير مأجورات**) رواه ابن ماجة .

وأما المرأة إذا خرجت بثياب غير شرعية بأن كانت حاسرة الذراعين والركبتين مبدية زينتها فيحرم عليها الخروج ولو إلى الحج وهذه الحرمة عند العلماء تسمى حرمة عارضة ؛ لأن الأصل استحباب زيارة القبور للنساء إذا توفرت الشروط التى منها عدم اختلاط النساء بالرجال ، قال الأخضرى رحمه الله :

وخلطة النساء بالرجال ❊ فى ديننا من أقبح الفعال

وقالوا : إن فقه البخارى يؤخذ من تراجمه وهو يقول : (باب زيارة القبور للنساء) أى باب استحباب زيارة القبور للنساء ، وقال حجة الإسلام الغزالى رحمه الله فى باب زيارة القبور : ولا بأس بخروج المرأه فى ثياب بذلة ترد بها أعين الناس عنها انتهى .

تفاوت درجات الناس فى الدنيا والآخرة

(مسألة) : اعلم يا من فتح الله قلبه لفهم العلم أن الناس متفاوتون فى دنياهم وفى أمور أخراهم قال تعالى : ﴿ **والله فضَّل بعضَكُم على بعضٍ فى الرزْق** ﴾ [النحل : ٧١] ، وقال تعالى : ﴿ **نحنُ قَسَمْنا بينهم مَعِيشَتَهُم فى الحياةِ الدُّنيا ورَفَعْنا بعْضَهم فوقَ بعضٍ درجَاتٍ** ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يهَبُ لمن يشاءُ إناثًا ويهبُ لمنْ يشَاءُ الذُّكُور * أوْ يُزَوِّجُهم ذُكْرانًا وإناثًا ويجعلُ من يشاءُ عقيماً ﴾ [الشورى : ٤٩ ، ٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وآختلافُ ألْسِنتكم وألْوانِكُم ﴾ [الروم : ٢٢] .

واختلافهم فى الآخرة قال الله تعالى : ﴿ هُمْ درجاتٌ عند الله والله بصيرٌ بما يعملون ﴾ [آل عمران : ١٦٣] ، وقال الله تعالى : ﴿ إنَّ أكرمَكُمْ عِنَد الله أتْقاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] وكما اختلفوا فى الحياة كذلك يختلفون بعد الممات قال الله تعالى : ﴿ أمْ حَسِبَ الذينَ اجترحُوا السيئاتِ أن نَجْعلَهُم كالذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ سواءً محْيَاهُم ومَماتهُم ساءَ ما يحْكُمونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (القبر إما روضةٌ من رياض الجنةِ وإما حفرة من حُفَر النار) . رواه الترمذى .

والأمـوات بعد الموت يختلفون اختلافا كثيرا حتى فى درجات الجنة كما فى الحديث (إن فى الجنةِ درجاتٍ يتراءى بعضها لبعض كما تتراءى النجومُ لأهل الأرض) .

رواه البخارى والدارمى بلفظ قريب منه ، فزيارتك لقبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس كزيارتك لقبر ولىّ الله تعالى وزيارتك لقبر ولىّ ليست كزيارة مسلم من عامـة المسلمـين وقبـور الأنبياء والصالحين موضع تنزل الرحمات الرحمانية والبركات الإلهية ، وقد وقف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وسط البقيع ورفع يديه وقال : (أسألُ الله لى ولكم العافية) ذكره ابن الحاج المالكى فى المدخل .

قال ابن الحاج المالكى الترمسانى ـ رحمه الله ـ فى كتابه المدخل عند شرح هذا الحديث : إنما دعا ربه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى وسط مقابر أهل البقيع ؛ لأن مقابر الصالحين مواضع رحمة ورضوان يستجاب فيها الدعاء انتهى كلامه .

وقد ورد أن أبا جعفر المنصور لما أراد زيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سأل الإمـام مالكًا رضى الله عنه أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل النبى ﷺ وأدعو ؟ قال له : لِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم من قبل ؟ ! انتهى . عن الشيخ الشنقيطى رحمه الله سماعًا فى الدرس .

قلت : اعلم أيها المسلم أنه يشترط فى صحة الصلاة استقبال الكعبة لقوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

وأما الدعاء فلا يشترط فى صحته استقبال القبلة بل قبلته السماء كما قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (السماءُ قِبْلَةُ الدُّعَاء) ، وحينما يستدبر الداعى النبى ﷺ ويستقبل الكعبة فقد جهل جهلاً كبيراً ؛ لأن العلماء سلفًا وخلفًا قد أجمعوا على أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل خلق الله تعالى ، أفضل من جميع النبيين والمرسلين والملائكة أجمعين صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن العرش والكرسى واللوح والقلم والبيت المعمور . وبيت العزة والكعبة والحرم ومقام إبراهيم عليه السلام وعرفات والمشعر الحرام ومنى والحرم المدنى وبيت المقدس ، وكل هذه الأشياء قد تشرفت به ﷺ ، فإذا كنت واقفًا أمامه فاعلم يقينا أن استقبالك له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل من استقبالك القبلة وإذا دعوت الله تعالى مستقبلاً النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فدعاؤك أفضل فى هذه الحالة من استقبالك الكعبة إذ الكعبة بيت الله وهذا حبيب الله وحبيب الله أفضل من بيت الله ، فافهم كلامى هذا فإنه نفيس لمن تفهمه ، وهل جعل الله بيعته ـ سبحانه وتعالى ـ وطاعته لمخلوق سوى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ الذينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ مَنْ يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

معنى التوسل ومفهوم الوسيلة

وأما حديث توسل سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه ورأى الحاكم أنه صحيح ورأى من تكلم فى هذا الحديث أو طعن فيه فله رأيه ، واعلم أن الصحة ظنية وأن الطعن ظنى كل بنى رأيه على اجتهاد ظهر له فاختر لنفسك ما يحلو وإنى أختار رأى الحاكم واجتهاده اتباعًا وتقليدًا لمشايخى ـ رضى الله عنهم ـ .

وقد ألهمنى الله ـ تعالى ـ تفسيراً للوسيلة التى فى الآية : ﴿ **يأيها الذينَ آمنُوا اتقوا اللهَ وابتغُوا إليه الوسيلة** ﴾ [المائدة : ٣٥] . أنها اتخاذ الأسباب فى وصول المقدور ، مثلا . الله قضى لك فى الأزل بذرية سبعة أولاد فإذا قلت يا رب أعطنى ذرية ولم تتزوج كنت من الآثمين المعتدين فى الدعاء ولم تتق الله فى قولك أعطنى ذرية وأنت لم تتزوج فإذا تزوجت فقد اتخذت الوسيلة وهى الزوجة فإذا دعوت الله بقولك اللهم أعطنى ذرية كنت من المتقين فى الدعاء فيقضى الله ـ تعالى ـ لك بوصول المقدور الذى قدره الله ـ تعالى ـ لك أزلاً وهم السبعة أولاد بسبب الزوجة فهى الوسيلة إلى الله ـ تعالى ـ فى وصول المقدور إليك .

فكلمة (محمد رسول الله) وسيلة فى تحقيق الإسلام والإيمان وقبول جميع الأعمال الصالحة فلو أن كافرًا جاء ليسلم وقال (لا إله إلا الله) وامتنع أن يقول (وأن محمدًا رسول الله) قتل كفرًا ودفن فى مقابر المشركين فكانت كلمة (محمد رسول الله) وسيلة فى ثبوت الإسلام والإيمان وذلك فى وقت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبعد مماته إذ لم يقل أحد من العلماء ان ذلك فى وقت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإذا ثبت أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الوسيلة فى قبول الإسلام فى حياته وبعد مماته ، وهو أعظم شىء فى الدنيا والآخرة فمن باب أولى أن يكون ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة فيما سواه .

ومن الأسباب الرافعة للعذاب وجوده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ووجوده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة فى منع العذاب فى حياته وبعد مماته ، ولم يقل أحد إن ذلك فى وقت حياته فقط وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة فى منع العذاب فى حياته وبعد مماته وأصل الرحمة من الله ـ تعالى ـ وقد جعل الله ـ تعالى ـ طاعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة إلى طاعة الله ـ تعالى ـ قال ـ تعالى ـ ﴿ **من يطعِ الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ** ﴾ [النساء : ٨٠] . ولم يقل أحد من العلماء إن ذلك فى وقت حياته فقط ، وقد جعله الله ـ تعالى ـ سراجًا منيرًا تنتفع الأمة بنوره فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الوسيلة بالنفع فى النور فى حياته وبعد مماته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن قال ذلك فى الحياة فقط فقد كفر ، وقد أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ بأنه وملائكته يصلون على النبى وذلك فى الحياة وبعد الممات ، وأخبر ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأن من يصلى عليه مرة

يصلى الله بها عليه عشرًا فكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة فى صلاة الله على عبده المصلى على نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذلك فى حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبعد مماته . فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الوسيلة العظمى فى وصول الخيرات من الله ـ تعالى ـ لعباد الله ـ تعالى ـ فى حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبعد مماته ، وفى هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية وإن شاء الله سأكتب رسالة فى هذه المسائل تكون خاصة بها .

عود إلى أسرار الذكر بـ «لا إله إلا الله »

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : حدثنى جبريل قال : يقول الله ـ تعالى ـ ﴿ **لا إله إلا الله حِصْنى ومَنْ دخله أمِنَ من عذابى** ﴾ هكذا فى روح السنة ، وفى مسلسل السمبلى المدنى عن جعفر الصادق عن محمد الباقر عن على زين العابدين عن الحسين بن على عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم أجمعين عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : حدثنى جبريل عليه السلام قال يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **لا إله إلا الله حصنى ، ومن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى** ﴾ .

أقول بفضل الله ـ تعالى ـ وتوفيقه وإلهامه قول المتبرىء من حوله وقوته إلى حول الله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : يؤخذ من هذا الحديث أشياء .

الأول : أن من قالها بلسانه وقلبه دخل حصن الله أى حفظه وكلاءته ـ سبحانه وتعالى ـ .

الثانى : أن قائلها يأمن عذاب الله ـ تعالى ـ فى الدنيا والآخرة إلا بحق الإسلام ، فإن قَتَلَ قُتِل ، وإن زنى إن كان محصنا رجم وإن كان بكراً جلد مائة جلدة وغُرِّبَ سنة وإذا سرق قطعت يده ، وإذا شرب الخمر جُلد ثمانين جلدة ، وإذا قذف إنسانًا جلد ثمانين جلدة بأن قال إن فلانا كذا ووصفه بوصف لا يليق كأن وصفه بالزنا ولم يأت بأربعة شهداء فيجلد ثمانين جلدة حد القذف ، فإن

لم يأخذ هذه العقوبات فى الدنيا أخذها يوم القيامة ما لم يتب توبة نصوحًا لأن التوبة تكفر كل شىء حتى القتل ، أو يحج لأن الحج يكفر جميع الخطايا والذنوب إلا حقوق الناس إذا رجع من الحج وجب عليه أن يردها إلى أصحابها ، وأما ما عليه من فرائض كصلوات وصيام وزكاة فيجب قضاء هذا كله .

والقائل بأن الفرائض المتروكة عمدًا لا تقضى قول مخالف للمذاهب الأربعة ففى موطأ الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : عليه الصلاة والسلام :

(**من نسى صلاة فليصلها متى ذكرها**) ثم تلا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى** ﴾ [طه : ١٤] وقد أخرجه البخارى وغيره .

قال العلماء : إذا كان الناسى مأمورًا بالقضاء فمن باب أولى العامد ، وعند المالكية ـ رضى الله عنهم ـ من عليه صلوات كثيرة يجب عليه قضاؤها وأقل ما يؤديه كل يوم خمسة أوقات فإذا قضى أقل من خمسة أوقات كان آثما .

ومن أغرب الغرائب وأعجب العجائب القول الذى يقول لا قضاء على العامد وجعله كالكافر قال الشاعر :

كل يوم تبدى صروف الليالى * خُلُقًا من أبى سعيد غريبًا

هذا البيت كان يتمثل به كثيرًا شيخنا الشيخ مدكور المالكى ـ رحمه الله ـ درسنا عليه كتاب الشرح الصغير للشيخ الدردير ـ رضى الله عنه ـ ثلاث سنين بالجامع الأزهر الشريف .

الشىء الثالث : أن الذى يذكر (لا إله إلا الله) يلزم أن يلاحظ معنى الحديث (أمن من عذابى) ويحدِّث نفسه بالأمان والأمن مادام يذكر .

الشىء الرابع : أنه يلزم من الأمن من العذاب البعد عن أسبابه وهى المعاصى والتوفيق إلى موانعه وهى الطاعات ، فليبشر ذاكرها بالبعد عن المخالفات وبالتوفيق إلى الطاعات ولذلك كان ذكرها ينقل النفس من أمّارة إلى لوّامة . وعن شيخنا ابن إدريس ـ رضى الله عنه ـ قال : وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال (**لكل شىء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع**) .

قلت : هذا الحديث يدل على أن الذكر يجلو القلوب وأنها بتركه تصدأ كما يصدأ الحديد كما فى حديث آخر (**إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله**) رواه ابن عدى .

الشىء الثانى : أن ذكر الله أمان من عذاب الله .

الثالث : أنه له فضل عند الله عظيم وإذا كان العبد يذكر ربه ويجاهد فى سبيله فقد جمع بين الفضيلتين فضيلة الذكر وفضيلة الجهاد وكذلك الذى يذكر ربه ويجاهد نفسه وهواه .

قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ : وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسى التقم قلبه**) رواه البيهقى وابن أبى الدنيا وعبد الرزاق .

قلت : هذا الحديث يخبرنا فيه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن كيفية وسوسة الشيطان لقلب الإنسان وذلك أنه يأتى من جهة اليسار ويمد خطمه أى خرطومه إلى القلب فإن وجده مشغولاً فى ذكر الله ـ تعالى ـ خنس أى رجع وهرب وإن وجده غافلا التقمه أى استلمه وصار يوسوس لصاحبه بما يغضب الله ـ تعالى ـ وفى بعض الروايات (وصار يمنى له الأمانى) أى يوسوس له بالتمنيات البعيدة من زخارف الدنيا وزينتها وحطامها حتى يشغله عن ذكر الله ـ تعالى ـ ويملى عليه الظنون والأوهام الكاذبه قال ـ تعالى ـ : ﴿ **يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [النساء : ١٢٠] أعاذنا الله وإياكم من وساوس الشيطان الرجيم .

سأل بعض الصالحين ربه ـ تعالى ـ أن يريه فى منامه كيف يوسوس الشيطان فى قلب المؤمن فرأى زجاجة مملوءة بالماء والضفدع يأتى إليها فإذا دنا منها اهتزت فيرجع الضفدع هاربًا وقيل له : هذه الزجاجة مثل القلب واهتزازها مثل ذكر الله ـ تعالى ـ وهذا الضفدع هو مثل الشيطان .

قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال (**أولياءُ اللهِ الذينَ إذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ**) رواه الترمذى .

قلت : لأن فطرة الإنسان إذا رأى وليًا من أولياء الله ـ تعالى ـ ذكَّره الله ـ تعالى ـ بحاله أو بمقاله ؛ لأن الروح تعرف أولياء الله ـ تعالى ـ سواء كانوا أحياء أو أمواتا ولها شعور عند ملاقاة أرواحهم فى عالم الدنيا أى أو فى عالم البرزخ وربما تكون المعرفة من الجانبين إن كانا وَلِيَّين ، وعند الإخوان الشاذلية عادة طيبة إذا قابل أحدهم أخاه من بُعْدٍ هذا يقول الله ، وهذا يقول الله ، كذلك إذا وقف على بابه ثم يسلمان : القادم يبدأ بالسلام والآخر يرد عليه .

قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ : وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال :

(عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالهوى ويحسبون أنهم مهتدون) رواه عبد الرزاق .

قلت : فى هذا الحديث أمر من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالإكثار من ذكر لا إله إلا الله والاستغفار ؛ لأن ذكر لا إله إلا الله يدعو النفس إلى التوبة والندم والتوبة تدعو النفس إلى الاستغفار ، والاستغفار يغفر الله به الخطايا ، وأما الهوى فهو كما قا الله ـ تعالى ـ : ﴿ **أفمن زُيِّن لَهُ سُوءُ عَمله فَرَآهُ حَسَنًا** ﴾ [فاطر : ٨] . فهـ عبـارة عن فعل المعصية فى صورة طاعة فإذا فرغ منها صاحبها لا يندم ولا رب فلذلك يحرم المغفرة ، أو يتكلم مع الله ـ تعالى ـ بعد فعل المعصية بكلام لا يليق كأن يحتج بالقضاء والقدر على الله ـ تعالى ـ .

وقد تكلم ابن عباد الشافعى فى شرح حكم أحمد بن عطاء الله السكندرى المالكى فى هذه المسألة بكلام لطيف ثم ذكر حديثًا قال عليه الصلاة والسلام : **(إذا أذنب العبد ذنبا وقال يا رب أخطأت وأذنبت يقول الله ـ تعالى ـ غفرت ورحمت ، وإذا قال قدرت وأردت يقول الله ـ تعالى ـ لاغفرت ولا رحمت)** .

وقال سيدى على أبو الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ فى توبة آدم ـ عليه السـلام ـ : ليكـون قدوة لولـده فى التوبة والأعمال الصالحات ، ومعنى هذا الكلام أن سيدنا آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة نسب الخطأ إلى نفسه وقال : ﴿ **ربنا ظَلمنا أَنْفُسَنا وإِنْ لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكُونَنَّ مِن الخَاسِرِينَ** ﴾ [الاعـراف : ٢٣] كذلك المؤمنون إذا فعل منهم إنسان خطأ يخاطب الله ـ

تعالى ـ بخطاب أبيه آدم يقول ربِّ انى ظلمت نفسى ، ولا يحتج بالقضاء والقدر .

ومن دعائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك**) رواه الدارمى ومالك فى الموطأ .

توجيهات ونصائح لأبناء الطريق :

(تنبيه) يلزم المريد الصادق أن يحتفظ فى طريقه بأمور :

الأول : الإخلاص وهو كما قال الشيخ النووى رحمه الله أن يريد بعمله وجه الله ـ تعالى ـ ويلزم على ذلك أشياء الأول أن يشاهد ربه بقلبه قبل القول والفعل .

الثانى : أن يجعل قوله وفعله على نهج الشريعة الغراء لأن الله لا يقبل قولاً ولا عملا إلا إذا كان على وفق شريعته .

الثالث : لا ينظر إلى عمله حتى يعجب به أو يغتر وإنما ينظر إلى أنه نعمة من نعم الله عليه بفضله وتوفيقه ـ سبحانه وتعالى ـ فيقدِّم شكرًا لله ـ تعالى ـ عليه فإذا فعل ذلك زاده الله ـ تعالى ـ قال ـ تعالى ـ (﴿ **لئن شكرتم لأزيدنّكم** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

الرابع : لا يفضل نفسه بعمله على غيره ويرى نفسه عبدًا لله العظيم متلاشيًا فى مشاهدة عظمة ربه ـ تعالى ـ قال شيخنا السيد ابن إدريس ـ رضى الله عنه ـ فى أحزابه : (واجعلنى لك يا إلهى عبدًا محضاً عبودية خالصة لا رائحة ربوبية فيها على أحد من خلقك ، حتى أكون فى العبودية على القدم الراسخ الذى لا تزلزله شبهة بوجه من الوجوه) .

الأمر الثانى بعد الإخلاص أن يتبرأ من حوله وقوته إلى الله ـ تعالى ـ ويقول : اللهم إنى أبرأ من حولى وقوتى إلى حولك وقوتك فى كل قول أو فعل وفقتنى فيه إلى ما تحبه وترضاه فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الثالث : بعد الإخلاص والتبرى من الحول والقوة الجهاد وهو على قسمين : جهاد النفس على كفها وبعدها عن مخالفة الله ـ تعالى ـ وشهواتها وهواها قال ـ تعالى ـ ﴿ **وأما من خافَ مقامَ ربهِ ونهى النَّفْس عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الجنَّةَ هِيَ الْمأْوَى** ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**لا يؤمن أحدكم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لما جئت له**) .

وقال سيدى عبد الرحيم البرعى اليمنى :

لا تتبع النفس فى هواها * إن اتباع الهوى هوان

وقال الشاعر :

نون الهوان من الهوى مسروقة * فإذا هَويت فقد لَقيت هوانا

وقال ابن الفارض ـ رحمه الله ـ

وسر زمِنا وانهض كسيراً * فحظك البطالة ماأخرت عزمًا لصحة

وإنما قدمت فى الجهاد البعد عن المعاصى لأنه بمنزلة فتح الطريق وتسهيله للطاعات ، وإن المزارعين ينظفون الجدول أولاً مما فيه من الحشائش ليسهل جرى الماء فيه ؛ كذلك الإنسان إذا أبعد عن نفسه المعاصى والشهوات والهوى سهل عليه فعل الطاعات ، لأن المعاصى يصحبها المنع عن رضوان الله ـ تعالى ـ والطاعات يصحبها السوق إلى رضوان الله ـ تعالى ـ ، وللمعاصى شياطين تزينها لأربابها قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِذ زَيَّن لهمُ الشيطانُ أعمالَهم** ﴾ [الأنفال : ٤٨] وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **أفمن زُيِّن لهُ سُوءُ عملهِ فرآهُ حسَنًا** ﴾ [فاطر : ٨] . أى زين له الشيطان عمله السيىء فرآه حسنا .

والطاعات لها ملائكة تثبت أصحابها عليها وتزينها لهم قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **إِذْ يُوحِى ربُّك إلىَ الملائكةِ أنِّى معكُم فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ [الأنفال : ١١] .

أى عند كل قول وفعل يحبه الله ويرضاه . وقال الله ـ تعالى ـ ﴿ **نحنُ أَوْلِيَاؤكُم فِى الحياةِ الدنيا وفى الآخرةِ** ﴾ [فصلت : ٣١] تقول الملائكة هذا الكلام للمؤمنين عند موتهم أى كنا مشجعين ومثبتين لكم قبل موتكم على فعل الطاعات .

الجهاد الثانى الذى يلزم المريد بعد اجتناب المنهيات ملازمة الطاعات صغيرها وكبيرها لأن كل طاعة تحمل إلى الروح منافع ذات أنواع مختلفة قال الشيخ أحمد بن عطاء الله ـ رحمه الله ـ تعالى ـ : (لما علم فيك السآمة عادة ، نوَّع لك العبادة) ومثل اجتناب المعاصى كتنظيف الأرض التى يريد أن يزرعها صاحبها ومثل العبادة كرمى الحب فيها بعد تنظيفها . فيا أخانا فى الله ـ تعالى ـ إذا حصل لك صدود عن عبادة ربك وذكره ـ سبحانه وتعالى ـ فاعلم أن ذلك من الشيطان ـ قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **ويصُدَّكم عن ذِكْر اللهِ وعن الصَّلاةِ** ﴾ [المائدة : ٩١] فعليك بالعلاج الربانى قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وإمَّا ينزغنَّك من الشيطانِ نزغٌ فَاسْتعِذْ باللَّه** ﴾ قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عشر مرات ، ثم التفت إلى أورادك بقوة ، فقد أمر الله تعالى بالنشاط والقوة فى العبادة ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **يا يحيى خُذِ الكتابَ بِقُوَّة** ﴾ [مريم : ١٢] .

وقد ذم الله ـ تعالى ـ أقوامًا يأتون إلى عبادته بالكسل ، وهم المنافقون قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذَا قامُوا إلىَ الصَّلاةِ قامُوا كُسَالىَ** ﴾ [النساء : ١٤٢] فالعلاج هنا الاستعاذة وأما عند الوسوسة فى العبادة فعلاجها قد دلنا الله ـ تعالى ـ عليه فى قوله : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ اتَّقوْا إذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تذكَّرُوا فَإذَا هُمْ مُبْصرون** ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

قال الجلال ـ رحمه الله ـ : (طائف) أى وسواس ، (تذكروا) أن الله ناظر إليهم ، (فإذا هم مبصرون) أى مبصرون سبيل النجاة ، انتهى كلام الجلال .

(قلت) : وهذا الذى أشرت به إليك أولاً من المشاهدة الربانية عند العبادة لتصرف عنك وساوس الشيطان . وكما أن فى الطاعات أنواع المنافع للروح كذلك فى المعاصى أنواع المضار للروح فامنع نفسك عن جميع المعاصى قولاً وفعلاً ظاهرًا وباطنًا لتمنع نفسك عن جميع المضار . واعلم يا عبد الله ـ وفقنى الله وإياك إلى البعد عن كل معصية صغيرة أو كبيرة ـ أن العبد له مظهر يظهر فيه فى عالم الغيب أمام الله ـ تعالى ـ وأمام ملائكته بملابس يلبسها ، فإن فعل الطاعات كانت ملابسه نقية طاهرة سابغة ، وإن فعل المعاصى كانت ملابسه

غير ذلك قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ولباسُ التَّقْوى ذلك خيرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

فافهم كلامى هذا وفكر فيه دائما أبدا وانظر إلى كساء نفسك كيف هو الآن ؟ فإذا رأيته لباس التقوى فسارع إلى شكر ربك ، وإذا رأيته غير ذلك فسارع إلى خلعه بالتوبة والاستغفار قال الله ـ تعالى ـ ﴿ وسارعُوا إلى مغفرةٍ من ربِّكمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] . وقال الله ـ تعالى ـ ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذرايات : ٥٠] .

واعلم أن للطاعات لذات لدى الروح تكدرها المعاصى لأن المعاصى أمراض قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ❊ وينكر الفم طعم الماء من سقم

لأن لذة الطاعات فى العبادة تنتج من المحبة القلبية لله ـ تعالى ـ ، وتسرى فى جميع الأعمال القولية والفعلية كسريان الماء فى الغصون وهذا شأن الواصلين قال شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فى أحزابه : (وتجل لى يا إلهى بعين بحر محيط المحبة الذاتية الإلهية ، الفياضة أنهار المحبة على سائر الوجود ، فتنفتح أبواب خزائن سماء روحى كلها بماء زلال المحبة الأزلية الذاتية الإلهية المقدسة عن شوائب كدورات الأغيار ، التى هى فى وراء العقول والإشارات والأطوار ، فينهمر من سماء العلو الذاتى سيل عَرِم طوفان العظمة الحبية الإلهية على جميع وجودى ، وتتفجر أرض طبعى كلها عيونًا عشقية فالتقى الماء على أمر إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى) .

(قلت) : ماء زلال المحبة الأزلية هى التى هبطت على الأرواح حين نداء الحق لها ﴿ ألَسْتُ بِربِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وقال الأستاذ رضى الله عنه [1] : (الذاتية) للإشارة إلى أنها لم تكن بسبب نعم فى الدنيا ، كما قال الغزالى ـ رحمه الله ـ فى الإحياء : سبب المحبة النعم ، ولا نجد أحدًا له نعم علينا مثل الله تعالى .

---

(١) هو شيخنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه .

قال ابن الفارض ـ رحمه الله تعالى ـ إشارة إلى هذه المحبة الذاتية الأزلية :

ولى فى هواها نشوة قبل نشأتى * ستبقى معى أبدًا وإن بلى الجسمُ

(وتتفجر أرض طبعى كلها عيونًا عشقية) بسبب الحب الإلهى الذى فى القلب يسرى من القلب إلى جميع الجوارح الروحانية والتركيبية ، وعند ذلك تجد لذتها عند ذكر خالقها ؛ لأن حبه ـ سبحانه ـ تغلب عندها على كل شىء ، فمثلاً العين تحب النظر ، والأذن تحب سماع الخبر ، واللسان يحب النطق ، فإذا كان من أهل الحب أذهب عنه الحب جميع الحظوظ النفسية ، فيكون نظره وسمعه وكلامه وحركته وسكونه لله تعالى ، فإذا نظرت العينان إلى ملكوت السموات والأرض وجدتا لذة إلهية ، وإذا سمعت الأذنان كلام الله تعالى وجدتا لذة إلهية ، وإذا تحرك اللسان بكلام الله أو بذكر الله وجد لذة إلهية ، قال شيخنا رضى الله عنه ـ : (حتى تكون نفسى كلها لذة إلهية سارية فى نفسى من نفسى) .

قال سيدى عبد الكريم الجيلى ـ رضى الله عنه ـ : ـ

إذا غردت ورق على غصن بانه * وجاوب قمرى على الأيك ساجع

فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى * وإنى منكم لا من الطير سامعُ

وكقوله :

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظرى * فغبت وعنكم لا تغيب سرائرى

وهذا عند الفناء مع تجلى الأفعال .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

الطمأنينة أنواع : ومن الطمأنينة طمأنينة تجلى الأفعال التى تحصل بالإكثار من ذكر الله تعالى ، فيذهب جزع القلب واضطرابه عندما يشاهد أن الأفعال كلها عنده مخلوقة لله ، وهى آثار قدرته ، وبتخصيص إرادته ، وبأوامره الكونية ، وهذا شىء عام فى العوالم العلوية والسفلية والحسية والمعنوية ، لا سيما فى الإنسان نفسه من حيث تركيبه ، ونفخ الروح فيه وما احتوى عليه جسده من

مخلوقات عجيبة ودقيقة فى الظاهر والباطن كالسمع والبصر واللسان والشم والنفس والدورة الدموية ونظامها والبطن وماحوت قال تعالى : ﴿ وفى أنفسِكُم أفلا تُبصِرُون ﴾ [الذاريات : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿ وأسبغَ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطِنةً ﴾ [لقمان : ٢٠] .

فيلزم للذاكر أن يلاحظ هذه المعانى عند قوله (لا إله إلا الله) .

وكذلك يلاحظ ما يتعلق بمعانى كلمة (محمد رسول الله) ، مما قدمته لك من المعانى اللفظية والإشارية ، فقد كنت كتبت بفضل الله تعالى عن معانى حروفها شيئا ، وكنت أفكر فى تلك المعانى وكيف جاءت ، وفى يوم ١٦ صفر عام ١٣٩٣ هجرية اطلعت على هذا الحديث ، فعلمت أن ذلك من بركة جدى سيدى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ من طريق الوراثة ، وها هو الحديث : ـ .

أن سيدنا عليا ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ دعا ابن عباس ـ رضى الله عنهما بعد صلاة العشاء . قال ابن عباس : فسألنى عن تفسير الألف من كلمة (الحمد لله) ، فقلت : لا أدرى ، فمكث يتكلم فى تفسيرها ساعة وهكذا فى كل حرف . فأسأل الله تعالى أن يحققنى بنسبه الجسمانى والروحى ، وبسره العرفانى والسبوحى ، وقد سألته ـ رضى الله عنه [٢] ـ مرة : هل أنت قلت : إنى أستطيع أن أكتب عن تفسير الفاتحة حمل سبعين بعيرًا ؟ ! .

فرفع صوته ، فإذا هو جهورى الصوت وقال : (نعم ؛ لأننا أهل بيت النبوة) رضى الله عنه أجمعين .

وقد رأيت فى النوم إنسانًا يقول لى : أتدرى ما وحدة الوجود ؟

قلت له : لا . فقال لى : هى أن تعتقد أن خالق المخلوقات كلها إله واحد .

قلت بعد أن استيقظت من منامى : هذا كلام طيب ؛ لأننى فهمت منه

---

(١) أى فى الرؤيا .

وحدة الوجود التى اختلف الناس فيها قديماً وحديثًا ، فيكون معناها على هذا الكلام الذى سمعته فى المنام أن الخالق واحد [1] . كما قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ خالقُ كل شىءٍ** ﴾ [الزمر : ٦٢] .

وكما قال تعالى : ﴿ **والله خلقَكُم وما تَعملُون** ﴾ [الصافات : ٩٦] .

والشطر الثانى : أن جميع المخلوقات تأثير وخلق لإله واحد ـ قال تعالى : ﴿ **الحمدُ للهِ الذى خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ** ﴾ [الأنعام : ١] . وكما قال أبو البركات الشيخ الدردير ـ رضى الله عنه ـ : ـ

والفعل فى التأثير ليس إلا * للواحد القهار جلَّ وعلا

فلا تعتقد أبدًا أن شيئا يخرج من ذات الله ـ تعالى ـ أو أن شيئا يتصل بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ كل ذلك مستحيل ، كما يستحيل إدراكه بالبصر وإنما تجوز الرؤية بغير إحاطة وإدراك . لكنها لم تثبت فى الدنيا لأحد إلا لنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الشيخ إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة ـ رحمه الله : ـ .

ومنه أن يُنْظر بالأبصار * لكن بلا كَيْفٍ ولا انحصار
للمؤمنين إذ بجائز عُلِّقتْ * هذا وللمختار دنيا ثَبتتْ

وأما رؤيته ـ سبحانه وتعالى ـ فى النوم ، فقد حصلت لكثير من الصالحين لكن بلا كيف ولا انحصار ، كذلك سماع كلامه ـ سبحانه وتعالى ـ فى النوم جائز وقد حصل لكثير من الصالحين ، وللسيد عبد السلام الأسمر رضى الله عنه كثير من هذا فى رسالة ألفها بنفسه ، وقد طبعتها بمصر ، وأرسلتها إلى طرابلس ، لأننى كنت بجدة ، فرأيته ـ رضى الله عنه ـ فى النوم يقول لى : زرنا ، فيسر الله لى الزيارة من جدة إلى طرابلس ، فجاءنى إنسان برسالة مخطوطة من مكتبة سيدى حمودة ـ رضى الله عنه ـ تأليف الشيخ عبد السلام الأسمر ـ رضى الله عنه ـ وقال لى : نرجوك أن تطبع هذه الرسالة فأخذتها ، وأتيت بها إلى مصر وطبعتها وقلت فى نفسى : لعل الشيخ دعانى إلى زيارته لهذه

---

(١) وذلك هو الشطر الأول فى تفسير وحدة الوجود .

الرسالة ، والحمد لله طبعت بخير ، ومدحته فى آخرها بقصيدة ، وذلك من فضل الله ـ تعالى ـ علىّ وعلى المؤمنين .

حبّ الأولياء والصالحين والاعتقاد فى ولايتهم

اعلم يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ أن حب الأولياء وحسن الظن بهم من فضل الله ـ تعالى ـ قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يشَاءُ ﴾ [الجمعة : ٤] .

ففضل الله ـ تعالى ـ ليس بالقوة وليس بالعلم ، وليس بالفصاحة ولا بالبلاغة ولا بالذكاء ، ولكن بالمشيئة الإلهية فقط . ومن أحب الصالحين يكفيه بشرى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما فى الصحيحين :

وهو أن أعرابيا سأل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (أنت مع من أحببت)

وفى صحيح مسلم بعد أن روى الحديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال :

(وإنّى أُحِبُّ النبىَ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأبا بكر وعُمَر وأرْجُو أن أكون معهم وإن لم أعملْ مثلَ عَملِهِمْ) .

ومعنى (ولمّا يلحق بهم) : لمّا بمعنى لم ، أى : لم يدرك زمنهم بأن ماتوا قبله ، فكل من ذهب إلى المدينة المنورة ، وزار سيد السادات ، وخير البريات سيدنا ومولانا محمدًا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقال له : (أنت مع من أحببت) .

وإذا ذهب إلى زيارة أهل البقيع ـ رضى الله عنهم ـ يقال له : (أنت مع من أحببت) وإذا ذهب إلى زيارة سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ يقال له : (أنت مع من أحببت) .

وإذا جاء لزيارة أبى عبد الله سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ يقال له : (أنت مع من أحببت) ، وإذا ذهب إلى زيارة أهل بيت النبوة أجمعين يقال له : (أنت مع من أحببت) ، وإذا ذهب لزيارة الصالحين فى مشاهدهم فى أى مكان كانوا يقال له : (أنت مع من أحببت) .

واسمع يا عبد الله ، وأنصت إلىّ بأُذُنىْ روحك عسى الله أن يهدينى وإياك إلى أسراره التى فى الكون ، كما قال سيدى أبو مدين ـ رضى الله عنه ـ (لله فى الكون أسرار ترى فيه)

المعية أنواع :

(النوع الأول) : الحسى ، وذلك إذا كنت عند قبورهم .

(النوع الثانى) المعنوى ، وهو إذا سلمت عليهم وجلست مع أرواحهم .

(النوع الثالث) البرزخى ، وهو إذا كنت معهم فى النوم .

(النوع الرابع) الوجدانى ، وهو إذا كنت فى أى مكان ، وشاهدت واحدًا منهم بقلبك ، وقرأت له الفاتحة أو شيئا من القرآن ، ودعوت الله تعالى له .

(النوع الخامس) لأرباب خوارق العادات ممن كشف الله لهم الحجب ، ومن ذلك رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة ، ودليلها حديث البخارى : قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**مَنْ رَآنِى فى النومِ فسَيرانى فى اليقظةِ**) .

والمعية الكبرى هى التى تكون فى جنة عدن فى دار السلام ـ قال تعالى : ـ ﴿ **فأولئك مع الذينَ أنعمَ الله عليهم من النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ وحَسُن أولئكَ رَفيقًا** ﴾ [النساء : ٦٩] .

والحمد لله قد اجتهدت فى كتابى هذا أن استدل فيه غالبًا بالكتاب والسنة .

والنوع الثانى من الطمأنينة تلك التى تحصل للذاكر العابد العامل بالشريعة الغراء فى مقام الفناء ، لأنه يجرد النفس عن تدبير مع تدبير الله تعالى ، ويوقن بأن المدبر لشئونه هو الله تعالى ـ قال تعالى :

﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ** ﴾ [السجدة : ٥] .

وكما قيل : وفوق تدبيرنا لله تدبير .

وكما قال الشيخ البهلول المغربى ـ رحمه الله ـ : ـ .

تدبيرك ما يسوا شى * ومن تدبيرك دعنى

وقلت فى أرجوزتى : [1] .

ودبّـر الأمـور للجـمـيع * بعـلمـه وصـنـعـه البـديع

وكما قال شاعرهم :

إن مقـادير إلهـى * قالـت لى خلِّ عنـك
سلِّم الأمـر تجدنـا * نحـن أولى بك منـك

بذلك كان صاحب مقام الفناء لاشغل له إلا بالله ـ تعالى ـ كما قال ابن الفارض ـ رضى الله عنه ـ .

جرى حبُّها مجرى دمى من مفاصلى * فأصبح لى عن كل شغل بها شغل

وكما قال الشيخ سيدى ابن إدريس ـ رضى الله عنه ـ : (شغلت بحسن وجهكم عن شواغلى) ، ولكن لا تنس قول شيخنا : (حتى لا أخرج عن أوامرك الشرعية المحمدية) ، وهذا عندهم يسمى فانيًا فى الله باقيًا بالله ، فلا يخرج عن الشريعة المحمدية فى جميع أحواله ، كما كان حجة الإسلام الشيخ الغزالى ـ رحمه الله ـ وشيخه أبو طالب المكى ، وشيخنا السيد ابن إدريس ، وتلاميذه الشيخ السيد السنوسى ، والشيخ السيد إبراهيم الرشيد ، والشيخ السيد الميرغنى والشيخ السيد الأهدل رضى الله عنهم أجمعين ، وغيرهم من السابقين الأولين الذين فى مقدمتهم سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

(لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله) وقد سميتها (أم الكرامات) ، وأنه لاكرامة لولىّ إلا بها بطريق الوراثة المحمدية .

مناظرة بين الإمام الشافعى وسائل له

قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ : ما من معجزة سبقت لنبى إلا كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مثلها أو أفضل منها ، فسأله سائل فى المجلس : إن سيدنا موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد نبع له المـاء من الحجر ، فقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : قد نبع الماء من أصابعه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا أغرب وأعجب .

---

(١)وهى المسماة : دعوة اليسر القريب . انظر كنز السعادة والدعوات المستجابة ص ٧٥ .

(قلت) : وهـذا الماء أفضل المياه ، بل ومن مياه الجنة . والشاربون منه أفضل الخلق بعد الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وقد حصلت لهم بسبب هذا الماء بركات فى أجسامهم وفى أرواحهم وفى ذرياتهم ، وحرم الله عليهم النار ، وقد قلت بفضل ربى فى الرائية :

والجيش يروى بماءٍ من أصـابعـه * والـشـاربـون كرام منهمُ عُمَـرُ

وللمناسبة بعد نظمى لهذه القصيدة رأيت سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ منامًا جاءنى يسلم علىّ ، فقلت له : يا سيدى أنا الذى أذهب إليك ، فقال لى : (إنى قد جئتك) ، وهذا الماء فيه شفاء للناس ، وهو أفضل من شفاء العسل .

إذا كان العسل الذى يخرج من النحل فيه شفاء للناس ببركة الوحى ، فكيف لا يكون فى الماء النابع من أصابع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شفاء للناس ، وهو أفضل مَنْ أوحى الله تعالى إليهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ومن أسمائه (صلى الله عليه وآله وسلم) (شاف) .

قال البوصيرى ـ رضى الله عنه ـ :

كم أبـرأت وصبًا باللمس راحتـه * وأطلقت أربًـا من ربقـة اللممِ

وإن كانت الأدوية شفـاء للأمراض الجسمانية ، فإنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شفاء للأمراض الجسمية والمعنوية .

حصل لى ورم بكعب رجلى بسبب الشقوق ، وخفت أن يكون به شىء ، فقمت نصف الليل ، وأمسكت بباب الأزهر الداخلى ، وهو مقفل وألهمنى الله تعالى هذين البيتين ، فأنشدتهما مخاطبًا من مدحه الشيخ البرعى ـ رحمه الله ـ بقوله :

بعـد تم ولم يبعـد عن القلب حبكم * وغـبـتـم وأنـتم فى الفؤاد وحضـور

ومـدح رسول الله فأل سعادتى * أفـوز به يوم الـسـمـاء تمورُ

وهذان البيتان :

يا أكـرم الـرسـل الـكـرام تحية * منى إليك وردّهـا لى بالشفـا
أنت الـرؤف كذا الـرحيم المرتجى * اختـارك المـولى فأنت المصـطفى

فاستيقظت من منامى فلم أجد شيئا وقد عافانى الله تعالى .

إذا كان الله تعـالى اختـاره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للنبوة والرسالة ، فكيف لا يختاره للشفاء ، واختاره للبيعة خليفة عن الله تعالى ، فكيف لا يختاره للشفاء ، قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ الذينَ يبايعونَك إنما يبايعون اللهَ** ﴾ [الفتح : ١٠] ولنرجع إلى سؤال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ قال له السائل : .

إن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ قد أحيا الموتى ، فقال له الشافعى رضى الله عنه : ـ .

إن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد حَنَّ له الجذع ، وهذا أعجب وأغرب .

(قلت) : لأن الميت سبقت له الحياة ، وأما الجذع فهو جماد ، ولم تسبق له حياة .

قال البرعى رحمه الله ـ : .

وإن يك خاطب الأمـوات عيسى * فإن الجـذع حنَّ لذا وأنّـا
وإن ذكـروا نجىّ الـطور فاذكـر * نجـىّ الـعـرش مفـتقـرا لتغنى
ولـو قارنت لفـظه (لن ترانى) [1] * بـ (مـا كذب الفؤاد) [2] فهمت معنى
وإن وصـفـوا سليمانـا بمُـلْك * فذا زهـد الكنـوز وقـد عرضنا
وبـطحَـا مكـة ذهبًـا أبَـاهـا * يبـيد المـلك والـلذات تفـنى

وكان الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ إذا ذكر حنين الجذع ، بكى وقال : الجماد يحن شوقًا إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ويبكى فما بالنا لا نبكى ! .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل . . الآية ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .
(٢) فى قوله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ [النجم : ١١] .

ثم قال السائل للإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ إن عيسى عليه السلام ـ كان يبرىء الأكمه : وهو الذى ولد أعمى .

فقال الشافعى ـ رضى الله عنه ـ إن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد ردَّ عين قتادة بن النعمان بعد ما قلعت ، فعادت أحسن مما كانت .

وقد دخل ابنه على سيدنا عمر بن عبد العزيز ، وأنشد أمامه هذين البيتين :

أنا ابن الذى سالت على الخدّ عينه * فردت بكفّ المصطفى أحسن الردِّ
فعادت كما كانت لأسرع حالها * فيا حسنها خدًّا ويا حسن ما قدّ

فقال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ : ـ

تلك المفاخر لا قِعْبَان من لبن * طال الزمان فصارت بعد أبوالا

(قلت) : وقد بصق ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى عينىْ سيدنا علىّ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ وكان بهما رمد ، فشفاه الله فى الحال ، وأخذ الراية يوم خيبر . [رواه البخارى ومسلم] .

قال الشاعر :

هذا الذى ردَّ عينًا بعد ما قلعت * وريقه قد شفا عين الإمام على
متى البشير يوافينى يبشرنى * بقرب طه وهذا منتهى أملى
يا زائرًا زارنى كانت زيارته * أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

(قلت) : ـ

قتادة رُدَّت له عينه * فعاد صحيحًا بها يبصرُ

وكان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يستشفون بريقه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبلمسه وبآثار وَضوئه وبدعائه فى حياته وبعد مماته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يضع يده على منبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم يمسح صدره .

التبرك بآثاره ﷺ :

فى البخارى أن أنسًا ـ رضى الله عنه ـ كان عنده قدح من خشب يملؤه ماء

للناس يشربون منه ، ويتبركون ، ويقول لهم : هذا القدح كان يشرب به النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وفى البخارى أن أم المؤمنين . رضى الله عنها ـ كانت تخرج جبة للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يضعونها على المرضى يلتمسون الشفاء .

وفى البخارى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا تنخم نخامة سقطت فى كفّ أحدهم فيدلك بها وجهه وجلده ، وإذا توضأ كادوا أن يقتتلوا على وضوئه .

قال الشيخ أحمد القسطلانى ـ رحمه الله ـ شارح البخارى :

يفعلون ذلك تبركًا بآثاره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

(قلت) : وقد سخر الله لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام البساط ، وقد سخر لنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ البراق ، وهو دابة من دواب الجنة وشتان بين البراق الذى هو من الجنة وبين البساط الذى هو من الدنيا وشتّان بين مَنْ ركب البساط ويسير به فى جوانب الدنيا ، وبين من ركب البراق للقاء الحق ـ سبحانه وتعالى ـ .

فإن قيل : إن سيدنا عيسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ فى السماء الثانية ، وإن سيدنا إدريس ـ على نبينا وعليه والصلاة والسلام ـ فى الجنة ، فإن نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رقى السموات السبع ثم سار إلى ما بعد سدرة المنتهى .

وإن قيل : إن سيدنا سليمان ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ أعطاه الله ملكًا ومالاً ، فإن نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خيرَّه الله تعالى بين أن يكون نبيا ملكًا أو نبيا عبدًا لله ـ تعالى ـ ، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا لله ـ تعالى ـ .

وقد صارت جبال مكة ذهبًا ، وعرضت نفسها عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فزهد فيها ، وقال عليه الصلاة والسلام ـ : (**أوتيتُ مفاتحَ كنوزِ خزائنِ الأرضِ**) ، **ولكنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ملك فزهد** .

وإذا كان الله تعالى ـ سخر الجن لسيدنا سليمان ـ على نبينا وعليه الصلاة

والسلام ـ فإن الله تعالى ـ سخر لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الملائكة الكرام ، وكانوا له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جنودًا وأعوانًا .

وإذا كان الله ـ تعالى ـ يسخر الطير لسيدنا سليمان ـ على نبينا علي الصلاة والسلام ـ فإن الله ـ تعالى ـ سخر لنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الأشجار وهى جمادات .

قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ : .

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة * تمشى إليه على ساق بلا قَدَمِ

وهناك أبيات من الشعر سمعتها فى فاس من بعض المغاربة وهى :

الليل دجى من وفرته * والصبح بدا من طلعته
فاق الرسل فضلا وعلا * كل العرب فى خدمته
نطق الحجر سعت الشجر * شق القمر بإشارته
فمحمدنا هو أحمدنا * السعد لنا بإجابته

وكانت هذه الأبيات تنشد فى بلاد كثيرة ، وسمعتها من بعض خلفاء السيد سرّ الختم الميرغنى ـ رضى الله عنه ـ .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ **جالسًا مع أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ فجاءت طائرة ، ولمست عمامته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بجناحها وهى تصوِّت ، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأصحابه : من منكم فجع هذه فى بيضها ؟ فقال صحابى : أنا يا رسول الله .**

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**اذهبْ ورُدَّ البيضَ مكانَهُ**) .

ففكِّرْ كيف عرفت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكيف فهم كلامها .

(قلت) : قد أشبهت قصة الهدهد ، وإلى هذا أشار صاحب الدلائل السيد الجزولى ـ رضى الله عنه ـ بقوله : (اللهم صل على من توسل به طير الفلاة) والحمد لله قد زرت مقامه بمدينة فاس بعد المغرب ، ووجدت مجلس الدلائل بجواره ، وذلك من فضل الله علىّ ، والحمد لله .

مشروعية التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم

أيها المؤمن : أرجوك أن تفكر معى فى علو شأن نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكيف عرفت قدره العالى الجمادات ، وكيف سأل الله ، انشقاق القمر فانفلق فلقتين ، وهذه المعجزة ثبتت بالقرآن العظيم والحديث الذى أخرجه البخارى ـ رحمه الله ـ فى تفسير سورة القمر .

وفى السيرة الحلبية قال عليه الصلاة والسلام ـ : (**كنت أعرف حجرًا بمكة يسلم علىّ**) رواه مسلم والترمذى والديلمى .

فكيف لا تتوسل إلى الله ـ تعالى ـ بمن عرف الحجر منزلته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسلّم عليه ، وعرف الشجر علو قدره ، فجاء يسعى إليه لما ناداه ـ صلى الله عله وآله وسلم ـ ليستره .

وقد عرف القمر نبوته ورسالته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فانشق بإشارته صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وقد جعله الله ـ تعالى ـ وسيلة وواسطة بيننا وبينه ـ سبحانه وتعالى ـ فى تبليغ الوحى ، فكيف لا يكون ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واسطة فى قبول الدعاء .

وقد جعله الصحابة جميعهم ـ رضى الله عنهم ـ وسيلة فى صلاة الاستسقاء وقد ثبت ذلك بالإجماع ، فكيف لا نجعله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة فى قبول الدعاء .

وقد أخرج البخارى وغيره أن الخلق يأتونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

يوم القيامة يسألونه الشفاعة ، فيذهب ويشفع لهم ، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**أنا لها . أنا لها**) .

إذا كان التوسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى الله تعالى ـ ينفع فى يوم هو أشد الأيام ، فيه القارعة ، وفيه الحاقة ، فكيف لا ينفع التوسل به فى الدنيا ، بل هذا يكون من باب أولى .

وتصوَّر معى يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ كلامى هذا ، فإنه لا تتعقله ولا تفهمه إلا القلوب التى فيها حب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الزائد على حب النفس والولد والوالد والناس أجمعين .

ومن لم يكن عنده هذا الحب ، فإنه يقف على الساحل ، والذين يقولون لا نسأله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الشفاعة مباشرة محجوجون بحديث الشفاعة المتقدم ذكره ، والشفاعة هى الوسيلة والتوسل ، وقد أثبتها القرآن العظيم فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ مَن ذَا الذى يشفعُ عندهُ إلاَّ بإذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وفى قوله ـ تعالى ـ ﴿ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وقوله ـ تعالى ـ ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشفاعة إلاَّ من اتَّخَذَ عند الرحمنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧] . والأحاديث بها كثيرة .

الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مستمرة إلى يوم القيامة :

أما الذين يقولون : إن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد مات ويريدون بذلك تنقيص قدره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الموت ، فمردود عليهم بقول الله ـ تعالى ـ ﴿ إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النبىِّ يا أيُّها الذينَ آمنُواْ صَلُّواْ عليهِ وسلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

والفعل المضارع يفيد تجدُّد الحدث فيكون المعنى : إن الله وملائكته يصلون على النبى صلاة دائمة مستمرة إلى يوم الدين بعد مماته كما كان ذلك فى وقت حياته لا فرق بين الوقتين ، وكذلك فى قوله : ﴿ صَلُّواْ عليهِ وسلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ . الأمر مستمر بعد مماته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما كان فى وقت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وقد كان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يسلمون عليه فى صلواتهم زمن حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بكاف الخطاب كما علمهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

(السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) . ويستمر ذلك بعد مماته إلى يوم القيامة .

وقد كان دخول الإسلام لمن أراد أن يُسْلم بالشهادتين وقت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ويستمر ذلك إلى يوم القيامة ، وقد كان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يسلمون عليه وقت حياته عند القدوم عليه ، ثم صاروا يسلمون عليه عند قبره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد مماته ، ويستمر ذلك إلى يوم القيامة .

من آداب الزيارة : ـ .

وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن رفع الصوت عنده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويستمر ذلك النهى إلى يوم القيامة ، فيحرم رفع الصوت عند قبره الشريف رفعًا مزعجًا . وأما ما يفعله الحجاج فى أيام الحج عند الزيارة حينما يحاكون المُزَوِّرَ فليس بحرام للضرورة .

وأما الزائر وحده ، فيسلم عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يسلم أحدنا إذا كان قادمًا على واحد أو جماعة ، وقد نهانا الله ـ تعالى ـ عن أن ندعوه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ باسمه قال ـ تعالى ـ :

﴿ لا تَجْعَلُواْ دُعَاءَ الرسولِ بَيْنَكُم كدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور : ٦٣] .

ومعنى الدعاء : النداء ، فلا يجوز لأحد أن يقول : ؟ يا محمد) بل يقول : (يا رسول الله . يا نبى الله) .

وهذا النهى مستمر إلى يوم القيامة ، فلا يجوز لنا أن نناديه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ باسمه بعد مماته ، ولذلك شرع فى الصلاة أن نقول : (السلام عليك أيها النبى) يعنى : يا أيها النبى . على حذف ياء النداء فلا يجوز أن نقول : السلام عليك يا محمد .

وهذا الحديث الذى فى التشهد أخرجه البخارى وغيره وهو :

(السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين ، فإنها تبلغُ كلَّ عبدٍ صالحٍ للهِ من أهلِ السمٰواتِ وأهلِ الأرضِ) .

يعنى أن هذه التحية يوصلها الله ـ تعالى ـ إلى كل عبد صالح لله سواء كان حيًا أو ميتًا من أهل الأرض ، وكذلك تبلغ جميع الأحياء من أهل السمٰوات .

ومن هذا الحديث يؤخذ جواز السلام على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى أى مكان كنت ـ وكذلك على عباد الله الصالحين من أهل السمٰوات وأهل الأرض ، وإذا كان يجوز أن تسلم عليهم وأنت فى الصلاة ، فمن باب أولى أن تسلم عليهم فى خارج الصلاة .

عناية الله تعالى بعباده الصالحين : ـ .

(مسألة) : اعلم أن الله ـ تعالى ـ له عناية بعباده الصالحين أحياء وأمواتًا ولذلك سلم عليهم ـ قال ـ تعالى ـ ﴿ الحمدُ للهِ وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصْطفَى ﴾ [النمل : ٥٩] .

فقرن السلام عليهم بحمده ـ تعالى ـ ؛ اعتناءً بشأنهم ، وإكرامًا لهم ، وهذا الاصطفاء عام للأنبياء والمرسلين والصالحين قال ـ تعالى ـ ﴿ إنَّ اللهَ اصْطفَى آدَمَ ونُوحًا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْرانَ على العالمينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أورثْنَا الكتابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] . وأمرنا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن نسلم عليهم فى الصلوات ، وذهب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى البقيع وسلم عليهم بأمر الله ـ تعالى ـ وأمر ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بزيارتهم فى قبورهم فقال :

(ألا فزوروها) . رواه مسلم والإمام أحمد والترمذى وأبو داود . واعلم أيها المسلم أن الله ـ تعالى ـ قد كرم جميع النبيين والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أحياء وأمواتًا ، وذكرهم فى كتابه وسلَّم عليهم بقوله : ﴿ سلامٌ

على إبـراهيمَ ﴾ [الصـافـات : ١٠٩] . وقـولـه : ﴿ سلامٌ على نوحٍ فى العالمين ﴾ [الصافات : ٧٩] .

واعتنى - سبحانه وتعالى - بجميع المؤمنين والمؤمنات ، وأمر بصلتهم ونهى عن أذاهم . قال - عليه الصلاة والسلام - :

(من آذى مسلماً فقـد آذانى ، ومن آذانى فقـد آذى الله) . رواه أحمد والطيالسى والترمذى .

وأمرنا - سبحانه وتعالى - فى القرآن العظيم أن نستغفر لمن سبقنا بالإيمان ، وهذه صلة تدوم بين الأحياء والأموات إلى يوم القيامة .

ومن محبته - تعالى - للصالحين ، مدحهم ، واعتنى بذريتهم قال - تعالى - ﴿ وكانَ أبُوهمُا صَالحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وقال - تعالى - ﴿ والذينَ آمَنُواْ واتَّبعتْهُم ذُرِّيَّتُهُم بإيمانٍ أَلحقْنَا بهِم ذُرِّيَّتَهُم وما أَلتْنَاهُم مِنْ عَمَلِهم مِّن شَىءٍ ﴾ [الطور : ٤١] .

أطـــوار الإنســـان
منذ خلقه إلى يوم البعث

اعلم أيها الأخ المؤمن أن الله - تعالى - يقول : ﴿ وقَدْ خلقكُم أطْوارًا ﴾ [نوح : ١٤] يعنى فى حالات متعددة :

الحالة الأولى : الأرواح خلقها الله - تعالى - بقوله كن وأوجد كل روح فى مقرها تنزل إلى الأرض فى اليوم المحدد لها فلا تقوم الساعة حتى تنزل جميع الأرواح إلى الأرض فإذا نفدت الأرواح لغى الحمل فلا تحمل امرأة وتقوم الساعة .

الحالة الثانية : نزول الأرواح إلى الأرض ودخولها فى أجسادها لتعيش فى الدنيا مع أجسادها وقد جمع الله بين الروح والجسد ، والروح عالم يسمع ويبصر

ويتحرك ويعقل ، والجسد لا يسمع ولا يبصر ولا يتحرك ولا يعقل ولا يتكلم إلا بواسطة الروح ، والروح لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تموت ، والجسد يأكل ويشرب وينام بواسطتها ويموت بخروجها منه .

الحالة الثالثة : مفارقة الروح للجسد فإذا خرجت منه عادت إلى ما كانت عليه وذهبت إلى مكان يسمى البرزخ وهو بين الدنيا والآخرة قال ـ تعالى ـ ﴿ ومِنْ ورائِهم بَرْزخٌ إلىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

ويكون لها اتصال بالقبر الذى دفنت فيه فترى الزائرين لها وتسمع سلامهم وترد عليهم وتصلها صدقاتهم وصالح دعائهم وتبقى إلى يوم القيامة .

الحالة الرابعة : أن الأجساد بعد الموت تعود إلى الأرض التى خرجت منها ، وهى أنواع : نوع يبقى كأجساد الأنبياء ، والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن شاء الله تعالى ، ونوع يصير ترابًا .

الحالة الخامسة ، إذا جاء يوم القيامة أعاد الله الأجساد سليمة كما كانت ثم يرسل الله إلى كل جسد روحه التى كانت فيه فى الدنيا وهذه هى حالة نفخ الروح الثانية ، أما الأولى فخلق الله الإنسان من نطفة فى الرحم ثم أرسل إليه الروح من عالمها بواسطة الملك فيدخلها فى الجسد ، وأما فى الحالة الثانية فالأجساد تعود من التراب والأرواح تأتى من البرزخ .

انتفاع الميت بالصدقة :

(مسألة) اعلم أيها الأخ المؤمن أن الموت انتقال وليس عدمًا فإذا فنيت الأجساد فلم تفن الأرواح ولذلك شرعت زيارة قبور الأموات لأنهم يسمعون ويبصرون ويردون السلام على من سلم عليهم ، وشرعت الصدقات لهم لأنهم ينتفعون بها .

وفى حديث البخارى لما أراد سعد أن يتصدق على أمه قال يا رسول الله : (**فإن تصدقت عليها بشىء هل ينفعها ؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ** : نعم) فدل هذا الحديث على أن الأموات ينتفعون بالصدقات وفى رواية قال له : (**تصدَّقْ عليها بالماء**) رواه النسائى .

(مسألة) قال ـ تعالى ـ ﴿ **فإذا جاءَ أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ [النحل : ٦١] أى إذا جاء أجل خروج أرواحهم من أجسادهم لا يستقدمون عن وقت الخروج ساعة ولا يستأخرون .

قال ـ تعالى ـ ﴿ **الذى خلق الموتَ والحياةَ** ﴾ [الملك : ٢] أى بسبب ، فسبب خلق الحياة دخول الروح فى الجسد ، وسبب خلق الموت خروج الروح من الجسد ، فالموت والحياة معدومان فلا يحيا الطفل فى بطن أمه إلا إذا خلق الله فيه الحياة ، ولا يموت الحى إلا إذا خلق الله فيه الموت ، فعلى المؤمن أن يعتقد أن الموت معدوم فكيف يخاف الإنسان العاقل من المعدوم ، فالناس فى ميدان الحرب يرون النار حولهم ومن فوقهم ولا يموت إلا من خلق الله موته ، وتغرق السفينة فى البحر ولا يموت إلا من خلق الله موته ، فالأحياء يخرجون أحياء قال ـ تعالى ـ ﴿ **يُخْرِجُ الحىَّ من الميت** ﴾ [الروم : ١٩] أى ولو أحاطت بهم الكارثة فى مكان واحد وزمان واحد فالظرفان متحدان والمظروفون مختلفون . فسبحان الله يعلم الحى الذى لم ينته أجله فيتركه حيا . ويعلم الذى انتهى أجله فيميته قال ـ تعالى ـ ﴿ **فَيُمْسِكُ الَّتى قَضَى عَليها الموت** ﴾ [الزمر : ٤٢] أى فيميت التى انتهى أجلها ﴿ **ويُرْسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسمًّى** ﴾ [الزمر : ٤٢] أى يترك التى لم ينته أجلها حية إلى انتهاء أجلها .

(مسألة) عالم البرزخ . فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى قبورهم فى روضة من رياض الجنة أحياء عند ربهم يصلون . قال عليه الصلاة والسلام : (**الأنبياءُ أحياءٌ فى قبورهم يُصَلُّون**) أخرجه الحافظ البيهقى والشهداء فى الجنة عند ربهم يرزقون ، وباقى المؤمنين الطيبين أرواحهم فى قبورهم فى روضة من رياض الجنة . قال عليه الصلاة والسلام : (**القبرُ إما روضةٌ من رياضِ الجنةِ وإما حفرةٌ من حفر النار**) . رواه الترمذى .

(مسألة) بعثهم بعد الموت يوم القيامة فيبعثون يوم القيامة على حسب درجاتهم عند الله . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **هُمْ درجاتٌ عندَ اللَّه . واللَّهُ بصيرٌ بما يعملونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٣] وقال تعالى : ﴿ **لا يحزنهُمُ الفزعُ الأكبرُ وتتلقاهمُ الملائكةُ هذا يومُكمُ الذى كنتم تُوعَدُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] يعيد الله الأجساد كاليوم الذى ماتت فيه ويدخل فيها الأرواح .

قال تعالى : ﴿ فإذَاهُمْ قِيامٌ يَنْظُرونَ ﴾ [الزمر :٦٨] .

(مسألة) تقدمهم إلى الحساب والميزان . قال الله تعالى : ﴿ **ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليوم القيامةِ** ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقال الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلتْ مَوازِينُه فَهُوَ فى عيشَةٍ رَاضِيةٍ * وأمَّا من خفَّت مَوازينُهُ فَأُمُّه هاوية** ﴾ [القارعة : ٦ ـ ٩] ومن ضمن الأحوال التى وردت أن الملائكة يقولون : (**يا رب إن فلانًا قد نقصت فرائض من صلواته فيقول الله سبحانه وتعالى : انظروا هل لعبدى من نوافل ؟ فيقولون نعم فيقول الله تعالى : أكملوا فرائضه من نوافله**) . وكذلك فى باقى الفرائض كالصوم والزكاة والحج .

إذا علمت ذلك فيتأكد على المؤمن أن يكثر من النوافل مع الفرائض خشية أن يكون قد ضيع فرضًا أو فعله فاسدًا ، ففى يوم القيامة حيث لا عمل ولا فدية تؤخذ النوافل بدلاً عن الفرائض الضائعة . وهذا من فضل الله العظيم كما قال الله تعالى : ﴿ **واللهُ ذُو الفَضْلِ العظيمِ** ﴾ [الحديد : ٢٩] وقد ورد فى الحديث القدسى الذى أخرجه البخارى وغيره قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل : (**ولا يزالُ عبدى يتقرَّبُ إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه**) . والنوافل عامة فى الصلاة والزكاة والصيام والحج . ويؤخذ من هذا الحديث استحباب النوافل من الصلاة بأن تصلى نوافل كثيرة لله تعالى ، واستحباب الصوم بأن تصوم أيامًا كثيرة لله تعالى واستحباب الزكاة بأن تتصدق بصدقات كثيرة لله تعالى ، واستحباب الحج بأن تحج سنين كثيرة لله تعالى ، فإن فسد الحج الفرض أخذ الله بدلاً عنه حجة من الحج النافلة .

وقد ورد عن الصحابة والتابعين وغيرهم رضى الله عنهم تكرار الحج ، وفى كتاب للقاضى عياض المالكى رحمه الله أن الشيخ ابن عرفة المالكى حج سبع عشرة حجة وفى كل مرة يلقى مالكا بالمدينة .

قلت : (لو كان تكرار الحج والإكثار منه فيه شىء ماسكت الإمام مالك رضى الله عنه عن ابن عرفة حين فعله) .

(مسألة) انصرافهم عن أرض المحشر . إما إلى جنة فينعمون وإما إلى

نار فيعـذبـون . قال ـ تعـالى ـ : ﴿ **فريقٌ فى الجنة وفـريقٌ فى السعـير** ﴾ [الشـورى : ٧] فأهـل الجنة باقون منعمون فيها أبدا . قال عليه الصلاة والسلام : [يُؤتَى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم ينادى منادٍ يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت] رواه البخارى ومسلم ، وسبب النعيم الإقرار بالشهادتين للأمة المحمدية ، وسبب العذاب إنكار الشهادتين ، فثبت أن الخير كله مقرون بكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

(مسألة) إذا رأى إنسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم فهى رؤيا حق بجسده وروحه صلى الله عليه وآله وسلم . وإذا رأى ميتًا فى اليقظة صار عظامًا ورآه فى النوم حيًا فتلك الروح لأن الإمام مالكا رضى الله عنه يقول : (هى صورة كالجسد) .

قال صاحب الجوهرة رحمه الله :

لمالـك هى صورة كالجسـد * فحسبـك النص بهذا السنـد

وهـذه المنامات تدل عل أن الأرواح باقية كما هى وتذكر ما كان فى الدنيا وتتحدث مع الحى بالشىء الـذى كانت تعـرفه . وقد ترجم حجة الإسلام الغـزالى رحمـه الله فى الإحياء (باب رؤيا المشـايخ فى النـوم) فذكر عجائب وغرائب . واعلم أن القبر قبران . قبر فى الدنيا وقبر فى الآخرة . فأما قبر الدنيا ففيه الجسد ولنا اطلاع عليه . وأما قبر الآخرة ففيه الروح ولا اطلاع لناعليه . وأما قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (**القبر أول منزلة من منازل الآخرة**) رواه البخارى فأراد به قبر الروح كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار**) رواه الترمذى لأننا إذا كشفنا قبر الميت لا نجد جنة ولا نارًا لأن الجنة والنار ليستا من عالم الشهادة بل هما من عالم الغيب ولا اطلاع لنا على عالم الغيب ، ولكن يجب علينا أن نؤمن بكل ما ورد فى الكتاب والسنة وإن لم تبصره أبصارنا ولم تسمعه آذاننا ولم تصل إليه أيدينـا ، لأن الإيمان بالغيب واجب ، وقد مدح الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب فى قوله تعالى : ﴿ **الذين يُؤْمنون بالغَيْب ويُقِيمُون الصَّلاَة ومما رزقناهُم يُنْفِقُونَ** ﴾ [البقرة : ٣] . والعطف هنا من عطف المسبب على السبب ؛ لأن الإيمان بالغيب سبب فى إقامة الصلاة والإنفاق .

وعند هذا المعنى ذكر القرطبى رحمه الله بيتًا من الشعر وهو :

وبـالغيب آمنـا وقـد كان قومنـا * يصلون للأوثـان قبـل محمـد

والإيمان بالغيب علامة على الصدق واليقين والإخلاص ، ومن الغيب الحق سبحانه وتعالى قال شيخنا سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه فى تفسير كلام الشيخ الجنيد رضى الله عنه :

توضـأ بماء الغيب إن كنت ذا سر * وإلا تيمم بالصعيد وبـالصخـر
وقـدم إمـامًـا كنت أنت إمَـامَـه * وصـل صلاة فى أول الـعصر
فهـذى صلاة الـعـارفـين بربهـم * فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

قال شيخنا رضى الله عنه : الغيب هو الله ، بمعنى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وذكر العارف بربه إذا ذكر ربه سبحانه وتعالى أن يكون هو غيبًا كما قال السيد عبد الله المحجوب الميرغنى رضى الله عنه :

وغب عن الـذكـر لدى المـذكـور * كذا عن الجـنـات والـقـصـور

وكما قال الجيلى رضى الله عنه :

* فغبـت وعنكـم لا تغيـب سـرائـرى *

وكما قال سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله عنه :

إن تكـن بالله قائـم * لم تكـن بل أنـت هو
أنـت سر الـغـيب من أسْـ * ـمَائِـه والـشـمسُ هو

(قلت) : وهذا مقام تجلى الأفعال ومشاهدة المؤثر عند رؤية الآثار مع فناء النفس ، إذ منهم من يشاهد المؤثر عند كل حركة وسكون ونفس فى نفسه .

وسألت مرة شيخى السيد محمد عبد العالى الإدريسى رضى الله عنهما عن الذكر فقال : العارف بالله تعالى لو حرك عصاه بيده هكذا ـ وكانت بيده عصاه يحركها ـ لكان ذلك ذكرًا .

(قلت) : يكون ذلك مع فناء النفس وتجلى الأفعال وهو أن يرى الفعل مخلوقًا لله تعالى وبذلك يحصل له حال .

قصيدة فى بيان فوائد الذكر :

وقد قلت بفضل الله تعالى :

قد جاء فى الأخبار * عن أفضل الأذكار
توحيد رب بارى * يا من أحب الله
أحيى بها الليالى * إن شئت للوصال
الذكر شيء غالى * يا من يريد الله
لا تغفلنَّ ساعة * واذكر مع الجماعه
والزم أهيل الطاعة * أحببب لهم لله
الذكر للإنسان * نور من الديان
ومطرد الشيطان * بالنور نور الله
يا من ذكرت البارى * لا تخش من أشرار
قد نلت للأوطار * وذا بفضل الله
كساك رب الذكر * كساء أهل الخير
كفاك شر الغير * كافى الورى الله
اذكره بالإخلاص * تنجو من الأقفاص
فى ذكره خلاصى * من شر خلق الله
أبواب رب دائم * كثيرة الغنائم
كم من محبٍّ قائم * بالذكر يا الله
يا معشر الأحبَّة * كل ينادى ربّه
فإن من أحبّه * يرضى بذكر الله
فإن ذكرت الهادى * جاءت لك الأيادى
الغيث عم الوادى * أتاك فضل الله
إيش أنت يا فقير * يمدُّك القدير
ففضله غزير * يا سعد من ناداه
اذكر بأى ذكر * مع الرضا والفكر

ولا تضع للعمر * فالسعد ذكر الله
فذكر ربى جَنّة * لمن يريد المنّه
وقاية وجنه * من شر خزى الله
يكفيك يا ذكّار * نفائس أنوار
تأتى لك الأخبار * بالحب حب الله
أبشر بما ترجوه * ما خاب من يدعوه
كم كُمَّل جاءوه * بالذكر ذكر الله
أبشر بعلم الشرع * وبالهدى والنفع
وكن كمثل الفرع * والأصل فعل الله
تهتزُّ بالأذكار * فى قبضة الجبار
كم من محبٍّ سارى * فى ليله لله
يذكره بالأشواق * يزيل للوثاق
مع خيرة الرفاق * الذاكرين الله
ثم صلاة الله * على نبى الله
محمد الأواه * وكلِّ من والاه
ما الجعفرى بنادى * على الإله الهادى
يرجو من الوداد * ودًّا له لله

ختمت فى ٢ ربيع الأول ١٣٩٠ هجرية بالجامع الأزهر الشريف .

وقد قلت بفضل الله ـ تعالى ـ فى قصيدة أخرى :

واهجر الوسواس لا تركن له * يشغل القلب عن الشىء الأجل
إنما الوسواس كالرِّيح التى * تؤذى للعينين فاعرف للمثل
ينظر الله إلى القلب الذى * فيه ذكر ورجاء ووجل
فَرِّغ القلب له عن غيره * تلق حلو الشهد حقا وتنل
واذكر الله بقلب حاضر * لا تكن فى ذكره ممّن غفل
تلق ما لاقوه أرباب الهدى * فى تجلٍّ وشهود لا يمل

أخلصوا لله فى أعمالهم * فتولى أمرهم فيما حصل
منهمُ غوث وقطب زاهد * فيهمُ الأوتاد أيضا والبدل
تنجلى الأكدار من رؤياهم * وبهم نصر إذا ما الكرب حل
كُلُّ من صار على نهج الهدى * نال كشفًا وشهودًا ووصل
ليس يفنى الخير ما دام التُقى * فبتقوى الله تحقيق الأمل
إنما الفضل كغيث هاطل * فتعرَّض كلما غيث هطل
نفحات الله فى أوقاتها * لا تدع للوقت من غير عمل
سحر الليل ينادى ربُّنا * لا تكن إذ ذاك فى نوم الهمل
إنما الأسحار أوقات بها * ينصب الدِّيوان فالرب نزل
فاذكر الله به فى خشية * شاهد الربَّ الذى عز وجل
وانشق العطر الذى ريحانه * فى جنان الذكر ناف للكسل
أهل ريحان الهوى لم يعرفوا * لذة النَّوم ولا ذل الفشل
شمروا عن ساعد الجد فما * أقبلوا يومًا على أى زلل
وسقاهم شربة من حبه * كل من ذاق ترقَّى وابتهل
ورأى الدنيا كظل زائل * فأباها وقلاها وارتحل
فر لله الذى آياته * فى جميع الكون تضوى كالشُّعل
صار مشغولاً به عن غيره * كلَّ وقت كلَّ حين لا يمل
عوَّد الروح على الذكر الذى * صار عند الروح أحلى من عسل
ورد إبن ادريس فى أوقاته * يصلح النفس ويهدى فى عجل
سيما الأحزابُ فى راياتها * كلُّ حزب نحو وصف الله دل
كم تجلٍّ وشهود يرتجى * وعلوم من غيوب لم تقل
إنما الشهد الذى من ذاقه * نال علماً وفتوحًا كالأوَل
قالها ابن ادريس فى أصحابها * خرق عادات هو العلم الأجلّ
ورَّث الأتباع علماً يا فتى * حارب الدنيا بأطراف الأسل
لم يكن من أهلها فى أهلها * فارق الدنيا وفيها ما ارتحل
فى شهود دائم فى حضرة * نوره كالشمس يهدى من عَقَل
قال هذا الميرغنى المرتضى * والسنوسى الذى عنه نقل

فانظر إبن ادريس فى أنواره * شيخُ علم راسخ مثل الجبل
تحضر الأملاك فى إملائه * لدروس العلم فى أىّ محل
نوَّر الدنيا بما ألقى بها * من علوم هاديًا خير السبل
وصلاة الله تغشى المصطفى * بسلام مثل تسليم الأوَل
وكذا آل كرام أخلصوا * فى جهاد النفس لله الأجل
جعفرى الأصل يرجو ربه * ختم خير ثم غفران الزلل

ختمت فى شوال ١٣٨٩ بالجامع الأزهر الشريف .

فتأمل أيها الأخ فى معانى هاتين القصيدتين ، فإنهما قد جمعتا من فضائل الذكر ما يكشف لك عن درر أصدافه وجواهره التى تحملها أمواج اجتهادك ووجدك عند ذكرك لربك سبحانه وتعالى .

واعلم أنك كلما اجتهدت وجدت . وكلما أخلصت تخلصت . وكلما ذكرت ذُكِرْتَ . وكلما تقرَّبت قُرِّبت . وكلما سألت أُجبت . وفكر هل أنت فى الأحياء أم فى الأموات ؟ فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**مثلُ الذى يذكرُ ربَّه والذى لا يذكرُ ربَّه مثلُ الحىِّ والميِّتِ**)رواه البخارى . فإن كنت من الأموات الذين لا يذكرون ربهم فقد حجبت نفسك عن الشىء الذى ينفع الأحياء من علوم وأسرار وأنوار وبركات ومكاشفات من الأشياء التى أعدها الله للأحياء . قال الله تعالى : ﴿ **لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا** ﴾ [يس : ٧٠] . فإن كنت ممن أحياهم الذكر فلك البشرى . وكلما ورد عليك وارد فقل : ﴿ **يا بشراي** ﴾ [يوسف : ١٩] وقال الله تعالى : ﴿ **فبشِّرْ عبادِ الذين يستمعُون القولَ فيتَّبعُون أحْسنه** ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] . وأحسن القول هو كلام الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ نزَّل أحسنَ الحديثِ** ﴾ [الزمر : ٢٤] . وقال الله تعالى : ﴿ **نحنُ نقصُّ عليكَ أحسنَ القصَصِ** ﴾ [يوسف : ٣] وأحسن المعانى وأفضلها وأصدقها خبرًا وأنجزها وعدًا وأوسعها حكمة وأضوؤها نورا ، هى معانى كلمات الله تعالى .

فتدبر آيات الله تعالى لعلك ترشد إلى ميازيب معانيها الهاطلة على قلب كل متدبر أواه ، فما من كلمة فى القرآن إلا ولها ذوق عند الروح ، وفيها ما ينشط

الروح ويجعلها مسارعة إلى ما فيه صلاحها ومنفعتها فى الدنيا والآخرة ، وفيها ما يزجر الروح وينفرها من كل ما فيه خسران الدنيا والآخرة . فالله تعالى سماه موعظة فما أبلغ وعظه . وسماه نورًا فما أعظم نوره حيث ينور ما أظلم من الإنسان ولن يصل شعاع الشمس إليه ، وسماه الله تعالى شفاء فما أعظم شفاءه ، فإن شفت العقاقير الأمراض الحسية فالقرآن شفاء للأمراض الحسية والمعنوية . والقرآن سمَّاه الله هاديًا فما أعظم هدايته لأنه يهدى إلى خيرى الدنيا والآخرة .

من أسرار كلمة التوحيد

وكلمة لا إله الا الله فيها أربعة أشياء :

(الأول) : إثبات الألوهية لله تعالى .

(الثانى) : إثبات الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(الثالث) : نفى الألوهية عما سوى الله .

(الرابع) : نفى الكذب عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

وكلما كررها المؤمن يزداد يقينًا وإيمانًا وتصديقًا ، ويصدق عليه قوله تعالى : ﴿ **وقلْ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهُوقًا** ﴾ [الإسراء : ٨١] . ولها سر عظيم فى طرد الوسواس وهداية النفس وتيسير الأمور الدنيوية والأخروية . وفيها تصديق للحديث القدسى : ﴿ **ما ذُكِرْتُ إلا وُذكِرْتَ معى**) . وهذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ **ورفعْنَا لكَ ذِكْرَكَ** ﴾ [الشرح : ٤] .

(تنبيه) : اعترض بعض الناس على (فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) . وأقول بفضل ربى تعالى : أيها الناس تعلموا العلم فإن طلبه فريضة . اللمحة معناها حركة العين ، والنفَس معلوم . ومعنى عدد ما وسعه علم الله يعنى عدد المخلوقات التى خلقها الله تعالى وعلم عددها كالجبال والرمال والأشجار وأوراقها والبحار وأمواجها ، وعدد مخلوقات الله تعالى التى فى السموات السبع وفى الأرضين السبع . ومعناها : اللهم اكتب لى ذكرًا لهذه الكلمة الشريفة بعدد جميع المخلوقات ، ومعلوم أن المرة الواحدة بعشر حسنات

إلى سبعمائة يكون ذلك مضروبًا فى عدد مخلوقات الله ، وذلك يعجز الخلق جميعًا ولا يعجز الله تبارك وتعالى . قال الله تعالى : ﴿ **ربَّنا وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْمًا** ﴾ [غافر : ٧] . يعنى علمت بعددهم ورحمتهم ولا أدرى ما وجه الاعتراض وقد جاء كثير من ذلك فى الأحاديث النبوية ، إن شاء الله سأذكر شيئاً منها فى هذا الكتاب .

واعلم أن علم الله تعالى قديم ولا يتعدد باعتبار ذاته ، ولذلك قيل (عدد ما وسعه علم الله) ولم يقل (عدد علم الله) لأن علم الله تعالى قديم ، والقديم لا يتعدد ولا يتنوع إلا باعتبار المتعلقات .

قال الشيخ الأخضرى رحمه الله : (باب أنواع العلم الحادث) وقال شيخ الأزهر الشيخ إبراهيم الباجورى رحمه الله عند شرحه لهذا الكلام : فإن قيل لا داعى لذكر كلمة الحادث لأن علم الله تعالى القديم يخرج بقوله (أنواع) أجيب بأن كلمة الحادث لابد منها لأن علم الله تعالى يتنوع باعتبار المتعلقات فتارة يتعلق بالإحياء وتارة يتعلق بالإماتة وتارة يتعلق بالرزق ، وهذه عند علماء التوحيد تسمى صفات الأفعال وهى مما اختلف فيه أهل السنة ، فقال الأشاعرة : هى حادثة ؛ ولذلك قال صاحب الجوهرة اللقانى الأشعرى رحمه الله :

وعندنا أسماؤه العظيمة * كذا صفات ذاته قديمة

فخرجت صفات الأفعال بقوله : كذا صفات ذاته قديمة ، فهى عند الأشاعرة حادثة . وقال صاحب بدء الأمالى الماتريدى :

صفات الذات والأفعال طرا * قديمات مصونات الزوال

فأثبت أن صفات الأفعال قديمة كصفات الذات . وأما المعلومات فلم يختلف أحد فى حدوثها ، وأنها خلقت بعد أن كانت معدومة ، وهذا هو المراد من قوله : (عدد ما وسعه علم الله) .

واعلم أن الشيخ الأستاذ سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه قبل أن نسميه شيخ الطريقة المحمدية الأحمدية ، وقبل أن نعلم أنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عالم بالقرآن وقراءاته ، وعالم بالقرآن وتفاسيره ،

وبالسنة وشروحها ، وبعلم الأصول ومسائله ، وبعلم التوحيد وقضاياه ، وبعلم الفقه ونصوصه ، وبعلم مصطلح الحديث ، وبعلم رجال الأثر وبعلمى النحو والصرف ، وبعلوم المعانى والبيان والبديع ، وبعلم المنطق وقضاياه ، وبعلم التصوف ، وبعلم الإلهام الصادق . فهذه ستة عشر علماً .

والشيخ ابن إدريس رضى الله عنه عالم يفوق علماء أهل زمانه ، يصدق عليه حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (**العلماءُ ورثةُ الأنْبياءِ**) رواه البخارى فهو رضى الله عنه قبل أن نصفه بالنسب إلى حضرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو وارث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تعلم منزلة الوراثة وفضل العلم . قال عليه الصلاة والسلام : (**فَضْلُ العالم على العابدِ كفَضْل القمر ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ**) رواه أحمد . وفى رواية : (**كفَضْلى على أدْنَى رجلٍ من أصْحَابى**) . وفى رواية : (**كفضلى على أدناكم**) . والعالم كما أنه وارث النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذلك خليفته صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عليه الصلاة والسلام : (**رحمَ اللهُ خُلفَائى . قالُوا ومَنْ خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى**) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقد ثبت له شرف القرآن والعبادة زيادة على شرف النسب . قال عليه الصلاة والسلام : (**أشرافُ أُمَّتى حملةُ القرآن وأهلُ الليل**) رواه الطبرانى وعبد الرزاق .

فيا أيها المعترض إذا علمت كلامى هذا فكيف تعترض على كلام رجل عالم بهذه العلوم ، ويكفيك هذا ردا عليك إن كنت من الذين يفهمون العلم وفقنى الله وإياك إلى عدم الاعتراض على العلماء والعاملين المتمسكين .

فإذا كان هذا الشيخ العالم الذى شهد له أهل زمانه ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، إذا كان هو لا يعلم معنى كلمة (فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) فمن الذى يعلم هذا الكلام بعده ؛ وكيف تقف الترعة الصغيرة أمام البحر المتلاطم الأمواج ، وقد قيل :

. . . . . * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فأين درجة المعترض من المعترض عليه ؟ وأين القط من الأسد ؟

فالمعترَض عليه كالأسد والمعترِض كالقط . قال الشاعر :

. . . . . * كالقط يحكى انتفاخًا صولة الأسد

والقط هو الهر (وسنور) وعند أهل السودان هو (الكديس) وعند أهل ليبيا هو (القطوس) وعند المغاربة هو (الموش) وعند أهل لبنان هى (البسينة) وعند أهل صعيد مصر هى (البس) .

وقل للذين يقولون نحن على طريق الشيخ سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه : إذا فهمتم الذى كان عليه شيخكم وعلمتم حاله وأنه شيخ القرآن والعلوم، مكث زمنًا طويلا يتلقى العلوم، ومكث زمنًا طويلا يعلم الناس العلوم، وهذا طريق شيخكم إذا أردتم أن تكونوا أحمديين حقا فعليكم به . أسأل الله أن يوفقنى وإياكم إلى اتباعه رضى الله عنه ، واعلموا أن الذى أخذ الطريق عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقظة هو السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه ، فهو صاحب الطريق وشيخه وقد لقنها لتلاميذه وتلاميذه لقنوها لتلاميذهم إلى يومنا هذا .

وشيخ الطريق واحد وهو السيد أحمد والباقون كلهم تلاميذه وتلاميذ تلاميذه ، ولم يقل واحد منهم قد تلقيت الطريق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقظة .

قال الشيخ عالم المغرب سيدى محمد بن على السنوسى رضى الله عنه : كان شيخنا رضى الله عنه يسمى طريقته المحمدية نسبة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وتارة يسميها الأحمدية نسبة إليه رضى الله عنه ا هـ .

وكان سيدى أحمد رضى الله عنه عالمًا ، وصيَّر جميع تلاميذه الآخذين عنه علماء بفنون كثيرة .

وللمناسبة كان الشيخ سيدى محمد بن على السنوسى رضى الله عنه يدرس ألفية ابن مالك بالحرم المكى ، فوقف فى درسه الشيخ محمد بن الشفيع السودانى رحمه الله فأعجبه درس الشيخ ابن السنوسى فجلس فيه فتتلمذ له

وأخذ عنه الطريق الأحمدى وهاجر معه إلى ليبيا ومن ذريته الآن الحاج الشيخ عبد الرحمن بن الشفيع من الإخوان السنوسية ، وإنما ذكرت هذه القصة دليلاً على أن سيدى الشيخ ابن إدريس رضى الله عنه كان عالمًا بجميع الفنون وأن تلاميذه رضى الله عنهم كانوا كذلك ، ما فيهم جهلاء بأمور دينهم .

وقد سئل رضى الله عنه يومًا عن كرامات الآخذين لطريقته المحمدية الأحمدية فقال : (علم يفيضه الله تعالى على قلوبهم) . وقد بشرنى رضى الله عنه فى حديث له معى (يفتح الله عليك بعلم ينفع الإخوان) .

الصلة بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته :

مسألة غريبة وعجيبة لا يستطيع حلها كبار العلماء وقد حلها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهى أن الله تبارك وتعالى أنزل عليه الأمر بالصلاة عليه وحده صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ وملائكته يُصَلُّونَ عَلى النبىِّ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّواْ عليه وسلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . فظاهر الآية أن المأمور بالصلاة عليه هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحده ، فكيف فسر الضمير الواحد فى قوله تعالى : (**عليه**) به صلى الله عليه وآله وسلم وبأهل بيته رضى الله عنهم ؟ وذلك حينما سأله الصحابى : يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلى عليك ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**قولوا : اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ**) رواه أحمد والدارمى والنسائى .

فكيف أدخل فى الأمر الوارد بالصلاة عليه وحده أهل بيته معه رضى الله عنهم ؟ وذلك لأمور لا يعلمها كثير من الناس .

أولها : أنه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته كالشىء الواحد . قال عليه الصلاة والسلام (**حسينٌ منى وأنَا مِنْ حُسَينٍ**) رأيت هذا الحديث فى كتاب مخطوط للشيخ الزرقانى شارح موطأ الإمام مالك يقول فيه : حديث صحيح . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**فاطمةُ بضعة منِّى مَنْ أغضبها فقد أغضبنى**) رواه البخارى ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من كنتُ مَوْلاهُ فعلىٌّ مَوْلاه**)

رواه الترمذى وأحمد ، فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ متصل بجميع آل بيته ، وهم متصلون به ، والدال على تمام الاتصال قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**مَنْ أغضبها فقد أغضبنى**) فمن أغضب أهل البيت رضى الله عنهم فقد أغضب جدهم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن زارهم فى روضاتهم فكأنما زار جدهم صلى الله عليه وآله وسلم ، فهنيئًا للمحبين الزائرين . ولهم رضى الله عنهم إدراك بعد مماتهم يزيد على إدراكهم فى حياتهم فى الدنيا .

وقد ورد أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تزور قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبر أبيها أمير المؤمنين الصديق رضى الله عنه من غير أن تسدل خمارَها ، فلما دفن أمير المؤمنين سيدنا عمر رضى الله عنه سدلت خمارها عند الزيارة .

فيا أيتها المؤمنات الزائرات لأهل بيت النبوة رضى الله عنهم أسدلن خماركن عند زيارة الرجال من أهل البيت رضى الله عنهم كما كانت تفعل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

الأمر الثانى : أنه صلى الله عليه وآله وسلم نور ، وأهل بيته نور منه . ومعنى الحديث (**حسينٌ منى وأنا من حسين**) يعنى أنا الشمس وحسين نور برز منى كما يبرز شعاع الشمس من الشمس ، ومعنى (**أنا من حسين**) يعنى أنا متصل بالحسين كما تتصل الشمس بشعاعها .

اعلم أيها المؤمن أن الله تعالى يقول فى وصف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (**وسِرَاجًا مُنِيرًا**) [الأحزاب : ٤٦] فوصفه الله تعالى بأنه نور . وقد قال الله تعالى : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم من اللهِ نُور** ﴾ [المائدة : ١٥] وأخرج الحافظ عبد الرزاق اليمنى الزبيدى فى مسنده (**أول ما خلق اللهُ نورُ نبيك يا جابر**) وذلك على الله ليس بعزيز ، فإنه سبحانه وتعالى خلق سيدنا آدم عليه السلام من التراب من غير أب وأم ، وخلق السيدة حواء عليها السلام من ضلع أبينا آدم عليه السلام الذى هو عظم من غير أب وأم ، وخلق سيدنا عيسى عليه السلام من تراب بقوله (**كُنْ**) فكان من غير أب ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ **وكَلِمتُهُ أَلْقَاهَا إلى مريمَ ورُوحٌ منه**) [النساء : ١٧٠] . يعنى أن الله تعالى قال لجسد سيدنا

عيسى عليه السلام وهو عدم (كن) فكان جسدًا ، ثم أرسل سيدنا جبريل عليه السلام فنفخ فيه الروح .

فالفرق بين سيدنا عيسى عليه السلام وبين غيره من الناس أنهم يخلقون من النطفة ، والذى يأتى بأرواحهم ملائكة غير سيدنا جبريل عليه السلام كما فى الحديث : (**ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ المَلَكَ فينفخُ فيهِ الرُّوحَ**) رواه البخارى .

الأنوار المحمدية ورؤية الذات العلية

وعندى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نور لا كالأنوار بل يفوق جميع الأنوار التى خلقها الله تعالى ؛ لأن سيدنا جبريل عليه السلام ظهر عند سدرة المنتهى فى السماء السابعة بصورته الملكية وله ستمائة جناح ، ومعلوم بأنه من النور كما فى كتب التوحيد (أن الملائكة أجسام نورانية) وقد تأخر ولم يتقدم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكان الرؤية ، واعتذر بأنه لو تقدم خطوة لاحترق بالأنوار ، فتقدم صلى الله عليه وآله وسلم وحده فى تلك الأنوار الجلالية المحرقة التى لا يستطيع مخلوق أن يتقدم إليها من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين . فو لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم نورًا يفوق جميع الأنوار ما تقدم إلى تلك الأنوار المحرقة . ولو لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم نورًا يفوق جميع الأنوار لما كشف له الحجاب ولما ثبت أمام التجلى الإلهى والرؤية الربانية .

وقد أخرج شيخنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه (**وسأل صلوات الله وسلامه عليه الرُّوحَ الأمينَ جبريلَ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه بقوله : هل رأيت ربَّكَ ؟ فانْتفضَ وقال : إنَّ بينى وبينه سبعين حجابًا من نور لو دَنَوْتُ من أَدْنَاهَا لَاحْتَرَقْتُ**) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال شيخنا فى أحزابه : (وقد صار الجبل وهو من الصم الرواسى الشامخات دكًا ، وخر موسى وهو من كبراء خواص أصحاب الوحى صعقًا من ظهور قدر أنملة الخنصر من نورك ، كما أعلمتنا بذلك فى الوحى الإلهى بقولك ﴿ **فلمَّا تجلَّى ربُّهُ للجبَلِ جعلَهُ دَكًا وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا** ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

قلت : أخرج الإمام أحمد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (رأيتُ

ربِّى ليلةَ أُسرِىَ بى) . وقد أشار شيخنا رضى الله عنه إلى ثباته صلى الله عليه وآله وسلم عند الرؤية الإلهية وكشف الحجب الربانية بقوله فى أحزابه : (سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلك الحقائق الصفاتية الإلهية المشحون السابح فى بحر سرادقات بهاء عزة كنه ألو هيَّتك حيث لاثبات لقدم مخلوق هنالك ، حتى لم يتزلزل فى مشاهدته العظمى بعد كشف الحجاب وظهور أنوار السبحات الوجهية الإلهية المحرقة واستيلاء صولة عظمة الخطاب كما وصفته لنا حيث لا حيث بقولك : ﴿ **فَاسْتَوَى * وهو بالأُفُقِ الأَعْلى * ثم دَنَا فتدلى * فكَانَ قَابَ قَوسين أو أَدْنَى * فَأَوْحَى إلى عَبْده مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَد رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدهَا جنة الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ البصرُ وما طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى** ﴾ [النجم : ٦ ـ ١٨] .

وقال الشيخ البرعى رحمه الله :

ومـوسـى خرَّ مَغـشـيّاً عليه * وأحمـدُ لم يكـن ليضيق ذهنـا
ولـو قارنـت لفـظة لن ترانـى * بما كذاب الـفـؤاد فهـمت معنى
وإن ذكـروا نجىَّ الـطورِ فاذكـر * نجىَّ الـعـرش مفـتقـرًا لتغنى

وقال البوصيرى رحمه الله :

حتـى إذا لم تَدعْ شأواً لمسـتـبق * من الـدنـو ولا مرقى لمستنم

وقال أيضًا :

لو ناسـبـت قدره آياتُـه عِظَماً * أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقـول رحمـه الله : إن الله تعـالى لم يعط النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم معجزات فى الدنيا على قدر منزلته عند الله تعالى ، ولو أعطاه لكان إذا ذكر اسمه صلى الله عليه وآله وسلم عند قبر ميت مرت عليه سنين لعاد حيًّا .

الكرامات وخوارق العادات :

(مسألة) قال الشيخ محمد عبده المصرى رحمه الله : (يجوز أن يختص الله تعالى بعض عباده الصالحين بالكرامات وخوارق العادات والدليل على ذلك قصة آصف بن بَرْخيا ، وقصة مريم ابنة عمران عليها السلام حينما كانت تجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، وقصة أصحاب الكهف رضى الله عنهم) ثم قال :(والمانعون للكرامات المدعون أنها تلتبس بالمعجزات كلامهم باطل لأن الفرق شاسع بين المعجزة والكرامة) ا هـ .

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله فى رسالته الدمشقية :

(يجوز أن يظهر الله تعالى خوارق العادات على يد العلماء الصالحين وهذا أمر باق فى هذه الأمة إلى يوم القيامة) .

وقد ألف الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى قاضى بيروت رحمه الله تعالى كتابًا سمَّاه (جامع كرامات الأولياء) فراجعه إن شئت ترى العجائب والغرائب .

وقال صاحب الجوهرة الشيخ إبراهيم اللقانى الأزهرى :

واثْبِتَنْ للأولِيا الكرامة * ومن نفاها فانبذنْ كلامه

اقرأ حاشية الباجورى رحمه الله على جوهرة التوحيد لا سيما ما قاله عند هذا البيت .

* منظومة جعفرية فى إثبات المعجزة والكرامة *

وقلت بفضل ربى تعالى :

يجوز أن يخلق رب العالم * خوارق العادات للأكارم
لا فرق بين الحىِّ والأموات * إذ كان ربى خارق العادات
وللغلامين لأجل الجدِّ * قد خرق العادة رب المجد
وأرسل الصالح عبد الله * ليظهر الكنز لهم بالله
فذى كرامة لجدٍّ سبقا * فكن أخى مفكرًا محققا

وأكرم الله لأجل الأمّ * صدّيقة وصانها من إثم
وآية فى الطور فاقرأ نصها * ذريّةٌ قد أكرمت بوصفها
أجدادها فى معشر الأموات * قد ألحقوا بهم بلا فوات [1]
والمعجزات للنبى آية * كذا الكرامات على الولاية
يوشك من ينكر للكرامة * أن ينكر التظليل والقيامة
وفى تشهد من الصلاة * نسلّم حقا على الأموات
من صالح العباد للخلاق * فى هذه الأرض وفى الطباق
ومَدَحَ الإله صحب أحمد * ومدح الأخيار أهل السؤدد
قد جاء مدح الله فى التوراة * لمعشرٍ أئمةٍ ثقات
وكيف لا نمدحهم يا مسلم * ولا نزورهم ولا نسلم
وحبهم قد جاء للإيمان * علامة عن سيد الأكوان
فزرهم فالمصطفى قد زارا * أهل البقيع نحو بدر سارا
فزرهم بالحب والتصدُّقْ * عساك أن تكتب فيمن يصدُق
فلا تخالف فعل خير الناس * فزرهم فى جملة الأكياس
فرحمة الله عليهم نازلة * واحذر فريق المنع والمجادلة
فقد رأيت المصطفى نبينا * يزور للحسين نحو مصرنا
ومرة عاتبنى من أجله * فدلنى بقدره وفضله
وقد رأيت عمر الفاروقا * بقبة الحسين ثِقْ وثوقا
وقد رأى غيرى من الأخيار * فضائل الحسين ذى الأنوار
ما ليس يدرى لمحبٍّ كاتب * فالزم سبيل الخير والمواهب
ثم صلاة الله للمختار * مع السلام فى دجى الأسحار
والآل ما زار الحسين زائر * أو سار نحو الجدِّ يومًا سائر
ما الجعفرى سأل الغفارا * مغفرة ورحمة أنوارا

(ختمت بالأزهر الشريف فى ربيع الثانى سنة ١٣٩٣ هجرية)

---

(١) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة الطور .

وهذه كلمات يسيرة جعلتها شرحًا لبعض ما تقدم فى هذه المنظومة الصغيرة :
(قوله : يجوز أن يخلق . . . الخ) .

أجمع العلماء على أنه يجوز أن يختص الله - تعالى - بعض عباده الصالحين بخوارق العادات - وتسمى الكرامات - وقت حياتهم ، وقال بعض العلماء : وكذلك بعد مماتهم ، وعللوا بأنه إذا كانت الكرامة مخلوقة لله - تعالى - فلا فرق بين حياة الولى وموته .

وقد ألف الشيخ النووى الشافعى - رحمه الله - رسالة ذكر فيها بعض كرامات للسلف الصالح - رضى الله عنهم - من الصحابة وغيرهم .

والكرامة : شىء يخلقه الله - تعالى - إكرامًا للولى الصالح ، ويجريه على يديه له هو أو لمن يحبه . (كسماع سارية بن زُنَيْم - رضى الله عنه - صوت سيدنا عمر - رضى الله عنه - ، وهو يخطب على المنبر بالمدينة ، وكان سارية أميرًا على الجيش فى بلدة بعيدة) .

(قوله : وللغلامين لأجل الجَدِّ . . . الخ) .

قال تعالى : ﴿ وأمَّا الجدارُ فكانَ لغُلَامين يَتِيمَيْنْ فِى المدينةِ وكانَ تَحْتَهُ كنزٌ لهُمَا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

قال الجلال - رحمه الله - : مال من ذهب وفضة .

(لـهـمَـا وكـانَ أَبُـوهُـمَا صَالِحًا) . قال الجلال - رحمه الله - : فحفظا بصلاحه فى أنفسهما ومالهما .

وقيل : اسمهما أصرم وصريم .

قال عكرمة وقتادة : الكنز كان مالاً جسيماً ، قال المفسرون : وهو الظاهر من اسم الكنز ، وهو فى اللغة : المال المجموع ، وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - : كان علماً فى صحف مدفونة ، وعنه أيضًا قال : كان لوحًا من ذهب مكتوب فى أحد جانبيه : (بسم الله الرحمن الرحيم . عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ! ، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، عجبت لمن يؤمن بالموت

كيف يفرح ، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) .

وفى الجانب الآخر مكتوب : أنا الله لا إله إلا أنا ، وحدى لا شريك لى ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه ، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه .

قوله تعالى (**وكانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**) ظاهر اللفظ أنه أبوهما حقيقة ، وقيل : هو الأب السابع . قاله جعفر بن محمد ، يعنى الصادق ـ رضى الله عنه ـ جدنا وجدّ السادة الجعافرة ، وقيل الجد العاشر ، فحفظا فيه وإن لم يذكرا بصلاح ، وكان يسمى كاشحا ، قال مقاتل ـ رحمه الله ـ : واسم أمهما دنيا ، ذكره النقاش .

قولـه (وإن لم يذكرا بصلاح) أى : لم يصفهما الله ـ تعالى ـ بالصلاح كما وصف أباهما قال المفسر ـ رحمه الله ـ : وفيه ما يدل على أن الله يحفظ الصالح فى نفسه وفى ولده وإن بعدواْ عنه .

وقد روى أن الله يحفظ الصالح فى سبعة من ذريته ، وعلى هذا يدل قوله تعـالى : ﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الـذى نَزَّلَ الكِتَـابَ وَهُـوَ يَتَـولى الصَّـالِحِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

(قلت) : يعنى يتولى الصالحين بصلاحهم فى أنفسهم ، ويتولى ذريتهم من أجل صلاحهم .

(قوله : وأكرم الله لأجل الأم . . . الخ) :

هى السيدة مريم بنت عمـران ، حفـظها الله وذريتها بسبب صلاح أمها ودعائها بالخير لها ولذريتها ، وقد ورد فى الحديث : (**مَا من مولُودٍ يُولَد إلا مسَّهُ الشيـطانُ حين يُولَـد فيستهـلُّ صَارِخًـا إلا مريمَ وابنها**) . رواه الشيخان : البخارى ومسلم .

وقد تلقيتُ هذا الحديث عن شيخنا حبيب الله الشنقيطى ـ رحمه الله ـ ، وذكره فى كتابه (زاد المسلم) فى حرف (ما) .

ومما مَنَّ به الله علىّ أننى كنت مقرئا له ـ وعند المغاربة يقولون : سرادًا له ـ حتى لقى ربه سبحانه وتعالى .

ومن الكرامات : ذهبت لأزوره فى منزله قبل رمضان بيومين ، ونويت بقلبى أن أستأذنه فى أن أكون قارئا له فى رمضان ، فأول ما رأيته قبلت يده فضحك ، وقال : أنت إن شاء الله ستكون سرّادًا لى .

والحمد لله تم المقصود ، وقد عرف ما أردت منه من غير أن أخبره .

(قلتُ) : ويستثنى من عموم (ما) نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنه معصوم ولم يعط الله ـ تبارك وتعالى ـ أحدًا من خلقه عصمة كعصمة نبينا سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ولم يخف الشيطان الرجيم من أحد كخوفه من نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؛ إذ لو دنا منه لاحترق بالأنوار ، كيف وقد ظهر منه يوم ولادته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نور أضاء إلى قصور الروم وكنعان ! .

(قوله : وآية فى الطور . . . الخ) .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّنْ شَيْءٍ** ﴾ [الطور : ٢١] .

قال المفسرون : فى هذه الآية دليل على إكرام المستأخرين من الذرية بصلاح آبائهم وأجدادهم ، ويكونون معهم فى الجنة فى درجاتهم وإن لم يعملوا مثل عملهم .

(قلت) : ويشترط أن يكون عملهم عملاً صالحًا يبلغهم الجنة ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**من بَطَّأ به عَمَلُه لَمْ يُسرِعْ به نَسَبُه**) . رواه مسلم .

يعنى : من عمل عملاً يدخله النار ، فلا يسرع به انتسابه إلى آبائه وأجداده إلى دخول الجنة . أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من العاملين بعمل أهل الجنة وأن يدخلنا الجنة مع أجدادنا وآبائنا الصالحين .

قال الخطيب ـ رحمه الله ـ فى تفسيره : ويلحق بالذرية من النسب الذرية

بالسبب وهى المحبة ، فإن كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر ، فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة .

وقال شيخنا الأستاذ سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**من لا أبَ له فهو لَقِيطٌ**) .

قال شيخنا : الأب أبوان : أبو الروح وأبو الجسد ، وأبو الروح أفضل من أبى الجسد ، لأن أبا الجسد يربى الجسد الفانى ، وأبا الروح يربى الروح الجوهر الباقى .

(قوله : والمعجزات للنبى آية . . . الخ) :

المعجزة أمر خارق للعادة يظهر على يدنبى أو رسول ، ويكون دليلاً على صحة دعواه النبوة أو الرسالة . والكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد رجل ظاهر الصلاح ، وتكون الكرامة دليلاً على صدقه وولايته .

(قوله : يوشك من ينكر للكرامة . . . الخ) :

قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : إن إنكار كرامات الأولياء يؤدى إلى إنكار المعجزات . ومعنى التظليل للغمامة أى : المعجزة التى وردت من تظليل الغمام له ـ ﷺ ـ فى الحرّ .

(قوله : وفى تشهد من الصلاة . . . الخ) :

أخرج البخارى عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه عليه الصلاة والسلام علَّم أصحابه أن يقولوا : (السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين) .

ثم قال : (فإنها تبلغُ كلَّ عبدٍ صالح لله من أهْلِ السَّمواتِ وأهْلِ الأرْض) .

(قوله : ومدح الإله صحب أحمد . . . الخ) :

قد ورد أن الله ـ تبارك وتعالى ـ مدح النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ومدح أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ فى الكتب المنزلة السابقة ـ فكيف لا نمدحهم نحن ؟ ! .

(قوله : وحبهم قد جاء للإيمان . . . الخ) :

أخرج البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى تكونَ ذاتى أحبَّ إليه من ذاته ، وعترتى أحبَّ إليه من عترته**) . والمراد بالعترة : القرابة .

مشروعية الزيارة وشدّ الرحال

قوله (فزرهُـمُ فالمصطفى قد زارا . . . الخ) .

فقد ورد فى الصحاح أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ زار أهل البقيع ـ رضى الله عنهم ـ وفى عيون الأثر للحافظ بن سيد الناس ـ رحمه الله ـ فى مناقب أهل بدر : (وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يزور شهداء بدر فى كل عام مرة) .

وبدر لبعدها عن المدينة تحتاج إلى شدّ الرحال ، وحمل الزاد والماء ، فيفهم من هذا الحديث أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه كانوا يشدون الرحال لزيارة أهل بدر .

فإن قيل : ماذا نعمل فى حديث (**لا تُشَدُّ الرِّحال**) ؟

أقول : أخرج البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجدُ الحرام ، ومسجدُ الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومسجدُ الأقصى** .

معنى الحديث : لا ينتقل أحد من مسجد من المساجد إلى مسجد آخر معتقدًا أن الصلاة فى الثانى أفضل من الأول إلا الثلاثة مساجد ؛ لفضلها ، لأن الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وفى مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بألف صلاة ، وفى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة .

فالمستثنى منه (عموم المساجد) والمستثنى (المساجد الثلاثة) .

وأراد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى هذا الحديث أن العبادة فى جميع المساجد متساوية فى الثواب ، فلا ينبغى لأحد أن يفضل مسجدًا على مسجد

آخر تفضيلاً يبيح له الانتقال إلا إلى المساجد الثلاثة ، فأفضلية العبادة فيها عن غيرها تبيح لنا أن ننتقل من غيرها إليها ، وهذه الأفضلية توقيفية عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقوله (**لا تشد الرحال**) : خرجت مخرج الغالب ، إذ الانتقال يعم شد الرحال وغيرها .

هذا الذى ألهمنيه ربى سبحانه وتعالى ، وبعد الاطلاع على شراح الحديث وجدت القول الصحيح هو الذى ذكرته هنا .

وإليك قول أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر العسقلانى ـ رحمه الله ـ فى الحديث : (والأولى أنه يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو : لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة ، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين) اهـ .

قال ابن حجر رحمه الله : (وهى من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية) .

يعنى : تحريم شد الرحال إلى زيارة قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

حكم زيارة القبور وشد الرحال إليها

(**قلت**) : الشىء الذى يوصل إلى الواجب يكون واجبًا كدفع المبلغ الذى تأخذه شركة الحج ، إذا توقف الحج عليه يكون دفعه واجبًا ، وكذلك دفع المال الذى تتوقف عليه العمرة على القول بأنها سنة إذا كانت توقفت العمرة عليه يكون دفعه سنة ، بمعنى أنه يثاب ثواب السنة على المال المدفوع للعمرة .

وقد ثبت بالسنة القولية والفعلية ، استحباب زيارة قبور المسلمين : أما القولية : فقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**ألا فزوروها**) .

وأما الفعلية : فزيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لقبور أهل البقيع .

فإذا ثبت أن زيارة القبور سنة ، فالذى يوصل إليها يكون سنة ، فإذا مشيت مشيًا إلى المقبرة كما مشى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى البقيع كان مشيك سنة ، بمعنى : أنك تثاب عليه ثواب السنة ، فإذا ركبت دابة إلى زيارة

القرافة واستأجرتها بأجرة كان دفعك لهذا الأجر سنة ، بمعنى : أنك تثاب عليه ثواب السنة ، فلو أن رجلاً دعاه والداه إلى الحضور بالصعيد ، يكون ذهابه إلى الصعيد واجبًا ، فإذا أجر القطار أو أجر دابة وذهب إلى الصعيد يثاب على هذه الأجرة ثواب الواجب ؛ لأن طاعة الوالدين واجبة ، إذن قول من يقول : إن شد الرحال إلى زيارة القبور حرام ويستدل بالحديث (**لا تشد الرحال**) غير صحيح ؛ لأن الأمر عام .

قال عليه الصلاة والسلام : (**ألا فزوروها**) يعنى : مشاة أو ركبانًا ، فكونه يقول : شد الرحال حرام ، ويعترض على الزائرين هذا قول من غير دليل ، كيف وقد قال الحافظ بن حجر العسقلانى فى حديث مسجد قباء عن ابن عمر : « **كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتى قُبَاءَ ما شِيًا وراكبًا** » قال الحافظ فيه إن النهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم .

(وقوله : فقد رأيت المصطفى نبينا . . . الخ) .

هو إشارة إلى الرؤيا التى رأيتها : وهى أننى رأيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دخل قبة سيدنا الحسين ، وجاء إلى جهة الرأس الشريفة ، وقبلها ، وسمعت قائلا يقول: هذا رسول الله يقبل رأس الحسين ـ رضى الله عنه ـ .

ومرة أكلتُ بصلاً ، وأتيت فصليت المغرب والعشاء بالقبة ، فرأيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لى : (أتاكل مثل هذا وتأتى عند الحسين) .

(قلتُ) : واحذر ثم احذر أيها الزائر عند زيارتك لسيدى أبى عبد الله الحسين ـ رضى الله عنه ـ أن تشاهد رأسًا وجسدًا ميتا ، بل يجب عليك أن تشاهده متصفًا بسبع صفات ، كما وصفه ربه ـ سبحانه وتعالى :

الأولى : أحياء ، الثانية : عند ربهم ، والثالثة : يرزقون ، والرابعة : فرحون ، والخامسة : يستبشرون ، والسادسة : سيهديهم الله ، والسابعة : ويصلح بالهم .

فسيدى أبى عبد الله السبط الحسين ـ رضى الله عنه ـ قد اتصف بهذه الصفات السبع [1] .

فعليك أن تشاهده عند الزيارة كما وصفت لك ، ويلزمك الأدب ، وغض الصوت ؛ لأنه من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**حسينٌ منِّى وأنا من حسين**) ، رواه مالك فى الموطأ .

وقد رأيتُ مرة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ جالسًا بقبة سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، وسلمت عليه ، وجاء الرجل من طلبة العلم من فلسطين ، وسلم عليه ، فصار سيدنا عمر ـ رضى الله عنه . يقول له : هذا مال رابح أو هذا المال رابح .

فوقع فى نفسى أنه أراد النفقة التى ينفقها والده عليه فى طلب العلم .

(خاطر فى التوسل بالجامع الأزهر ربيع الثانى سنة **١٣٩٣** هـ) .

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وابتغُواْ إليه الوسيلةَ** ﴾ [المائدة : **٣٥**] .

التكلم عن الوسيلة يحتاج إلى ثلاثة أشياء : النص ، والقياس ، والعقل ويحتاج إلى معرفة كلمة الوسيلة ، والتوسل ، والمتوسَّل إليه ، والمتوسَّل به : ومعنى الوسيلة : السبب المتخذ من العبد فى وصول المقدور الإلهى إليه ، والعبد هو المتوسِّل ، وهذا الشىء هو المتوسَّل به وهو السبب ، والمتوسَّل إليه هو الله تعالى والمتوسَّل من أجله هو الشىء المطلوب :

فمثلا : التصدُّق على الفقراء والمساكين وسيلة وسبب ، والمتوسِّل هو العبد والمتوسَّل إليه هو الله تعالى ، والمتوسَّل من أجله هو الجنة وهو الحاجة المطلوبة .

فتحصل من هذا الكلام أن جميع الوسائل والأسباب مخلوقة لله تعالى ، ولكنها محبوبة له . قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات : **٩٦**] .

---

(١) وقد وردت هذه الصفات السبع فى الآيتين ١٦٩ ، ١٧٠ من سورة آل عمران ، والآية ٥ من سورة محمد ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ ذلك ومَنْ يُعظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فإنها مِنْ تَقْوَى القُلُوب ﴾ [الحج : ٣٢] .

فتبين من ذلك أن الوسيلة مخلوقة ، ويشترط فيها أن تكون محبوبة لله تعالى .

ولا فرق فى الوسيلة بين أن تكون صدقات أو حجًا أو صيامًا أو وضوءًا أو برًا للوالدين ، أو إنسانًا له شأن عند الله تعالى ؛ لأن جميعها مخلوقة لله ومحبوبة لله ، أو حجرًا كتقبيل الحجر الأسود ، أو حجارة مبنية بيتًا كالكعبة فإن الطواف بها وسيلة ، أو دعاء لله تعالى ، يذكر له عمله الصالح ويتوسل به إليه ، أو يتخذ نفسَ الدعاء وسيلة ، وكل ذلك قد ثبت بالنص والقياس .

بقى معنا العقل . إذا كان الطواف بالبيت عملاً صالحًا مخلوقًا محبوبًا إلى الله تعالى فالطواف به مأمور به من الله تعالى ، فبامتثا لنا أمر الله كان ذلك وسيلة وسببًا فى نيل المرجو من الله تعالى وهو المغفرة والرحمة .

الله تعالى أمرنا باحترام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح : ٩] . أى : النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإذا احترمناه ووقرناه كان ذلك وسيلة إلى الله ـ تعالى ـ فى حصول المرجو من الله تعالى ـ تعالى ـ وهو الثواب والمغفرة والرحمة .

أمر الله تعالى بغض الصوت عند نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيًا وميتا ، كما فهم ذلك الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ وغيره ، وكما فهم ذلك علماء نجد ، فإنهم ينهون الناس عن رفع الصوت عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ فغض الصوت عنده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ امتثال لأمر الله تعالى ، ووسيلة إلى الثواب والمغفرة والرحمة من الله تعالى .

طاعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ واجبة ؛ لأن الله تعالى أمر بها ، فمن أطاعه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ امتثالاً لأمر الله تعالى ، فقد حصل التوسل بطاعته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو مخلوق ـ لله ـ تعالى ـ الخالق فى وصول الثواب والمغفرة والرحمة للمتوسِّل . قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] .

المعنى : كأنما يبايعون الله . من باب التشبيه البليغ الذى تحذف فيه أداة

التشبيه ؛ لأن الله تعالى ـ شيء ، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شيء ، فبيعتك النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المخلوق لله تعالى تكون سببًا ووسيلة فى حصول البيعة الإلهية لك .

كذلك إذا قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (يا أنس ائتنى بماء للوضوء) . فامتثال أنس لهذا الأمر المحمدى امتثال لأمر الله أى : كأنه امتثل أمر الله تعالى ومن امتثل أمر الله تعالى أثابه الله ، وغفر له ورحمه ؛ لأن الذى يثيب ويغفر ويرحم هو الله ـ تعالى ـ ، ولكن جعل طاعة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى مثل هذا الأمر سببا ووسيلة إلى المغفرة والرحمة .

أما إذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ﴾ . [المزمل : ٢٠] .

فإن الامتثال هنا حقيقى لله تعالى ، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الوسيلة والسبب فى وصوله إلى خلق الله تعالى .

والذى جعله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة وسببًا فى تبليغ الأحكام إلى عباد الله ـ تعالى ـ هو الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الخلق لم يعرفوه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعرفوا قدره العظيم ، وإنما الله تعالى هو الذى دلهم عليه ، وعرفهم قدره ، فاحترام الخلق للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما كانوا فيه مقتدين بالله تعالى ، وممتثلين لأمره .

كذلك مدحهم له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنما كانوا فيه متبعين ومقتفين لله تعالى . حيث مدحه سبحانه وتعالى بما يليق بقدره العظيم .

قال سبحانه ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ [الشرح : ٤] .

والمعنى المجمع عليه أن معنى هذه الآية : ﴿ **كُلَّمَا ذُكِرتُ ذُكِرْتَ مِعى** ﴾ .

من فوائد الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم

اعلم أننا نعتقد أن كل شيء فى خزائن الله ، فلا ينزل شيء من خزائن الله ـ

تعالى - إلا بإذنه بقدر معلوم . قال تعالى : ﴿ وإنْ من شيءٍ إلاَّ عندنا خزائنُه وما ننزلُه إلاَّ بِقَدرٍ مَعْلُومٍ ﴾ . [الحجر : ٢١] .

وأن كل شيء لا يبرز إلى هذا الوجود ولا يخلق إلا بقوله تعالى : ﴿ كُنْ فيكون ﴾ [يس : ٨٢] .

قال تعالى : ﴿ إنَّما قولُنا لشيءٍ إذا أرَدْناهُ أنْ نقُولَ له كُنْ فيكون ﴾ [النحل : ٤٠] .

فنحن نذكر الله تعالى ، ونرجوا منه أن يقول لحوا ئجنا المرجوة منه كونى فتكون وإنما نذكر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ ليكون ذكره وسيلة إلى الله تعالى - فى بلوغ المقصود ؛ لأنه سبحانه أمرنا أن نصلى ونسلم عليه فى الحياة وبعد الممات فى المدينة وفى غيرها من البلاد .

ففى قولنا : اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم امتثال لأمر الله تعالى ، واحترام لنبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ومن حبه سبحانه وتعالى - لنبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلى على من يصلى عليه مرة عشرًا ، فالصلاة عليه - صلى الله عليه وآله وسلم - حيًا وميتًا وسيلة وسبب فى صلاة الله تعالى على العبد المصلى على نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وصدق البوصيرى رحمه الله حينما قال : -

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

لأن مدح جميع العالم له - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يساوى ذرة بالنسبة لما مدحه الله - تعالى - به . وحب جميع الخلق له - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يساوى ذرة بالنسبة لحب الله تعالى له - صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن الفارض - رحمه الله تعالى - :

أرى كل مدح فى النبى مقصرًا * وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما يمدح الورى

وأراد بعض العارفين أن يشطر همزية البوصيرى - رحمه الله - فقال :

بابن عمران شرفت سيناء * وبإدريس والمسيح السماء

* ولـــك العـــرش مـوطـــئ ووطـــاءُ *

كيف ترقـى رقـيك الأنـبـياء * يا سماءُ ما طاولـتـهـا سماءُ

فسمع الهاتف يقول له : (قف) فلم يزد على ذلك شيئا .

ومعنى العرش هذا المكان الذى كان فيه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند رفع الحجاب ، ورؤية رب الأرباب ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولم يرد العرش العظيم ، هذا الذى ظهر لى .

« بحـــث فـــى »
« التـــوسُّـــل والوســـيلة »

العقل يقول : إذا كانت الوسيلة العبادة كالوضوء ، فهل الأفضل الوضوء المخلوق لله تعالى أم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المخلوق لله تعالى ؟ وأيهما أحب إلى الله تعالى ؟ فإذا جاز التوسل بالوضوء فمن باب أولى أن يجوز التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد ورد عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه توسل إلى الله تعالى ـ بعمله كما فى قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (**اللهم إنى أسألك بحق ممشاى هذا**) رواه أحمد وابن ماجة . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك**) رواه أحمد وابن ماجة .

وتوسل ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بجاهه وجاه الأنبياء قبله عندما أدخل فاطمة بنت أسد ـ رضى الله عنها ـ القبر قال : (**اللهم إنى أسألك بجاه نبيك وجاه الأنبياء من قبله**) وفى حديث الأعمى : (**اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد ـ ﷺ ـ نبى الرحمة**) .

وحديث الأعمى مذكور فى الترغيب والترهيب للحافظ عبد العظيم المنذرى فى باب (صلاة الحاجة) ، وذكر جواز التوسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الحياة وبعد الممات فى حديث الرجل الذى دعا بهذا الدعاء فى عهد سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ . وحديث الأعمى أخرجه الترمذى وصححه ، وأخرجه النسائى والبيهقى أيضًا .

وفى خلافة سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ أخرجه الطبرانى والبيهقى والترمذى بسند حسن صحيح .

وقد ورد التوسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبل ظهوره فى الأرض ،

وذلك أن سيدنا آدم توسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا الحديث فى كتاب المستدرك للحاكم رحمه الله وصححه .

واليهود كانوا يتوسلون به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما فى الآية الشريفة : ـ ﴿ **وكانُواْ يستفتحُون بهِ على الَّذِين كَفَرُواْ** ﴾ [البقرة : ٨٩] .

روى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح من رواية ابن أبى صالح السمان عن مالك الدارى ، وكان خازن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : أصاب الناس قحط فى زمن عمر رضى الله عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل فى المنام فقيل له : ائت عمر . . . الحديث .

وقد روى سيف فى الفتوح أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة ـ رضى الله عنه .

وقد أخرج الزبير بن بكار فى الأنساب قال : خطب الناس عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : أيها الناس إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يرى لعمه العباس ما يرى الولد لوالده ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى عمه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله .

وقد أخرج البخارى ـ رحمه الله ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : إن عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كانوا إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فَيُسْقَوْن .

وقد بين الزبير بن بكار فى الأنساب صفة ما دعا به العباس رضى الله عنه فى الواقعة ، والوقت الذى وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث ، فأرخت السماء مثل الجبال ، حتى أخصبت الأرض وعاش الناس .

قال الحافظ بن حجر العسقلانى ـ رحمه الله ـ : (ويستفاد من قصة العباس الاستشفاع بأهل الخير والصلاح ، وأهل بيت النبوة ، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ، ومعرفته بحقه) .

(قلتُ) :

س ـ ما الذى فهمتَه من كلام سيدنا عمر حينما قدَّم سيدنا العباس ـ رضى الله عنهما ـ فى صلاة الاستسقاء ؟

ج ـ قدمه لاحترام النبى ـ ﷺ ـ له حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يحترمه كما يحترم الولد والده .

س ـ ما الذى فهمتَه من كلام سيدنا العباس ـ رضى الله عنه ـ حينما دعا ؟ .

ج ـ فهمنا من قوله : (وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك) احترام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وقرابته منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

س ـ إذا كنا نتوسل بسيدنا العباس ما السبب فى التوسل ؟ .

ج ـ لمكانته من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

س ـ فإن قيل إنما توسلنا بدعاء سيدنا العباس رضى الله عنه ؟ .

ج ـ قلنا سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ أفضل من سيدنا العباس ـ رضى الله عنه ـ فلو كان التوسل بالدعاء فقط لكان سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ أولى بالتقدم .

س ـ ما الذى فهمته من كلام سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فى دعائه ؟

ج ـ فهمنا منه أنه قال : اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى أيام حياته معنا ، والآن لما غاب عنا بالموت نستسقى بعمه العباس ، لكونه عمًّا لنبيك ـ ﷺ ـ ، ولا حترام نبيك ـ ﷺ ـ له .

س ـ ولماذا عدل سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ عن الاستسقاء برسول الله ـ ﷺ ـ إلى سيدنا العباس ـ رضى الله عنه ـ ؟ .

ج ـ لأن صلاة الاستسقاء مشروعيتها تتوقف على إمام حيّ يراه الناس يصلى بهم ويدعو لهم ، ولما استحال ذلك بسبب عدم رؤية الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ بسبب الموت عدل سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ عن الاستسقاء برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

س ـ لفظ الدعاء الذى ذكره سيدنا عمر (اللهم إنا نتوسل) فكيف أنت تقول نستسقى ؟ .

ج ـ قالوا : يؤخذ فقه البخارى من تراجمه ، وترجم البخارى لهذا الحديث بقوله : باب صلاة الاستسقاء ، وبقوله : كانوا إذا قحطوا استسقى عمر بالعباس ـ رضى الله عنه ـ ، وكذلك فى كتاب (منتقى الأخبار) والقصة نفسها تثبت ذلك ، فيكون معنى قوله (نتوسل) : نستسقى . إذ لو كان معناها : نتوسل ، لكان التوسل بالنبى ـ ﷺ ـ بعد مماته لا يجوز ، وإنما هذا حديث يدل على أن الاستسقاء بعد وفاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يجوز به ، بمعنى : يتقدم ويصلى بالناس صلاة الاستسقاء ويدعو لهم .

س ـ وما قول من يقول : سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ توسل بالعباس ؛ لأنه حيّ ، وترك النبى ـ ﷺ ـ ؛ لأنه ميت ، والحيّ أفضل من الميت ؟ .

ج ـ هذا غلط كبير ؛ لعدم فهم الحديث كما ينبغى ، وقد شرحت لك المعنى والله يهدى إلى الصواب .

ولا تفهم أن التوسل فى هذا الحديث ، وإنما هذا هو الاستسقاء ويدل على التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى غير صلاة الاستسقاء كأن تقول : اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن تقضى حاجتى .

أما حديث التوسل الصريح ، فهو المروى عن عثمان بن حنيف :

(اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبى الرحمة . يا محمد يا رسول الله : إنى توجهت بك إلى ربى فى أن يرد علىّ بصرى . اللهم شفعه فىّ) .

س ـ وهل دعا الداعى بهذا الدعاء فى مجلس النبى ـ ﷺ ـ أم كان بعيدًا عنه ؟

ج ـ كان بعيدًا عن النبى ـ ﷺ ـ ، ولم يسمعه رسول الله ﷺ ، ولم يره ؛ لأن الداعى كان داخل المسجد ، والنبى ـ ﷺ ـ كان خارج المسجد ، حينئذ يجوز أن نتوسل به ـ ﷺ ـ فى حياته فى مكان بعيد عنه .

س ـ وهل يجوز لنا أن نتوسل به ـ ﷺ ـ بهذا الدعاء بعد مماته ؟ .

ج ـ نعم . أخرج الحافظ عبد العظيم المنذرى فى الترغيب والترهيب فى باب (صلاة الحاجة) :

أن عثمان بن حنيف الصحابى رأى رجلاً يختلف على باب أمير المؤمنين عثمان ابن عفان ـ رضى الله عنه ـ فقال له : ما حاجتك ؟ قال : لى حاجة عند أمير المؤمنين وعدنى بها وأطال علىّ .

فقال عثمان بن حنيف : ألا أدلك على دعاء إذا دعوت به قضى الله لك حاجتك ؟ قال : نعم . فعلمه الحديث المذكور ، فلما دعابه ، وخرج من المسجد سمع مناديًا ينادى عليه : أن أمير المؤمنين يدعوك ، فدخل على عثمان رضى الله عنه فهشَّ فى وجهه ، وأجلسه بجواره على الطنفسة ، وقال :

(والله ما ذكرت حاجتك حتى الآن) .

يؤخذ من هذا الحديث جواز التوسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد مماته نثرًا ونظماً . والأفضل عندى التوسل بهذا الحديث الوارد الذى جُرِّبت عند الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ إجابة الله تعالى لهم به فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ و بعد مماته .

س ـ ما الفرق فى التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حياته أو بعد مماته ؟ .

ج ـ لا فرق فى ذلك ؛ لأن المسئول هو الله تعالى ، والذى يقضى الحاجة هو الله تعالى ، ولا فرق بين أن يكون ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيًا على وجه الأرض ، وبين أن يكون حيًا فى روضته الشريفة .

فقد أخرج البيهقي عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (**الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يُصَلُّون**) .

س ـ لماذا بعض الناس يشددون على التوسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد مماته ؟ .

ج ـ قد فرقوا بين حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبين موته ولم يفرقوا في السلام ، فإنهم يسلمون عليه في موته كما كانوا يسلمون عليه في حياته ، ولم يفرقوا في الصلاة عليه ، فإنهم يصلون عليه بعد موته ، كما كانوا يصلون عليه في حياته ، ولم يفرقوا في احترامه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنهم أوجبوا احترامه بعد مماته ، كما أوجبوا احترامه وقت حياته . ومن دخل الإسلام لابد أن ينطق بالشهادتين بعد مماته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما كان ينطق بهما في وقت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

والكافر إذا قال : (أشهد أن لا إله إلا الله) ولم ينطق (بمحمد رسول الله) .

وقال : (هذا ميِّت) قتلناه كفرًا ، ولا إسلام له .

وقد قلتُ في منظومتي المسماة (روضة القلوب والأرواح) :

فاسم المصطفى في الدين ركن * وجاحده أضلّ الجاحدينا

وفي الصلوات جميعها نسلم عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالنداء (السلام عليك أيها النبي) أي : يا أيها النبي . فنسلم عليه بكاف الخطاب ، وبالنداء احترامًا له ـ ﷺ ـ وتوقيرًا . وقد تقدم في هذا الكتاب بحث يشمل هذا الكلام .

(فصـــل)

ثبت في حديث أبي أمامة الباهلي عند الطبراني في الكبير ، وفي كتاب الدعاء له في أدعية الصباح والمساء : « أسألك بنور وجهك الذي أشرقت به السموات والأرض ، وبكل حقّ هولك ، وبحقّ السائلين عليك . . . الخ » .

س ـ ما الذى فهمتَه أيها القارئ من هذا الحديث ؟

ج ـ فهمت أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ توسّل إلى الله تعالى وسأله ـ سبحانه ـ بحق السائلين عليه من المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

س ـ السائلين جمع سائل ، والسائل إنسان ثبت له وصف يحبه الله ويرضاه وهو سؤال الله ـ تعالى ـ ، وهذا الوصف هو السبب فى قول ـ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**بحقّ السَّائلين عليك**) ؛ لأن السائل ثبت له وصف يحبه الله ويرضاه وهو سؤال الله تعالى .

كذلك النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عبد من عباد الله تعالى ثبتت له أوصاف عظيمة يحبها الله ويرضاها ، وهى النبوة والرسالة ، وحب الله تعالى له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وهذا هو السبب الذى أباح للداعى أن يتوجه به إلى الله تعالى ، كما فى حديث : (**نبيك ـ ﷺ ـ نبىّ الرحمة**) . فالنبوة هى سبب التوجه به إلى الله تعالى .

س ـ وهل النبوة ثابتة له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد موته كما فى حياته حتى نتوسل به إلى الله تعالى بعد مماته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، كما توسلنا بها إلى الله ـ تعالى ـ وقت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟

ج ـ نعم . أجمع المؤمنون على أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ متصف بجميع الصفات التى وصفه الله ـ تعالى ـ بها فى القرآن .

ويعجبنى هذا الحديث الذى دار بين عالم مغربى وعالم آخر ، قال العالم الآخر : إن النبى ﷺ قد مات يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وإنهم مَيِّتُونَ** ﴾ [الزمر : ٣٠] .

فقال المغربى : نعم ! إنه قدمات ـ ﷺ ـ ، ولكن قال الله تعالى وصفه : ﴿ **وسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٤٦] .

فهل طفىء السراج بعد الموت ؟ فإن قلت : طفىء بعد الموت ، كفرت . وإن قلت : باقٍ كما هو لا يزال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سراجًا منيرًا فهمت أنه ـ ﷺ ـ بعد موته ليس كغيره من الناس ، وهذه الآية تدل على أن

موته ـ ﷺ ـ ليس كموت غيره ؛ لأن الله تعالى اختصه بموت خاص به ـ ﷺ ـ فقال : (إنَّكَ ميِّتٌ) أى : بالموت الذى يليق بك كإخوانك من الأنبياء والمرسلين الذين هم أحياء فى قبورهم يصلون ، والذين هم حضروا فى بيت المقدس ليلة الإسراء وشاهدتهم ، وصلّوا خلفك .

س ـ ما حق السائلين على الله تعالى ؟ .

ج ـ اعلم أنه لا حق لأحد على الله ـ سبحانه ـ وجوبًا ، ولكن تفضلاً منه ـ سبحانه ـ وإحسانًا ، كما قال تعالى :

﴿ وكانَ حَقّا علينا نَصرُ المؤْمنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] .

وعلى تفيد الوجوب ، ولكن المراد هنا : تفضلاً وإحسانًا ، فوصف السائلين أنهم رفعوا أكفّ الضراعة إلى الله تعالى ـ يسألونه من فضله وحقهم الذى عند الله تعالى التفضل أن يمنّ عليهم بالإجابة من كرمه وإحسانه ، فالذى توسل به النبى ـ ﷺ ـ هو إقبال الله عليهم بالإجابة والإحسان ، والسبب فى ذلك إقبالهم على الله تعالى يدعونه ويرجونه .

ومن قال ذلك فى الأحياء فقط ، فلا دليل له ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إنهُم كَانُواْ يسارعون فى الخيراتِ ويدعوننا رغبا ورَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

وهؤلاء الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ يدخلون فى حديث بحق السائلين عليك ؛ لأن الموت لا يضيع منازل الناس عند الله تعالى قال تعالى : ﴿ وإنَّ لَهُ عندنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآب ﴾ [ص : ٤٠] .

س ـ وهل يجوز لنا أن نقول . بحق نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ استدلالاً بهذا الحديث ؟

ج ـ نعم يجوز لنا ذلك ، وأعظم الحقوق وأفضلها وأشرفها حق النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على الله تعالى ، بمعنى تفضله سبحانه وتعالى وإحسانه وإنعامه على نبيه . صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد أنشد الشيخ أحمد القسطلانى ـ رحمه الله ـ شارح البخارى فى كتابه (المواهب اللدنية) قوله :

إليك وإلاّ لا تشدُّ الركائب * وعنك وإلاّ فالمحدِّث كاذبُ
وفيك وإلا فالغرام مضيَّع * ومنك وإلا فالمؤمِّل خائبُ

(فصل)

روى الطبرانى والبيهقى والترمذى بسند حسن صحيح عن عثمان بن حنيف أيضًا : أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ زمن خلافته فى حاجة فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر فى حاجته ، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف الراوى للحديث المذكور ، فقال له : ائت الميضأة (أى محل الوضوء) فتوضأ ، ثم ائت المسجد ، فصلِّ ركعتين ، ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك فى حاجتى لتقضى ، وتذكر حاجتك .

فانطلق الرجل فصنع ذلك ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاءه البواب ، وأخذ بيده ، فأدخله على عثمان ـ رضى الله عنه ـ فأجلسه على الطِّنْفِسَة وقال له : أذكر حاجتك ، فذكرها فقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى الساعة ، وما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج ذلك الرجل من عنده ، فلقى ابن حنيْف ، فقال له ، جزاك الله ـ تعالى ـ خيراً ، ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته لى ، فقال ابن حنيف : والله ما كلمته ، ولكنى شهدت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأتاه ضرير ، فشكا إليه ذهاب بصره إلى آخر الحديث المتقدم .

فهذا توسل ونداء بعد وفاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وبهذا الحديث استدل الإمام الحافظ ابن الجوزى ، وقال فى كتابه المسمى بـ (الحصن) : إن من آداب الدعاء أن يتوسل الداعى إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين من عباده اهـ .

وأقره على ذلك غير واحد كالعلامة القارى فى شرحه عليه .

س - ما الذى فهمته من هذا الحديث ؟

ج - الذى فهمته من هذا الحديث أن الصحابى عثمان بن حنيف علم الرجل الآخر دعاء حديث الأعمى ، وهو توسل بالنبى (ﷺ) إلى الله تعالى وقد كان ذلك بعد وفاته - صلى الله عليه وآله وسلم - فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه ويؤخذ منه : جواز التوسل بالنبى ﷺ بعد مماته .

س - وهل الجماعة المانعون التوسل به - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد المات كما أن المجيزين الذى يجيزون التوسل به - ﷺ - بعد مماته عندهم حديث صريح يدل على ذلك .

ج - تحصل لك أن الذين يقولون نتوسل بالنبى - ﷺ - بعد مماته عندهم حديث يدل على ذلك ، وأما الجماعة المانعون فلا حديث عندهم .

س - وهل كان أحد من السلف غير عثمان بن حنيف يدعون بحديث الأعمى هذا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ج - ذكر ابن تيمية فى كتاب له هذا الكلام : (والسلف الصالح كانوا يدعون بحديث الأعمى) . وقد كتب الإمام أحمد رضى الله عنه منسكًا لتلميذه المروزى ، وأمره فيه أن يتوسل بالنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - .

س - ما الذى فهمته من كلام ابن تيمية رحمه الله ؟ .

ج - فهمتُ منه أن السلف الصالح وهم الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم إلى نهاية الخمسمائة كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وأن الإمام أحمد رضى الله عنه كان يتوسل بالنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وكتب لتلميذه المروزى كتابا فيه دعوات ، وأمره فيه أن يتوسل بالنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قال شيخنا الشيخ حبيب الله الشنقيطى رحمه الله : والشيخ ابن تيمية صادق فى النقل ، فهذا الكلام الذى نقله صحيح ثم قال : وقال ابن تيمية بعد ذلك : وبعض أهل العلم لا يرى ذلك ، ويراه من الإقسام على الله - تعالى - بمخلوق .

قال الشيخ حبيب الله . أتدرون من بعض أهل العلم ؟ قال : أراد نفسه ؛ لأنه لا يوجد أحد يمنع التوسل بالنبى ـ ﷺ ـ قبل ابن تيمية . وقد أثبت فى كلامه أن السلف الصالح والإمام أحمد رضى الله عنهم كانوا يتوسلون ، فمن هذا الذى أراده بقوله : وبعض أهل العلم لا يرى ذلك ؟ وكيف ابن تيمية لا يفرق بين التوجه والتوسل والإقسام ويقول على حديث الأعمى ، ويراه من الإقسام على الله تعالى بمخلوق. ولم يقل هذا القول أحد من السلف ولا من الخلف ، ولم ينكر أحد على حديث الأعمى وأما كلام ابن تيمية فيدل على الإنكار على الحديث مطلقًا ، ولم يصرح بهذا الإنكار أحد من السلف ولا من الخلف .

وجزى الله عنا الشيخ الشنقيطى خيرًا ؛ إذ لولاه ما عرفت هذه المسألة العويصة خصوصًا قول ابن تيمية (وبعض أهل العلم لا يرى ذلك) .

ورحم الله ابن تيمية حينما قال : وكان السلف الصالح رضى الله عنهم يدعون بحديث الأعمى ، فقد أفاد وأجاد وصدق فى النقل ، ورحم الله ابن تيمية حينما قال فى رسالته المسماة بـ (الرسالة الدمشقية) : ويجوز أن يختص الله بعض العلماء والصلحاء بخوارق العادات وهى صفة دائمة مستمرة إلى يوم القيامة ، ورحم الله ابن تيمية حيث يقول : وقد كتب الإمام أحمد منسكًا لتلميذه المروزى ، وأمره فيه أن يتوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

اللهم ارزقنا التمسك بالكتاب والسنة وبما ورد عن نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وجنبنا التعصب والجدل .

وقد بلغنى عن الإمام أحمد رضى الله عنه أنه قال : العمل بالحديث الضعيف أحبّ إلىّ من آراء الرجال ، وإنى على هذا المذهب مذهب إمام أهل السنة ـ رضى الله عنهم ـ أبحث عن الأحاديث النبوية ، وأعمل بها فى الأمور التى لم ترد عن إمامنا مالك رضى الله عنه .

مثلاً : جماعة من الناس قالوا : إن التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يجوز ولم يأتوا بحديث يدل على ذلك ، وقد وجدت أحاديث كثيرة تدل

على التوسل بالنبى - ﷺ - ، فعندى الأحب إلىّ أن أتبع الحديث ولو كان ضعيفًا ، وأترك قول من منع ولو أقام الحجة بالعقل .

(فصل) وذكر العلامة السمهودى فى كتابه المسمى (خلاصة الوفا) من الأدلة على صحة التوسل بالنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد وفاته ما رواه الدارمى فى صحيحه عن أبى الجوزاء وهو تابعى مشهور بصدق الحديث قال : قحط أهل المدينة الشريفة قحطًا شديدًا فشكوا إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت : أنظروا إلى قبر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بين قبره وبين السماء سقف ، ففعلوا ، فمطروا مطرًا كثيرًا حتى نبت العشب وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم أى انتفخت خواصرها بسبب الرعى ، فسمى عام الفتق .

وقد ترجم الحافظ ابن الجوزى فى كتابه (صفوة الصفوة) لهذا الأثر بقوله : (الباب التاسع والثلاثون فى الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولم تكن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تفعل ذلك من قبل نفسها إذ ليس للرأى فيه مجال فلابد أنها سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سلمنا عدم السماع ، فيكون إقرار من حضرها من الصحابة والتابعين واستفاضة ذلك بينهم وبعدهم حجة بلا شك فتبصر .

وقد تكلم الشيخ مُلاَّ على القارى المحدث الحنفى فى شرحه لهذا الحديث فى مشكاة المصابيح للبغوى بكلام حسن فراجعه إن شئت .

التبرك بآثار الأنبياء والصالحين

(فصل) قال الله تعالى : ﴿ **إِذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً** ﴾ [يوسف : ٩٣] .

قلت :

لما رأى إخوة سيدنا يوسف عليه السلام ما فيه من الرفاهية والملك والزينة ظنوا

أنه مَلِك ، فأراد أن يقلب عقيدتهم إلى أنه نبى ورسول له معجزات فأعطاهم قميصه وأمرهم أن يضعوه على وجه أبيه ليعود بصيرا ، فوضعوه على وجه أبيهم فصار بصيراً بقدرة الله تعالى .

س ـ كيف ظهرت المعجزة بسبب القميص ، وما منزلة القميص من سيدنا يوسف عليه السلام ؟

س ـ قال العلماء : الشرف قسمان ، شرف نسب وشرف انتساب ، وضربوا مثلا لذلك بالسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهى شريفة النسب ، وأما شرف الانتساب فهو كزوجاته صلى الله عليه وآله وسلم رضى الله عنهن لأنهن تشرفن بمجاورتهن للنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

فجسم سيدنا يوسف عليه السلام شريف بذاته ، لأن الشرف سببه العلم وليس بالآباء والأجداد ، والعلم سببه الوحى والنبوة والرسالة لأن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إنما تشرفوا بالنبوة والرسالة والعلم ، وشرفوا آباءهم وأجدادهم وذرياتهم بالعلم والنبوة والرسالة ، وقميص سيدنا يوسف عليه السلام تشرف بالانتساب إلى سيدنا يوسف عليه السلام ، ولهذا الانتساب ظهرت المعجزة بالقميص .

إذا فهمت كلامى هذا فهمت أفعال الصحابة رضى الله عنهم الذين كانوا يتبركون بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم وقت حياته ، فكانوا رضى الله عنهم يمسحون وجوههم وجلودهم بنخامته وآثار وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتبركون بالقدح والجبة كما تقدم لك ذلك فى هذا الكتاب رواه البخارى .

وكسوة الكعبة الشريفة تشرفت بجوار الكعبة ، وكسوة مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمقصورة النبوية كلاهما تشرف بالمجاورة المحمدية .

والقرآن العظيم كلام الله تعالى شريف لذاته ، والورق الذى كتب فيه القرآن تشرف بالمجاورة ، فواجب علينا احترامه كالقرآن العظيم لأنه صار ظرفًا له .

والرجل الذى تعلم العلم والقرآن شرُفَ بهما شرف انتساب ويجب احترامه لأجل القرآن والعلم ، ونتبرك به لأجل القرآن والعلم . والرجل الذى نزلت على قلبه الولاية من الله تعالى تشرف بالولاية شرف انتساب ، فيجب علينا احترامه من أجل ولاية الله تعالى له ونتبرك به من أجل ذلك .

قال الشيخ شهاب الدين الخفاجى صاحب الحاشية :

ريحانة الرحمن عُبَّادُهُ * وشمها تقبيل أيديهِمُ

من الأشياء التى تشرفت شرف انتساب واعتنى بها الحق سبحانه وتعالى مقام سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وهو حجر كان يقف عليه عند بناء الكعبة ، وقد أثرت فيه قدماه الشريفتان فتشرف الحجر به شرف انتساب ، وكالموضع الذى جلس فيه سيدنا موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام فإن المكان تبرك وتشرف بجلوس سيدنا موسى فيه ، فأمر الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ أن ينزل ويصلى فيه ركعتين . وكذلك المكان الذى وضِعَ فيه سيدنا عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال الشيخ أبو البركات الشيخ أحمد الدردير المالكى : من هذا الحديث يؤخذ جواز التبرك بآثار الأنبياء والمرسلين والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أيها الأخ المؤمن : إذا كان الله تعالى يأمر نبيه سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل فى المكان الذى ولد فيه سيدنا عيسى بن مريم وكان ﷺ سائرا إلى مهمة عظيمة . كيف حالنا مع آثار سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهى كثيرة فى مكة والمدينة وبيت المقدس .

فيجب علينا شرعًا أن نحترم إمام الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ونحترم جميع آثاره .

وقد تكلم الشيخ عبد الله بن أبى جمرة الأزدى الأندلسى رحمه الله بكلام طيب عند شرح الحديث الذى أخرجه البخارى وهو : عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**ما بين منبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى**) .

قال الشيخ ابن أبى جمرة رحمه الله : (إنما جعل الله هذه البقعة روضة من رياض الجنة لأنها ممشاه ﷺ) .

قلت : وقد أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما ينسب إليه ، وجعل المسجد الذى بناه ﷺ الصلاة فيه بألف صلاة لنسبته للنبى صلى الله عليه وآله وسلم له لا للمقدار ، أى لا للوسع الذى بناه صلى الله عليه وآله وسلم فكلما اتسع المسجد وكان منسوبًا له صلى الله عليه وآله وسلم كان فيه هذا الثواب إلى يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لو مدّ مسجدى هذا إلى صنعاء كان مسجدى**) رواه الديلمى عن أبى هريرة .

ومعناه : الصلاة فيه بألف صلاة ما دام ينسب إلىّ ولو وسعتموه إلى صنعاء اليمن . وجعل الله البلد الذى اختاره لإقامته صلى الله عليه وآله وسلم حرما ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنى حرمت ما بين لابتى المدينة كما حرم إبراهيم مكة**) رواه الشيخان .

واللابتان تثنية لابة : جبلان أسودان يحيطان بالمدينة ما بينهما حرم لا يُعضَد شجره ولا ينفر صيده ولا يختلى خلاه ، كل ذلك إكراما واحتراما له ﷺ ، غير أن صيد مكة فيه الحرمة والجزاء وصيد المدينة فيه الحرمة ولا جزاء فيه .

ونصلى فى المحراب الذى كان يصلى فيه صلى الله عليه واله وسلم كما صلىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى المكان الذى جلس فيه سيدنا موسى بن عمران عليه السلام ، وعند مقام إبراهيم عليه السلام . فنبينا عليه الصلاة والسلام أولى من جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام باحترام آثاره وبالصلاة عندها والدعاء .

(فصل) قال عليه الصلاة والسلام : (**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علىّ**) أخرجه السيوطى (**ورجل ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله . قل آمين ، فقلت آمين**) أخرجه المنذرى .

من فضل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل الصلاة عليه واجبة كلما ذكر اسمه حيا وميتا ، وهذا الفضل لم ـ يجعله الله تعالى لمخلوق إلا له صلى

الله عليه وآله وسلم ، وأن من يصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم مرة يصلى الله عليه بها عشرا ، وأن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عتق من النار سواء كان ذلك فى حياته أو بعد مماته ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ، ومن صلى على ألفا حرم الله شعره وبشره على النار**) رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى . ومعنى بشره : جلده .

معنى الأولية فى الخلق

(فصل) قال الله تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [الكهف : ١١٠] . يقرأ هذه الآية بعض العوام يريدون بها تسويته صلى الله عليه وآله وسلم بغيره ولم يعرفوا معناها ، ولو فكروا فيها لوجدوا آخرها غير أولها . والبشر : المرئى .

وإنما سمى الجلد بشرة لأنه يُرى ، والمعنى إنما أنا بشر مرئى لكم كما يرى بعضكم بعضا ، ولست ملَكا ولا جنيًا لأن الملك والجنى لا يريان ، قوله تعالى : ﴿ **يوحى إلىّ**) أى لست مثلكم لأن الله تعالى قد أكرمنى بالنبوة والرسالة وبأشياء لا تحيط بها العقول منها : أن الله تعالى جعله صلى الله عليه وآله وسلم أول المخلوقات كما فى حديث جابر بن عبد الله (**أول ما خلقَ اللهُ نورُ نبيك**) أخرجه الحافظ عبد الرزاق اليمنى الزبيدى فى مسنده ، وذكره الشيخ أحمد القسطلانى شارح البخارى فى كتابه المسمى المواهب اللدنية ، وذكره الشيخ النبهانى فى كتابه المسمى (الأنوار المحمدية) . وأنه صلى الله عليه وآله وسلم نبى قبل جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، قال عليه الصلاة والسلام : (**كنتُ نبيًا وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسد**) رواه الترمذى وقال عليه الصلاة والسلام : (**كنتُ نبيا وآدم مُنْجدِلٌ فى طِينَتِه**) رواه الترمذى .

وذكر الشيخ الخازن فى تفسيره أن ابن تيمية يقول : إن الحديث (**كنتُ نبيا وآدم بين الطين والماء**)[1] فيه ضعف .

---

(١) رواه الترمذى .

قلت : كان على ابن تيمية أن يقول ضعيف إسناده من هذه الرواية ، وصحيح معناه لأجل رواية الترمذى ، والحديث إذا جاء بسند صحيح ثم جاء بسند ضعيف عملنا به استنادا إلى الرواية الصحيحة ، وهذه الأحاديث الثلاثة لم يُرَد لفظها ، وإنما المراد معناها وهو أنه عليه الصلاة والسلام جعله الله تعالى نبيا قبل آدم عليه السلام .

سمعت من الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية فى الدرس بالجامع الأزهر الشريف لأننى أدركته حيا ، وحضرت عليه سبع سنين ـ قال رحمه الله : وردت أحاديث كل منها يفيد الأولية ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**أولُ ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر**) . وحديث (**أول ما خلق الله اللوح**) رواه الترمذى وحديث (**أول ما خلق الله القلم**) رواه أحمد والترمذى وحديث (**أول ما خلق الله العقل**) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وأبو نعيم فهذه كلها أولية نسبية والمعنى : أول ما خلق الله تعالى من الأنوار نور نبيه ﷺ .

وأول ما خلق الله تعالى من الألواح لوحه المحفوظ .

وأول ما خلق الله تعالى من الأقلام قلمه .

وأول ما خلق الله تعالى من المدركات العقل . وقد كان عالما صوفيا رحمه الله تعالى .

رأيت سؤالا وجه إليه فى إحدى المجلات الإسلامية ، عن الحيوانات التى تدخل الجنة ، وهى ناقة سيدنا صالح عليه السلام ، وكبش سيدنا إسماعيل عليه السلام ، ونملة سيدنا سليمان عليه السلام ، وهدهد سيدنا سليمان عليه السلام ، وبقرة بنى إسرائيل ، وحمار العزير عليه السلام ، وكلب أهل الكهف رضى الله عنهم ، وحوت سيدنا يونس عليه السلام ، وبراق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فأجاب رحمه الله : لم أر ذلك فى كتاب أبدا إلا فى شرح الشيخ أبو البركات الشيخ الدردير رضى الله عنه فى شرحه لمعراج الحافظ نجم الدين الغيطى رحمه الله .

قلت : إن اطلاع الشيخ محمد بخيت ليس كاطلاع الشيخ الدردير رضى الله عنه ، ولا يصح أن يقول الشيخ الدردير ذلك من عند نفسه .

وقال العلماء : من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وقد قال الحافظ العراقى رحمه الله حينما اطلع على كتاب الإحياء للغزالى : رحم الله أبا محمد لقد اطلعت له على أحاديث ما وجدتها فى الموضوعات . قلت لعل ذلك من سعة اطلاع الشيخ الغزالى رحمه الله .

(فصل) قال عليه الصلاة والسلام : (**نحنُ معاشرَ الأنبياءِ تنامُ أعيننا وقلوبُنا لا تنام**) رواه البخارى .

اعلم ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد خالفوا الخلق فى الموت الأصغر ، وأيضا خالفوهم فى الموت الأكبر ، قال عليه الصلاة والسلام : (**الأنبياء أحياءٌ فى قبورهم يصلون**) أخرجه الحافظ البيهقى .

فيا من تريد أن تُسَوِّىَ بين الأنبياء وغيرهم فى الموت ، أين أنت من هذا الحديث ؟ أما سمعت قول الله تعالى فى الشهداء : ﴿ **أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الشهداء ، ولذلك قال الشيخ تقى الدين السبكى الشافعى مؤلف جمع الجوامع ، والحافظ السيوطى رحمهما الله تعالى وغيرهما من العلماء : تؤخذ حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد الموت من آية الشهداء بالأولوية .

قلت : قد ورد النص فى السنة المحمدية أيضا .

(فصل) قال الله تعالى حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام : ﴿ **إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لولا أَنْ تُفَنِّدُونِ** ﴾ [يوسف : ٩٤] .

اعلم أن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد جعل الله تعالى فى أجسادهم رائحة طيبة تسمى رائحة النبوة ، ومن أجل ذلك الوحوش لا تأكل أجسادهم ، ولا تتغير بعد الموت ، ولا تأكلُها الأرض ، وكان سيدنا يعقوب عليه السلام يشم هذه الرائحة من سيدنا يوسف عليه السلام دون بنيه ، ومن أجل ذلك وجه إليه كمال العناية به والمحبة ، وقد كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كذلك . وبعض العارفين تفوح منهم رائحة طيبة من طريق الوراثة .

واعلم أن القرآن العظيم والأسماء الإلهية دائما وأبدا يصحبهما العلم والنور والأعطار ، فمن واظب على تلاوة القرآن بالتدبر وعلى ذكر الله تعالى بالأدب والمحبة تتنزل على قلبه العلوم والأنوار والأعطار ، ومعنى ذلك أن روحه تكون ذات علم ونور وعطر ، فإذا جالسه من كان فى منزلته شهد ذلك منه .

كذلك أصحاب المعاصى والغفلة يصحبهم الجهل والظلمات والروائح الكريهة ، وربما أدرك ذلك بعض العارفين منهم فيضيق صدره عند رؤيته لهم ، وبعض العارفين عند زيارته قبور الصالحين ربما يرى ذلك منهم ، وبعض المسلمين المحبين ربما يشم منهم روائح طيبة عند زيارته لهم .

وفى ١٣٧٠ هجرية زرت سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذنى بكاء شديد ، وكان الحر شديدا ، فخرج لى من القبر الشريف هواء بارد كالثلج ممزوج بالمسك وجاء على وجهى بشدَّة ، فضحكت فى الحال وقلت :

سبحان الله أنت يا سيدى فى هذا النعيم ، الحمد لله .

وللمناسبة وفقنى ربى سبحانه وتعالى لنظم قصيدة فى مدح سيد الشهداء رضى الله عنه :

إن زرت يوما سيد الشهداء * فاقرا السلام عليه فى إصغاء
وقل السلام عليك يا عمّ النبى * يا ساكن الجنات فى الفيحاء

ومنها :

عرِّج على أحد تجد أسد الوغى * تنبيك عنه معالم البيداء
يا سعد حمزة يوم يبعث قائما * والثوب منه مخضَّب بدماء
وعليه تاج للشهادة ظاهر * قد فاق تيجانا لدى الشهداء
وعليه مكتوب شهيد مخلص * عمُّ النبى وسيد الشهداء

وفى الحديث : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : رزقنى الله بولد . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (**سَمِهِ أحبَّ الأسماءِ إلىَّ**

حمزة) رواه الحاكم ومعنى حمزة : الشديد القوى الشجاع ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب**) رواه الحاكم .

ولما قتل رضى الله عنه شهيدا وقف النبى صلى الله عليه وآله وسلم عنده وقال : (**يا عمّ ما وقفتُ موقفًا أغيظَ على قلبى من موقفى هذا**) .

س - ما الذى يؤخذ من هذا الحديث ؟

ج - يؤخذ من هذا الحديث جواز الكلام مع الميت ، وأنه ليس محرما ولا مكـروها ، لأنه يجوز أن يسمعه الحى ويجوز أن يسمعه الميت ، وما يحرم أن يسمعه الحى يحرم أن يسمعه الميت .

س - فإن قيل هؤلاء الشهداء وأنهم أحياء عند ربهم ؟

ج - يجاب عن ذلك بأن الأمر عام فى جميع الأموات ولو كانوا كافرين لأنه صلى الله عليه وآله وسلم نادى على الكفار الأموات الذين هم فى قَليب بدر وتكلم معهم ، فقال أمير المؤمنين سيدنا عمر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم - وجذبه من ردائه - : يا رسول الله : أتخاطب جثثا لا أرواح بها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (**ما أنتم بأسْمع لما أقولُ منهم يا عُمَر غير أنهم لا يجيبونَ**) .

(فصل) أخرج البخارى رحمه الله أن أمير المؤمنين سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنـه دخل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل دفنه وقبَّله بين عينيه وقال : (بأبى وأمِّى أنت يا رسول الله ، لن يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبها الله عليك فقد متَّها) .

س - هل يؤخذ من هذا الحديث جواز نداء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته والتكلم معه .

فمن وقف عند القبر الشريف وقال هذا الحديث لاشئ عليه بل يجوز ذلك ؛ وهل من وقف عند القبر الشريف وقال هذا الحديث لا شىء عليه ؟

ج - نعم . يجوز ذلك كله عملاً بالحديث .

س ـ ما حكم من اعتقد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مساوٍ للناس فى حياته وبعد مماته ويقول : قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إنَّما أنَا بشرٌ مِثْلُكُم ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ج ـ من يعتقد ذلك يكون كافرا لأنه قد خالف القرآن العظيم لأن الله تعالى يقول : ﴿ يا أيها النَّبىُّ إنَّا أرْسَلْنَاك شاهدًا ومُبشرا ونَذيرًا * وداعيًا إلى الله بإذْنه وسرَاجًا مُنيرًا ﴾ [الأحزاب ٤٥ ، ٤٦] . ويقول الله تعالى : ﴿ ورَفَعْنَا لَكَ ذكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] ويقول الله تعالى : ﴿ وعلَّمَكَ مالمْ تكُنْ تَعْلَمُ وكانَ فَضْلُ اللَّهِ عليكَ عَظِيماً ﴾ [النساء : ١١٣] .

ويقول الله تعالى : ﴿ وإنَّك لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ ﴾ [القلم : ٤] فمن لم يعتقد هذه الصفات ثابتة له صلى الله عليه وآله وسلم فى الحياة وبعد الممات فقد كفر . نعوذ بالله من ذلك .

زيارة القبور للنساء بين المنع والإباحة

(فصل) روى ابن أبى شيبة أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتى قبور الشهداء بأحد كل حول ، وقد تقدم أن الحافظ ابن سيد الناس أخرج فى كتابه المسمى (عيون الأثر) فى باب مناقب أهل بدر (أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يزور شهداء بدر فى كل عام مرة) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة وتُذْرِفُ العين ولا تقولُوا هُجْرًا) رواه مسلم وأحمد والترمذى وأبو داود .

قلت : قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا فزوروها) أمر منه بزيارة قبور جميع المسلمين رجالا ونساءً سواء كانت قريبة أم بعيدة ، والأمر منه صلى الله عليه وآله وسلم للسنة ، ومن هذا الحديث أجمع المسلمون على أن زيارة قبور المسلمين سنة للرجال والنساء .

س ـ ما حكم زيارة النساء للقبور إذا ترتب عليها محرم أو مكروه ؟

ج - إذا ترتب على زيارة النساء للقبور محرم حَرُمت الزيارة أو مكروه كُرهت ، وتكون الحرمة والكراهة عارضتين، فالحرام كالعرى واختلاط النساء بالرجال، والمكروه كسماع الغناء منهن فى القرافة .

قال الشيخ الشرقاوى رحمه الله فى شرحه المسمى فتح المبدى على تجريد الزبيدى للبخارى عند حديث الجاريتين : (سماع صوت الأجنبية بالغناء مكروه وإن أمنت الفتنة) اهـ .

وإذا كانت عارية حرم خروجها من البيت أو سافرت مع غير محرم أو زوج .

س - إذا كانت زيارة القبور للنساء سنة ، فكيف لعنهن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث الترمذى : (**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها السرج**) ؟

ج - كانوا فى الجاهلية إذا مات الزوج ضربت زوجته خيمة عند قبره ، وسكنت فيها سنة كاملة ، وقد فعلت ذلك امرأة مسلمة فى أيام بنى أمية نصبت خيمة على قبر زوجها بالبقيع ، وأوقدت السراج سنة كاملة .

والميت إذا مات ذهبت النساء بعد دفنه يرفعن أصواتهن بالنياحة والبكاء ، وقد تقدم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نهى المرأة التى كانت جالسة عند قبر ابنها عن البكاء ، ولم ينهها عن الزيارة ، ولا عن الجلوس عند القبر كما فى البخارى .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارح البخارى : (يؤخذ من هذا الحديث جواز زيارة القبور للنساء والجلوس عند القبر ؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يسكت على محرم أو مكروه) .

(قلت) : فلعل اللعن الذى فى الحديث المراد به هؤلاء ، وقال الحافظ أبو بكر بن العربى المالكى فى شرحه لهذا الحديث فى سنن الترمذى : (لعل المراد : المكثرات للزيارة حتى تضيع المرأة حق الزوج الواجب عليها .

ومن ضيع الواجب يستحق اللعنة كما فى الرواية التى بصيغة المبالغة (زوّارات) ثم قال : (وإذا كانت الزيارة للعظة فما أحوجهن إلى العظة) انتهى كلامه .

(قلت) : فالحكم الأصلى لزيارة القبور للنساء أنها سنة كالرجال ، وإنما الحرمة عارضة فهى تدور مع العلة وجودا وعدمًا ، إذا وجد المانع مُنِعت ، وإذا رُفِعَ رُفِعَت ، وذلك كالماء المغصوب فإن استعماله حرام حرمة عارضة ، لأن الأصل جواز استعمال الماء ، والعلة المانعة التصرف فى مال الغير بغير إذنه ، فإذا جاء صاحب الماء وقال : أذنت لك ، رفعت الحرمة ، وجاء الحكم الأصلى . وهو الإباحة .

زيارة النبى صلى الله عليه وسلم

س ـ قد قلت : إنه قد ثبت بالإجماع أن زيارة القبور سنة ، فهل يدخل فى ذلك الحكم قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ج ـ نعم . أجمع المسلمون وبالأخص الأئمة الأربعة على أن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم سنة ، ومنهم من قال : واجبة كما نقل ذلك الشوكانى فى (نيل الأوطار) وفى جميع كتب فقه المذاهب يقولون فى باب الحج : وبعد الانتهاء من المناسك يستحب زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن علو مقامه صلى الله عليه وآله وسلم واحترامه ، لا نقول : زرنا القبر . أو جئنا من عند القبر ، وقد كره ذلك الإمام مالك رضى الله عنه ، بل نقول : زرنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وجئنا من عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى الحديث (**مامن أحد يُسلِّم على إلا ردَّ اللهُ علىَّ رُوحى ، فَأَرُدَّ عليه السَّلامَ**) رواه أبو داود ؛ لأن القبر تراب ، وإنما زرنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى يسمع سلامنا ويرد السلام علينا ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**مَنْ وجدَ سعة ولم يَفِدْ إلىَّ مرة فقد جفانى**) رواه ابن عدى والدارقطنى وابن حبان ؛ قال الحافظ العراقى مخرج أحاديث الإحياء : هذا الحديث رواه ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك ، ومن حديث ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ : (**من حَجَّ فلم يزرنى فقد جَفَانِى**) ورواه البخارى فى تاريخ المدينة عن أنس بن مالك رضى الله عنه بلفظ : (**ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر**) .

قال السيد مرتضى فى شرح الإحياء : قلت : وحديث ابن عمر المذكور رواه الديلمى والحافظ عبد الواحد التميمى فى كتابه جواهر الكلام فى الحكم والأحكام من كلام سيد الأنام ، وقد ارتضاه الحافظ السيوطى وأما حديث أنس ابن مالك المذكور فقد أخرجه ابن عساكر فى فضائل المدينة . وقال العلامة ملا على قارى إن حديث ابن عمر المذكور سنده حسن .

س - إذا دخل فى عموم الأمر لزيارة قبور المسلمين قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا حاجة إلى ذكر أحاديث تختص بها ؟

ج - نعم . قد دخلت زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عموم الأمر بل من باب الأولوية فإذا علمت ذلك أى : تحققَ سنية زيارته صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته عند قبره الشريف علمت أن الحكم قد ثبت وهو السنية ، فالأحاديث الواردة فى زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره كلها حينئذ صحيح معناها الذى ثبت بالحديث الصحيح الأمر بزيارة المقابر .

فإذا تكلم شيخ فى إسناد من أسانيدها ، أو وصفه بالضعف فإنما يكون ذلك بالنسبة للسند لا بالنسبة للمعنى المفهوم من سنية الزيارة ، لأنه قد ثبت بإسناد آخر صحيح وفى مثل هذا يقال : صحيح معناه وخصوصًا إذا صحح الحديث أو حسَّنه بعض الحفاظ ، فالطعن بعد ذلك لا نلتفت إليه ، لأنه من باب الظن لا من باب اليقين ، ومثبت الفضل مقدم على النافى ، وعلى كل حال قد بينت لك أن زيارة القبر الشريف سنة بالإجماع ، وإنما الخلاف إنما جاء فى أحاديث أخرى غير الحديث المثبت لعموم سنية الزيارة .

س - ما معنى أن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم سنة ؟

ج - يعنى أنها ثبتت من طريق السنة وأننا نثاب عليها ثواب السنة .

س - قال العلماء : الشئ الذى يوصل إلى الواجب واجب ، والشئ الذى يوصل إلى السنة سنة ، فهل المشى إلى زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان الزائر ماشيا أو راكبًا على دابة أو على طائرة أو فى باخرة هل يكون هذا الشئ الموصل إلى السنة سنة ، بمعنى أننا نثاب عليه ثواب السنة أو نأثم على ذلك ولا دليل على الإثم ؟

ج ـ إذا ثبت أن زيارة القبر الشريف سنة فنثاب على المشى إليه ثواب السنة ، ونثاب على الإنفاق الموصل إليه ثواب السنة .

س ـ إذا ثبت أن زيارة حرمه صلى الله عليه وآله وسلم الشريف سنة ، فهل ننوى أن نزور الحرم الشريف مع نيتنا بزيارته صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه قد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (**من جاءنى زائرًا لا تُعمِله إلا زيارتى كان حقا علىَّ أن أكون له شفيعا**) ؟

ج ـ قال الحافظ العراقى رحمه الله : هذا الحديث رواه الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما وصححه الحافظ ابن السكن رحمه الله ، أى : فى باب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى كتابه المسمى (بالسنن الصحاح) ، وهو حافظ ثقة مات بمصر سنة **٣٥٣** هجرية ، وكتابه هذا محذوف الأسانيد ، ومقتضى ما شرط فى خطبته أن هذا الحديث قد أجمع على صحته . وقال السيد مرتضى رحمه الله : رواه الدارقطنى والخلعى فى فوائده بلفظ (**لم ينزعه حاجة إلا زيارتى**) وقد ثبت تصحيح ابن السكن إياه وإيراده له فى أثناء الصحاح ، وذكره التقى السبكى رحمه الله (فى شفاء السقام) وصححه باعتبار مجموع الطرق ، ورواه البزار فى مسنده وابن خزيمة فى صحيحه ، ورواه أيضا أبو داود الطيالسى فى مسنده عن عمر رضى الله عنه بلفظ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (**من زارنى لا تهمه إلا زيارتى كنت له شفيعا أو شهيدًا ، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين**) .

قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى كتابه (الدر المنظم): فى زيارة القبر المعظم . والمراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا تهمه حاجة إلا زيارتى**) اجتناب قصد مالا تعلق له بالزيارة أصلا ، أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف فى المسجد النبوى الشريف ، وشد الرحال إليه ، وكثرة العبادة فيه ، وزيارة الصحابة رضى الله عنهم ومسجد قباء وغير ذلك مما يندب للزائر فعله ، فلا يضر قصده فى حصول الشفاعة له ، فقد قال أصحابنا وغيرهم : ويسن أن ينوى مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحال إلى المسجد النبوى والصلاة فيه كى لا تفوته فضيلة شد الرحال إليه لذلك أيضا .

ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا تعمله حاجة إلا زيارتى**) الشامل لحالتى الحياة والموت ، وللمجيء من بعد ومن قرب ، لسفر وغير سفر ، أن تمحيص القصد وتجريده للزيارة من غير أن يضم إليه قصد ما ذكر قربة عظيمة ومرتبة شريفة ، وأنه لا محظور فيه بوجه وهو كذلك ، كما يستدل بالحديث على فضيلة شد الرحال لمجرد الزيارة وندب السفر لها ، إذ للوسائل حكم المقاصد (انتهى كلام ابن حجر الهيتمى رحمه الله وهو من أكابر علماء الشافعية ومن أهل الحديث) .

قلت :

س - هل فهمت كلام الشيخ ابن حجر رحمه الله : (إذ للوسائل حكم المقاصد) ؟

ج - نعم . المقصد كزيارة القبور وهى سنة ، والوصول إليها وسيلة سواء كان ماشيًا أو راكبا . فيعطى حكم المقصد ، المقصد زيارة القبور وهى سنة فشد الرحال إليها أو المشى يكون سنة .

مثلا طلب العلم فريضة ، وهو مقصد والوصول إلى بلد العلماء وسيلة سواء كان راكبا أو ماشيا فتعطى الوسيلة حكم المقصد وهو الوجوب ، عيادة المريض سنة ، والوصول إلى العيادة سواء كان بشد رحل أم على القدم وسيلة ، فتعطى حكم المقصد فتكون سنة . الصلاة فى مسجد قباء فى كل سبت سنة ، والذهاب إليه وسيلة ، فتعطى الوسيلة حكم المقصد وهى الذهاب إليه ماشيا أو راكبا فتكون سنة .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يذهب إليه راكبا وماشيا ، فكيف شد له الرحل صلى الله عليه وآله وسلم وهو ليس من المساجد الثلاثة ؟

ومن الأحاديث التى ترغب فى زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة بأنها سنة من حديث (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**) لأن أول قبر يدخل فى هذا الأمر قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فيكون قد ثبت بالحديث الصحيح وبإجماع المسلمين أن زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنة وهى المقصد وما أدى إليها يكون سنة هذا الحديث : قال صلى الله عليه

وآله وسلم : (**من زارنى بالمدينة محتسبًا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة**) أى شهيداً للبعض وشفيعا لباقيهم ، أو شهيدًا للمطيع وشفيعا للعاصى .

قلت : ولا مانع من الجمع ، أى : كنت شهيدا لهم فى زيارتهم لى لأنها من الإيمان وشفيعا لهم فى خطاياهم ، وهذا الحديث أخرجه البيهقى وأبو عوانة وأخرجه ابن الجوزى فى كتابه (مثير الغرام) وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ومن الأحاديث المؤيدة لسنية زيارة قبرة الشريف صلى الله عليه وآله وسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**مَنْ زارنى مُتعمِّدًا كان فى جِوَارِى يومَ القيامة**) أخرجه البيهقى مرسلا بسند جيد ، وتضعيف الأزدى لبعض رواته مردود بتوثيق ابن حبان له ، وهو أعلم من الأزدى وأثبت وزاد الحافظ عبد الواحد التميمى فى كتابه جواهر الكلام (إلى المدينة) بعد كلمة (من زارنى) رواه عبد الواحد التميمى عن أنس وعن أبى هريرة رضى الله عنهما مرفوعا وقوله متعمدا تقدم شرحه فى حديث (**لا تُعْمله الا زيارتى**) .

قلت : تضعيف الأزدى لرجال الحديث الذى رواه البيهقى مرسلا لا يضر الحديث بشئ لأنه قد صح بأسانيد أخرى .

ومن الأحاديث التى تؤيد وتقوى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم التى ثبتت بالأحاديث الصحيحة وبالإجماع قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتب له حجتان مبرورتان**) أخرجه الديلمى رحمه الله .

قلت : قدمت لك فى هذا الكتاب أنه صلى الله عليه وآله وسلم بإجماع علماء المسلمين أفضل من العرش واللوح والكرسى والقلم ومن الكعبة ومقام إبراهيم والصفا والمروة وعرفات . فمن وصل إلى مكة ووقف بعرفات كتبت له حجة ، فإن كانت حجة الفرض سقط عنه الفرض ، وأعطاه الله ثواب الحج ، وإن كانت غير حجة الفرض أعطاه الله ثوابًا عظيماً يسمى النافلة كثواب صلاة النوافل بعد الفرائض .

فمن حج ثم ذهب إلى خير الخلق حبا وشوقا واحتراما له صلى الله عليه وآله وسلم كتب الله له ثوابا بقدر ثواب حجتين ، وهذا الثواب باعتبار أفضليته صلى

الله عليه وآله وسلم عند ربه ، غير أن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم ، لا تسقط الفرض الواجب ، وهذا الحديث ظاهر بقطع النظر عن سنده ، لأن معناه صحيح لا يتنافى مع قواعد الشريعة .

ومن الأحاديث الدالة المرغبة فى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم التى ثبتت بالسنة والإجماع قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**من حج فزار قبرى** وفى رواية فزارنى بعد وفاتى ، وفى رواية وزارنى بعد وفاتى عند قبرى كان كمن زارنى فى حياتى) رواه أبو يعلى والدار قطنى والطبرانى والبيهقى وابن عساكر ، ولكنهم ضعفوه .

قلت : إذا كان قد ضعفوه من جهة الأسانيد ، فلم يكن ضعيفا من جهة المعنى . لأنه قد ثبتت حياته صلى الله عليه وآله وسلم بعد الموت بالقرآن العظيم ، وهو قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال الحافظ السيوطى والشيخ تقى الدين السبكى وغيرهما : حياته صلى الله عليه وآله وسلم تدخل فى الآية بالأولوية ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**ما من أحد يسلِّم على إلا ردَّ الله علىَّ روحى فأردَّ عليه السلام**) رواه أبو داود وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون**) رواه البيهقى فعندى لا فرق بين من زاره صلى الله عليه وآله وسلم حيا ، وبين من زاره صلى الله عليه وآله وسلم ميِّتا ، غير أن الذى زاره حيا يرى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يراه ، وأما الذى زاره صلى الله عليه وآله وسلم فى روضته الشريفة فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يراه ، ويسمع سلامه ، ويعرفه وهو لا يراه .

وهناك معجزات تظهر ، وأنوار تبهر ، كيف وقد ثبت فى الصحاح أنه صلى الله عليه وآله وسلم جمع الله له النبيين والمرسلين أحياء بأرواحهم وأجسامهم وثيابهم فصلى بهم ، فكيف عادوا بعد دفنهم تحت التراب ؟ وكيف رأى صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم فى السماوات وهو صلى الله عليه وآله وسلم أخوهم فى النبوة والرسالة ؟ فما ثبت لهم عليهم الصلاة والسلام بعد الموت يثبت له صلى

الله عليه وآله وسلم بعد الموت من الانتقال من بلد إلى بلد ، والعروج إلى السماء ، والحج وغير ذلك ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر بحج سيدنا موسى بن عمران ، وأنه راكب على ناقته ، وأنه يرفع صوته بالتلبية .

فما ثبت لسيدنا موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام بعد دفنه يجوز أن يحصل لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم بعد دفنه ، بل لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم من باب أولى وقد ثبت بإجماع أن زيارة القبر الشريف سنة ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم يسمع السلام ، فيرد على المُسَلِّم ولم يختلف فى ذلك اثنان .

(فصل) ومن أدلة التشفع به صلى الله عليه وآله وسلم ما رواه أبو داود فى السنن وغيره من أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنا نستشفع بك على الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك فسبح النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى رُئِىَ ذلك فى وجوه أصحابه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ويحك أتدرى ما الله تعالى ؟ إن الله لا يُسْتَشْفَعُ به على أحدٍ من خلقه شأن الله تعالى أعظم من ذلك**) فلم ينكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم قوله (نستشفع بك على الله تعالى) وإنما أنكر قوله (نستشفع بالله تعالى عليك) .

(فصل) ومن أدلة جواز طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما فى قصة سواد بن قارب الصحابى رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى كبيره ، وذلك أن سواد بن قارب رضى الله عنه أنشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصيدته التى فيها التوسل وطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم ينكر عليه ، فمنها قوله :

وأشهد أن الله لا رب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وإن كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : (وكن لى شفيعا) ومن ذلك أيضا ما فى خبر مازن بن العضوية الطائى رضى الله عنه المروى عند البيهقى فى الدلائل وعند الطبرانى وابن السكن والفاكهى فى كتاب مكة وابن قانع ،

كلهم من طريق هشام بن الكلبى عن أبيه قال : حدثنى عبد الله القمانى قال : قال مازن بن العضوية : (فذكر حديثا طويلا اقتصر القسطلانى فى المواهب منه على حاجته) وفيه أنه أنشد النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

إليك رسول الله خبّت مطيتى * تجوب الفيافى من عُمان إلى العرج
لتشفع لى يا خير من وطئ الحصى * فيغفر لى ذنبى وأرجعَ بالفلج

الفلج أى : الفوز وتجوب أى : تقطع ، وخبّت أى : سارت سيرا شديدا .

ولم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك .

(فصل) فى أنّ ألأم الناس من إذا ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل عليه . روى الحافظ أبو نعيم فى كتابه الحلية فى قصة الغزالة المشهورة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : مر هذا أن يخلينى حتى أرضع أولادى وأعود ، قال : فإن لم تعودى ، قالت إن لم أعد فلعننى الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلى عليك ، (قلت) : ولا فرق فى ذلك بين حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبين مماته .

(فصل) قلت : سأنقل لك شيئًا مما كتبه الأولون فى كتبهم ، مما يدلك على العناية منهم بزيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى روضته الشريفة .

فإليك الذى كتبه الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ هجرية ، بتحرير الحافظين الجليلين الحافظ العراقى والحافظ ابن حجر فى الكتاب المسمى مجمع الزوائد فى الحديث .

باب زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**) رواه البزار وفى نسخة (**حلّت**) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من جاءنى زائرا لا يَعْلَمُ له حاجة إلا زيارتى كان حقا علىّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة**) . رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**من حج فزار قبرى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى**) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط . وفيه حفص بن أبى داود القارى . وثقه الإمام أحمد رضى الله عنه وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى**) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

قلت : قد قدمت لك أن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم سنة لدخولها فى عموم الحديث الآمر بالزيارة فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**ألا فزوروها**) فزيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم داخلة بالأولوية ، وكل ما ورد من أحاديث فهى بمنزلة التقوية لهذا الحكم ، ولا يضر ضعف بعض الرواة ، لأن الأمر المتقدم وهو حكم سنية الزيارة قد ثبت بالصحيح .

وإليك الكلام الذى ذكره القاضى عياض المالكى رحمه الله تعالى فى حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام قال : (وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع ويروى مجتمع عليها ، أى مجتمع على كونها سنة .

وممن ذكر الإجماع النووى رحمه الله وابن الهمام رحمه الله ، بل قيل إنها واجبة وفضيلة مرغب فيها) .

انتهى كلام القاضى عياض رحمه الله .

أحاديث مختارة من كنز العمال

وإليك الذى كتبه صاحب كنز العمال وهو علاء الدين على المتقى ابن حسام الدين الهندى البرهان المتوفى سنة ٩٧٥ هجرية (باب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الإكمال) .

(فى الحديث ١٢٣٦٨) قال عليه الصلاة والسلام : (**من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى**) أخرجه أبو الشيخ والطبرانى فى الكبير وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى السنن عن ابن عمر رضى الله عنهما (فى الحديث ١٢٣٦٩) قال عليه الصلاة والسلام : (**من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى**) لابن حبان فى الضعفاء والديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(فى الحديث ١٢٣٧٠) قال عليه الصلاة والسلام : (**من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان**) أخرجه الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(فى الحديث ١٢٣٧١) قال عليه الصلاة والسلام : (**من زار قبرى كنت له شفيعا أو شهيدا ، ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة**) أخرجه الطبرانى والبيهقى فى السنن .

(فى الحديث ١٢٣٧٢) قال عليه الصلاة والسلام : (**من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة**) أخرجه ابن قانع والبيهقى فى شعب الإيمان عن حاطب بن الحارث .

(فى الحديث ١٢٣٧٣) قال عليه الصلاة والسلام : (**من زارنى متعمدًا كان فى جوارى يوم القيامة ، ومن سكن بالمدينة وصبر على بلائها كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة**) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن رجل من آل الخطاب .

إذا قرأت هذا الباب علمت عناية الأولين بزيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

باب وضع الوجه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن أبى داود بن أبى صالح قال : (أقبل مروان يومًا فوجد رجلاً واضعًا وجهه على القبر فقال : أتدرى ما يصنع ؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصارى فقال : نعم ، جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم أر الحجر) .

وهو بتمامه فى كتاب الخلافة . رواه الإمام أحمد وداود بن أبى صالح . قال الحافظ الذهبى : لم يرو عنه غير الوليد بن كثير ، وروى عنه كثير بن زيد كما فى المسند ، ولم يضعفه أحد .

وفى رواية أن مروان أقبل فرأى أبا أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ ملتزما القبر المكرم ، فأخذ مروان برقبته ، فقال مروان لأبى أيوب : أتدرى ماذا تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم ، إنى لم آت الحجر ولا اللبن إنما جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم قال أبو أيوب الأنصارى : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله . أ هـ .

س ـ ما الذى فهمته من هذا الحديث ؟

ج ـ فهمت أن مروان الذى هو من أمراء بنى أمية جاء إلى قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فوجد الصحابى أبا أيوب الأنصارى واضعًا خده على قبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فوضع مروان يده على عنق أبى أيوب ينكر عليه ذلك .

س ـ ما الذى فهمه أبو أيوب ـ رضى الله عنه ـ من إنكار مروان عليه ؟

ج ـ فهم منه أنه ينكر عليه تقبيل الحجارة . واللَّبِن : جمع لَبِنَة وهى الطين الذى لم يحرق .

س ـ بماذا رد عليه أبو أيوب رضى الله عنه ؟

ج - رد عليه بقوله : إنى لم آت الحجر ولا اللبن ، إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يعنى انك تعترض على تقبيل القبر لأنك شاهدتنى بعينى بصرك أقبل التراب ، ولكن لو شاهدتنى بعينى بصيرتك لعلمت أننى أردت ما وراء ذلك وهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكأنك لم تسمع قول الشاعر العربى يا مروان .

أمـر على الـديار ديار ليلى * أقبـل ذا الجـدار وذا الجـدارا
ومـا حب الـديار شغفـن قلبـى * ولـكـن حب من سكن الـديارا

ولو رأنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمثالى رضى الله عنهم ما أنكروا علىّ ذلك ، لأنهم يرون تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم من الدين ، وتعظيم ما نسب إليه ، وقد وردت الآثار الكثيرة لذلك فى البخارى وغيره من التبرك بالقدح الذى كان يشرب منه صلى الله عليه وآله وسلم وبعرقه الشريف ، وبرمانتى المنبر وغير ذلك . وفى الشمائل الترمذية أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أتى بيت أنصارى فوجد قربة معلقة ، فأراد أن يشرب صلى الله عليه وآله وسلم من القربة فلم يجد إناء فشرب من فم القربة ، فقام الأنصارى وقطع فم القـربـة بسكـين ، ووضعه فى صندوق له ليوضع فى كفنه بعد موته . وقصة الصحابى الذى كان جالسا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأهدى إليه ثوب فقال : يا رسول الله أهدنيه ، فأعطاه له النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلامه بعض الصحابة على ذلك : لم تسأله ثوبا أهدى إليه ؟ أما علمت أنه لا يرد سائلا ؟ فقال : والله ما أردت إلا أن يكون كفنًا لى بعد موتى تبركًا به صلى الله عليه وآله وسلم ، وليكون لى وقاية من النار .

وقصة الصحابى الذى أراد أن يقتص من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إنما ضربتنى وأنا عارى الظهر والبطن ، فأخذ السوط وتقدم إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فضج الصحابة رضى الله عنهم ضجة شديدة ، والكل يقول : اقتص منى بدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : دعوه . فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انقى السوط من يده ، وصار يمسح جسده بجسد النبى

صلى الله عليه وآلـه وسلم وقال للصحابة رضى الله عنهم ، إنما فعلت ذلك ليسلم جسدى من عذاب النار .

وسمعت عن شيخنا الشنقيطى رحمه الله يقول : إن معاوية بن أبى سفيان لما حضرته الوفاة أمر بقارورة فأحضرت فإذا فيها شئ من أظافره صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن شعره الشريف ، فأمر أن يوضع فى فمه وأنفه وقال : إن ينفع شئ فهذا . أ هـ .

(قلت) : وقد ورد فى البخارى وغيره أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى غزوة الحديبية أمر أبا طلحة ـ رضى الله عنه ـ أن يحلق شعره الشريف وأن يوزعه على الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ، فمن وصلت إليه شعرة كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها .

وقـد تقـدم لك أيضًـا فى البخارى أن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كانوا يتبركون بنخامته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وآثار ـ وضوئه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، قال الشيخ أحمد القسطلانى ـ رحمه الله ـ عند شرحه لهذا الحديث :

(يفعلون ذلك تبركًا بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد سمعت عن شيخنا الشنقيطى ـ رحمه الله ـ أن رجلاً دخل بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وعنده أنس بن مالك ومعه صحابى آخر قد نسيت اسمـــه الآن ـ رضى الله عنهم ، فقـال النبى ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ للرجل : أبشر . فقال الرجل : أكثرت علىّ من قول أبشر .

كأنـه كان يريد شيئا من عرض الدنيا ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأنس ومن معه : (**رد البشرى . أقبلا أنتما**) . ثم أمر أنسًا أن يأتى بإناء فيه ماء فمـجّ فيه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، يعنى أدخل الماء فى فمه الشريف ، ثم أخرجه فى الإناء ثم قال لهما : اشربا وأفرغا على نحوركما .

فنادت أم المؤمنين رضى الله عنها من وراء الحجاب : أفضلا لأمكما فتركا لها شيئا من الماء) . رواه البخارى ومسلم .

(قلت) : أظن أن الـذى ذكـرته لك أيها القارئ فيه الكفاية على التبرك

بآثاره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إن كنت من أهل الحديث ؛ لأننى بفضل الله ـ تعالى ـ ألزمت نفسى أننى لا أذكر شيئا إلا مصحوبًا بدليل من الكتاب أو السنة .

وفى قوله تعالى : ﴿ اذْهَبُواْ بقَميصِى هذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً ﴾ [يوسف : ٩٣] .

دليل على أن آثار الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لها شأن عند الله ـ تعالى ـ وقبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والآثار التى تنسب إليه أفضل من قميص سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ .

وقال تعالى : ﴿ واتخِذُوا من مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلىً ﴾ [البقرة : ١٢٥] . وفى قراءة : ﴿واتخَذُوا ﴾ بفتح الخاء ، وهو الحجر الذى كان يقف عليه سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام ـ ، وقد أثرت فيه قدماه ، فاحترم الله ذلك الأثر ، وأمر بالصلاة عنده والدعاء وأنه مكان إجابة ، فكيف بقبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذى هو أفضل شئ فى الدنيا بعد كتاب الله تعالى ، وقد جعله الله تعالى وجواره روضة من رياض الجنة كما فى البخارى .

قال الشيخ القسطلانى رحمه الله روضة حقيقية لو كشف عنا الحجاب لرأيناها ، ومن أقسم أنه صلى فى الجنة بعد صلاته فى الروضة ما حنث فى يمينه .

انتهى كلام القسطلانى ووافقه عليه العلماء .

س ـ ما الذى فهمته من كلام أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه لمروان حينما قال له : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله ؟

ج ـ أبو أيوب رضى الله عنه يقول لمروان ، يا بنى أمية : أنتم لستم أهلاً للولاية والإمارة حيث يوجد من هو أفضل منكم علما ومنزلة ، ولو كنت منهم لما اعترضت علىّ فى وضع خدى عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولعلمت السبب فى ذلك ، ولكنك لما كنت من غير أهله أى الأمر جهلت ما أعلمه أنا الصحابى . وجادلتنى بعقلك الذى من خطئه واعتدائه لعن أهل

بيت النبوة على المنابر كما نقل عن بنى أمية ، فكيف تعترض علىّ وأنا من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، الذين مدحهم الله فى القرآن العظيم ، وقال عليه الصلاة والسلام : (**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**) وأنا رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآمنت به ، وأول ما نزل نزل فى بيتى حينما هاجر إلى المدينة . وصحبته زمنًا طويلًا ورأيته بعينى حينما دفن فى هذا القبر وأنت لم يكن عندك شئ من ذلك .

ومن أجل ذلك أنا أحب القبر الشريف وأعظمه وأقبله من أجل الذى رأيته دفن فيه صلى الله عليه وآله وسلم . وشتان يا مروان بين من ينظر إلى التراب وبين من ينظر بقلبه إلى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مدفون فيه وإننى أعلم ما تريد ، تخاف على الإمارة أن تؤخذ منك إذا ظهر على شئ والتف الناس حولى ، فهذا الذى دعاك أن تضع يدك على عنقى ، وما غاظنى وضع يدك على عنقى ، ولكن غاظنى أن يكون قد وصل إلى يدك شئ من تراب قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى قالت فيه السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها الحديث الذى رواه الحافظ ابن الجوزى فى الوفا ، وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما قُبِرَ أخذت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها قبضة من تراب قبره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم وجعلته على عينها وبكت وقالت منشدة بيتين :

ماذا على من شم تربة أحمد ! أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علىّ مصائب لو أنها * صبت على الأيام عدن لياليا

قلت : فى حديث الزهراء رضى الله عنها دليل على جواز زيارة النساء قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وقد سمعت شيخنا الشنقيطى رحمه الله يقول : بعد دفن النبى صلى الله عليه وآله وسلم جاء أنس بن مالك رضى الله عنه وقال للصحابة رضى الله عنهم : إن الزهراء تستأذنكم فى أن تزور قبر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فأفسح الصحابة لها الطريق . فكانت زيارتها رضى الله عنها على مرأى ومسمع من الصحابة رضى الله عنهم .

قلت : ويؤخذ من هذا الحديث جواز إسماع النبى صلى الله عليه وآله وسلم

مدحه عند قبره الشريف . وقد مدحه صلى الله عليه وآله وسلم كثير من العلماء عند روضته صلى الله عليه وآله وسلم . وقد نقل الحافظ السيوطى رحمه الله بالاسناد الصحيح هذين البيتين اللذين أنشدهما الشيخ سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه عند الروضة الشريفة :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد له النبى صلى الله عليه وآله وسلم يده فقبلها والناس ينظرون قال : وممن حضر هذه القصة الشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه اهـ .

وقد نقل ذلك الكلام الشيخ الشنقيطى رحمه الله فى شرحه على قصيدة ابن حجر الهيثمى رحمه الله التى أولها :

تواترت الأدلة والنقول * فما يحصى المصنف ما يقول
بأن المصطفى حيّ طرىّ * كبدر التمّ ليس له أفول
ولم تأكل له الغبراء جسما * ولا لحما وأثبت ما أقول

إلى آخر القصيدة ، فقد أفاد فيها وأجاد :

وممن مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند روضته الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجازولى مؤلف دلائل الخيرات رضى الله عنه بالأبيات التى مطلعها :

يا رحمة الله إنى خائف وجل * يا نعمة الله إنى مفلس عانى
وليس لى عمل ألقى العزيز به * سوى محبتك العظمى وإيمانى
فكن أمانى من شر الحياة ومن * شر الممات ومن إحراق جثمانى
وكن غنائى الذى ما بعده فلس * وكن فكاكى من أغلال عصيانى
تحية الصمد المولى ورحمته * ما غنت الوُرق فى أوراق أغصان
عليك يا عروتى الوثقى ويا سندى الـ * أسمى ومن مدحه روحى وريحانى

وممن مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند روضته الشريفة الشيخ الرازى صاحب التفسير رحمه الله تعالى ، بقصيدته التى مطلعها :

وعـليك صلى الله يا علم الهـدى * ما حنَّ مشـتـاق إلى مثـواك
يا سيد السـادات جئتـك قاصـدا * أرجـو رضـاك وأحتمى بحـماك
أنت الـذى لولاك ما خلق امـرؤ * كلا ولا خلق الـورى لولاك
أنت الـذى من نورك البدر اكتسى * والـشـمس مشرقـة بنـور بهاك

يشـير رحمه الله إلى الحديث القدسى الذى أخرجه الإمام أحمد رضى الله عنه : (**لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك**) وإلى الحديث الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك عند حديث توسل آدم عليه السلام بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم : (**لولاه ما خلقتُك**) وممن نقل هذا الحديث الشيخ العالم السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه فى مولده .

وممن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم عند روضته الشريفة الشيخ العالم السيد عبد الله المحجوب الميرغنى الجعفرى بقصيدته التى مطلعها :

نفـحـات الجَـدِّ هبـت * من نواحـى الـعـنـبرية
أنـعـشـت روحـى وجـسـمى * عنـدمـا رد الـتـحـية

وذلـك أنـه حينما سلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم سمع الرد : (وعليك السلام يا ابنى يا عبد الله) .

وفى مناقب السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه أنه لما كان فى بلاد الحبشة كان يسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة وكان يسمع الرد : (وعليك السلام يا ابنى يا محمد عثمان) .

وممن مدح النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم عنـد روضتـه الشريفة الشيخ الشبراوى من علماء الأزهر رحمه الله بقصيدته التى مطلعها :

مهـجـتـى قد نلت كل الأرب * هذه أنـوار طه الـعـربـى
هذه أنـواره قد ظهـرت * وبـدت من خلف تلك الحجب
أبشرى يا نفس هذا المـصـطفى * خاتـم الـرسـل خيار الـعـرب

اسكبى الدمع حلالا فعلى * غيره دمع الهنا لم يسكب
انظرى يا نفس هذا المصطفى * بثى شكواك له وانتحبى
يا رسول الله إنى مذنب * ومن الجود قبول المذنب
يا رسول الله أدرك سيدى * نفس سوء فى الهوى تلعب بى

ومما منَّ الله به علىَّ مدحته صلى الله عليه وآله وسلم بقصائد كثيرة منها :

رسولَ الله قد أنزلت رحلى * ببابك والسلام عليك منى
لأنك عندىَ الحصن المعلى * فنعم الحال والمختار حصنى
لأنك رحمة الرحمن عمت * جميع الخلق من إنس وجن
وروضته الشريفة يا أخانا * تسر القلب من هم وحزن
بها المختار بسَّامًا تراه * يحيى الزائرين بكل أمن
يبشرهم بما جاءوا إليه * ويشفع للجميع بلا تأنى

وقصيدة أخرى قد نظمت بالروضة الشريفة ومطلعها :

لدار الخلد قد جئنا * وللمختار قد زرنا
وفى الروضات صلينا * وشاهدنا رسول الله
رأيت الناس أفواجا * ودمع الحبِّ ثجَّاجا
وبحر الشوق أمواجا * لحُبّ فى رسول الله
وهزّ الروح باريها * لدى المختار هاديها
فنالت من أمانيها * شهودًا فى رسول الله
ونال القلب ما يرجو * وزاروا بعد ما حجُّوا
وفوج بعده فوج * سلام يا رسول الله
فنلنا غاية القرب * بتوفيق بلا حجب
وزرنا سيِّد العرب * أبا القاسم رسول الله
رياض الخلد نلناها * وسلمنا على طه
وروح الحب حياها * أبا القاسم رسول الله

والمادحون له صلى الله عليه وآله وسلم عند روضته الشريفة كثيرون لا يحصى

عددهم إلا الله تعالى ، ومنهم الشيخ غريب الله من ذرية الشيخ الطيب السمانى من بلدة أمرح رضى الله عنه وعن أجداده ، قال عند الروضة الشريفة :

الحمد لله زال الهم والكدر * وقرت العين لما سرّها النظر
والمصطفى جالس كالبدر ينتظر * والصاحبان أبو بكر كذا عمر

وأخبرنى الحاج عبد الحليم مدكور الذى عمه مدكور باشا قال : وقفت عند الروضة الشريفة وقلت :

لى حاجة قلت الحسين ضمينها * فأجبت قد وجبت وحان قضاؤها
فله لدى الجدّ الكريم مكانة * وبجدّه عند الإله قضاؤها

قال : وكان بجوارى شيخ سودانى ، فوضع يده بين كتفى وقال لى : (نلتها يا ولد) فلما انصرفت جاءنى أحد السودانيين وقال لى : أتدرى من هذا الشيخ ؟ قلت : لا ، قال هذا الشيخ غريب الله من أولياء الله فى السودان لعله أن يكون سمع من النبى صلى الله عليه وآله وسلم الرد عليك فبشرك بهذه البشرى وقد رأيت هذا الرجل موفقًا معافىً كثير التردد إلى المساجد حتى لقى الله تعالى .

قلت : ومن فضل الله تعالى كنت مرة جالسًا فى الروضة الشريفة بين المغرب والعشاء مغمضًا عينى مصلّيًا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فسمعت صوته صلى الله عليه وآله وسلم من الروضة الشريفة (عظ النّاس من غير تفريط ولا إفراط) .

وفى سنة من السنين أيضا كنت جالسًا فى الروضة الشريفة كالجلسة المتقدمة ومعى جماعة وهم يريدون السفر إلى مصر ، وأنا أريد البقاء بالمدينة ، وكنت أفكر فى ذلك ، فسمعته صلى الله عليه وآله وسلم من الروضة الشريفة يقول : (إما أن تبقى معنا وإما أن تسافر) .

وفى سنة من السنين وأظنها فى أول حجة عام ١٣٧٢ هجرية لقينى رجل من الكرد عليه حال ، جاءنى ووضع يده على رأسى وصار يقول : مبارك ، مبارك ، فقلت له : أين سيدنا الخضر عليه السلام ؟ فقال لى : ستلقاه

بالـروضة الشريفة ، فلما وصلت المدينة جلست فى يوم من الأيام بعد صلاة العصر بالـروضة ، فجاءنى رجل ما رأيت مثله ، وعليه عمامة صفراء ، ولا يوجد له شبه فى الناس ، له لحية بيضاء عظيمة ، فسلم علىَّ وقال لى : هل هذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا سلمنا عليه يسمع سلامنا ويرد علينا ويرانا ؟ فقلت له : نعم . فقال لى بلسان عربى فصيح : أرحت قلبى أراح الله قلبك . ثم قال لى : إذا كنا فى بلادنا وسلمنا عليه وصلينا عليه هل يبلغه ذلك ؟ فقلت له : نعم . فقال لى : أرحت قلبى أراح الله قلبك . وسألنى عن أشياء أخر لا أذكرها الآن .

ثم جاءنى أناس يسلمون علىَّ فلما انصرفوا التفت فلم أجده فوقع فى خاطرى الكلام الذى أخبرنى به الكردى فى منى . ثم رأيته بالليل فى المنام كأننى فى السفينة التى كان قد ركبها مع سيدنا موسى عليه السلام فى البحر ، ورأيته واقفًا بالبر بالهيئة والثياب التى رأيته عليها وهو يسلم علىَّ من بعيد ويشير إلىَّ بيده ، يعنى : أنا الذى رأيتنى بالأمس . على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

سند المديح وإقرار السنة له :

(فصل) قلت : لقد ذكرت بعض المادحين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخشيت أن يعترض معترض ، فأتيت بالدليل من السنة على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سمع مدحه وأقرَّ المادح له وكافأه .

ذكر الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد متصل فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدى بهمذان حدثنا إبـراهيم بن الحسين حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا الحجاج بن ذى الرُّقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زبير بن أبى سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزَّاف فقال بجير لكعب : أثبت فى هذا المكان حتى آتى هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاسمع ما يقول ، فثبت كعب ، وخرج بجير ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم ، فبلغ ذلك كعبًا فقال :

ألا أبلغا عنى بجيرًا رسالة * على أى شئ وَيْبَ غيرك دلكا
على خلق لم تلف أمًا ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخًا لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية * وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدر دمه وقال : (من لقى كعبًا فليقتله) فكتب بذلك بجير إلى أخيه وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أهدر دمه ويقول له : النجاء وما أراك تنفلت ، ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا قبل ذلك منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك فإذا جاءك كتابى هذا فأسلم وأقبل .

قال فأسلم كعب، وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم ، قال كعب : فأنخت راحلتى بباب المسجد ، فعرفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصفة حتى جلست إليه فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ، الأمان يا رسول الله . قال : (ومن أنت ؟) قلت : كعب بن زهير : قال : (الذى يقول) ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (كيف قال يا أبا بكر ؟) فأنشده أبو بكر :

سقاك بها المامون كأساً روية * وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

قال : يا رسول الله : ما قلت هكذا ، قال : (فكيف قلت) قال : قلت :

سقاك بها المأمون كأسًا روية * وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مأمون والله ، ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم عندها لم يفد مكبول

وقد ذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر المالكى فى كتابه الاستيعاب أن كعبًا لما انتهى إلى قوله :

إن الـرسـول لنـور يستضـاء به * مهـنّـد من سيوف الله مسلول

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك الكلام موسى بن عقبة فى مغازيه قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

ورد فى بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه بردته حين أنشده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصرصرى فى بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير فى كتابه « أسد الغابة » قال : وهى البردة التى عند الخلفاء .

(فصل) قال البخارى (باب الشّعر فى المسجد) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصارى يستشهد أبا هريرة : أنشدك الله هل سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم أيده بروح القدس ! قال أبو هريرة : نعم . وأخرجه البخارى أيضا فى باب بدء الخلق أن عمر بن الخطاب مر بالمسجد وحسان ينشد . فقال حسان : كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت حسان إلى أبى هريرة وقال : أنشدك الله (الحديث) .

وأخرجه مسلم والنسائى والترمذى : والمراد بروح القدس سيدنا جبريل عليه السلام بدليل حديث البراء عند البخارى بلفظ (قل وجبريل معك) .

وفى الترمذى من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينصب لحسان منبرًا فى المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار .

الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة ، وبيان الحق من الباطل :

(فصل) : قد ترجم البخارى رحمه الله هذه الترجمة : (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) ثم ذكر حديث المرأة التى مات زوجها فى عهد التابعين - رضى الله عنهم - وضربت خيمة ، وفى رواية فسطاطًا على قبر زوجها

سنة ، فلما رفعت سمعوا صائحًا يقول : ألا هل وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه آخر . بل يئسوا فانقلبوا .

قال الحافظ شارح البخارى ـ رحمه الله ـ : قيل الهاتف هو مَلَك أو جِنّى مؤمن ، وقال : إن الخيمة كانت تصلى فيها ، ولذلك ناسب ذكرها الترجمة .

س ـ قلت : أيها الأخ المؤمن ما الذى فهمته من ترجمة البخارى وذكر هذه القصة بعدها ؟

ج ـ يرى البخارى أن اتخاذ المسجد على القبر بهذه الكيفية التى ذكرها فى القصة منهيًا عنه ، ويرى اتخاذ المسجد فى القرافة بغير هذه الكيفية جائزًا ، وذلك إذا جعلوه للصلاة حيث لم يجدوا مكانًا غيره فى القرافة يصلون فيه .

وهذا الكلام يؤيده الذى قاله الحافظ بن حجر عن الزين بن المنير حيث قال : كأنه قصد بالترجمة الأولى اتخاذ المساجد فى المقبرة لأجل القبور بحيث لولا تجدد القبر ما اتخذ المسجد .

ويؤيده بناء المسجد فى المقبرة على حدته ؛ لئلا يحتاج إلى الصلاة فيوجد مكان يُصَلى فيه سوى المقبرة ، فلذلك نحابه منحى الجواز (انتهى كلام الحافظ) .

س ـ ولعل المراد بالنهى عن اتخاذ السرج على المقابر هى التى كالسراج الذى كان يوقد فى تلك الخيمة التى تقدم ذكرها سنة كاملة ، ولعل ذلك كان عادة معروفة فى الجاهلية حتى نهى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عنها ، أو معجزة له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تنطبق على كل مَنْ فعل مثل فعل هذه المرأة التى تقدَّم ذكرها من النساء ؟

ج ـ نعم ، هذا الذى ظهر لى ، وليس المراد به الأنوار التى توقد فى المساجد الكبيرة التى فيها قباب الصالحين ؛ لأنها توقد لأجل الأحياء الذين يزورون ، وأما المنهى عنه ، فإيقاد السراج على قبر الميت من أجل الميت حزنًا عليه .

س ـ ما الحديث الذى ذكره البخارى بعد هذه الترجمة وهذه القصة ؟

ج ـ ذكر هذا الحديث وهو المروى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال فى مرضه الذى مات فيه : (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) رواه البخارى .

س ـ ما الذى فهمته من ذكر البخارى لقصة المرأة بعد الترجمة لهذا الحديث ؟

ج ـ فهمت أنه يفسر الحديث بأنهم كانوا يجعلون مسجدًا على قبر أنبيائهم كما جعلت المرأة خيمة على قبر زوجها ، ولا يوجد الآن ذلك فى بلاد المسلمين والحمد لله رب العالمين .

(**فصل**) قال أبو عيسى الترمذى رحمه الله صاحب السنن فى سننه : (باب ما جاء فى كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) .

قال شارح السنن الحافظ أبو بكر محمد بن العربى المالكى رحمه الله فى شرحه المسمى العارضة : وقد روى أبو عيسى عن ابن عباس رضى الله عنهما حديثا حسنًا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) ونسخ من ذلك الزيارة وحدها .

س ـ ما الذى فهمته من ترجمة الترمذى ؟

ج ـ فهمت منه أن كلامه يفيد كراهية اتخاذ المساجد على القبور ، ولذلك تتعين ترجمته على القصة التى ذكرها البخارى من اتخاذ المرأة خيمة أو فسطاطا على قبر زوجها .

س ـ ما مفهوم الحديث الذى ذكره الترمذى بعد هذه الترجمة ؟

ج ـ صرح فيه بأن النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم لعن زائـرات القبـور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

س ـ ما الذى فهمته من كلام الحافظ ابن العربى ؟

ج ـ يقـول الحـافظ ابن العربى :هذا الحديث نُسِخَ أوله وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**لعن الله زَوَّارَات القبور**) نُسِخَ بقوله عليه الصلاة والسلام : (**ألاَ فَزُورُوهَا**) وبقى باقى الحديث وهو اتخاذ المساجد عليها والسرج كالفسطاط الذى ضربته المرأة على قبر زوجها ، وإيقاد السرج على القبور فى القرافة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**والمتخذين عليها السرج**) أى على القبور .

س ـ رواية الترمذى فى المتن (**زائرات**) ورواية الشارح (**زَوَّارَات**) كأنه أتى برواية أخرى فيها صيغة المبالغة وقد تقدم أنه فسرها فى موضع آخر بأنهن المكثرات للزيارة حتى يضيعن حق الزوج ، وبذلك استحقت المرأة المضيعة لحق زوجها الواجب . اللعنة وقال : وإذا كانت الزيارة للعظة فما أحوجهن إلى العظة .

ج ـ كلام ابن العربى محمول على المكثرات للزيارة ؟ لأن الصحيح تعميم النسخ ، والصحيح عند الحفاظ أن النهى أولا كان عاما للرجال والنساء ، ثم جاء النسخ عاما (**ألا فَزُورُوهَا**) يا رجال ويا نساء ، وممن فهم ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها حينما زارت قبر أخيها بمكة فقال لها أحد الناس : إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن زيارة القبور ، وكأنه لم يبلغه النسخ ، فقالت ـ رضى الله عنها ـ ولكنه رخص بعد ، كأنها قالت له : رخص للرجال والنساء ، كذلك ورد أن السيدة الزهراء رضى الله عنها كانت تزور قبر سيدنا حمزة رضى الله عنه .

(**فصل**) وأما الحديث الذى فى البخارى وغيره (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) .

اعلم أن هذا الحديث يحتاج إلى فهم دقيق ، ورأيت أن شرحه يتوقف على السبب لأمور . أولها أن النصارى لا يوجد عندهم قبر نبى ؛ لأن نبيهم سيدنا عيسى عليه السلام رُفِعَ إلى السماء ، فلذلك نرجع إلى سبب ذكر الحديث فنقول :

كان صلى الله عليه وآله وسلم فى مرض موته فى بيت عائشة رضى الله عنها ، وكانت السيدة عائشة تتحدث مع نساء هاجرن إلى الحبشة ثم عُدْن فَهُنَّ يحكين ما رأين بكنيسة بالحبشة تسمى (**مارية**) يحكين لها ما رأين فيها من تمثال سيدنا عيسى عليه السلام وتمثال السيدة مريم عليها السلام ، وما يفعله النصارى مع هذين التمثالين فقال عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا الكلام :

(**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) ولا توجد قبور أنبياء للنصارى فى الحبشة ، وإنما الذى كان التحدث عنه هى التماثيل .

وسألت عن هذه الكنيسة فأُخْبِرْتُ بأنها موجودة حتى الآن وفيها تمثال لسيدنا عيسى وتمثال للسيدة مريم ، وكل من دخل الكنيسة يذهب فيسجد لتمثال عيسى ثم يذهب فيسجد لتمثال امه ، وإذا ظهر السبب بطل العجب ، وقد علمت أن السبب فى ورود هذا الحديث هذه الكنيسة والحديث عنها ويكون المراد من القبور هنا التماثيل التى فى تلك الكنيسة والتى يسجدون لها والحمد لله لم يقع ذلك بالمسلمين أبدا فى مشارق الأرض ومغاربها لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بَشر الأمة الإسلامية بعدم الشرك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا أخافُ عليكم أنْ تُشركُوا بعْدى**) أخرجه البخارى ومسلم .

س ـ ما معنى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إذا جعلنا المعنى راجعا إلى اليهود على حقيقته من أنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ؟

ج ـ المراد بالمسجد هنا المعنى اللغوى وهو مكان السجود ، ولذلك قال شراح البخارى فى شرح الحديث : إما أن يسجدوا لها وإما أن يتخذوها قبلة للسجود .

إما أن يسجدوا لها من دون الله وإما أن يتخذوها قبلة للصلاة . (**قلت**) ومن هذا تعلم أنهم لم يبنوا عليها مساجد يصلون فيها لله تعالى أو بجوارها ، فالمرأة المسلمة التى تقدم ذكرها وأنها ضربت خيمة على قبر زوجها كانت تصلى فى الخيمة لله تعالى ، لا للقبر على أنها تصلى له ، ولا على أنها تتخذه قبلة وإلا لكانت كافرة وما صح للبخارى أن يترجم بقوله : باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور . فاتخاذ المرأة لهذه الخيمة على قبر زوجها وكونها سكنت بجواره وتصلى لله تعالى مستقبلة الكعبة ليس كفرا ولا شركا ولا حرامًا ولذلك قال ملا على قارى الحنفى رحمه الله : (هذه المرأة كانت من قوم طيبين . وكانت تصلى وتذكر الله كثيرا فلا ينبغى أن تدخل فى الملعونات وكان زوجها من ثقاة التابعين) اهـ .

ومما يدل على صحة ما قدمته لك ، ما فى حاشية الشيخ السندى الحنفى على سنن النسائى عند هذا الحديث ، فقد نقل السندى عن الشيخ البيضاوى رحمه الله أنه قال :

(لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنهم ، ويجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا ، لعنهم ومنع المسلمين من مثل ذلك فأما من اتخذ مسجدا فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه ، فلا يدخل فى ذلك الوعيد) .

س ـ ما الذى فهمته من كلام الشيخ البيضاوى رحمه الله ؟

ج ـ فهمت منه أنه يفرق بين اتخاذ المساجد بجوار القبور وبين اتخاذ القبر مسجدًا ،وقد شرح لك ذلك فوضحه فاتخاذ المسجد بجوار القبر هو أن نبنى بناءً واسعا مما اصطلحوا على تسميته مسجدا لصلاة الجمعة والجماعة وأما اتخاذ القبر مسجدا فهو بالمعنى اللغوى ، وهو وضع الجبهة على القبر ، وبذلك يسمى القبر مسجدا أى مكان سجود وبذلك تعلم قول البيضاوى الذى تقدم لك وهو . لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنهم . . . الخ .

قلت : قد فسر البيضاوى المساجد التى فى الحديث بالمعنى اللغوى بأنها جمع مسجد والمسجد مفعل جاء على غير قياس أى مكان السجود .

قلت : مبشرا أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : لا يوجد فى الأمة المحمدية من يسجد لقبر نبى أو ولى معتقدا فيه الألوهية أو يتخذه قبلة غير الكعبة وسيستمر ذلك فى الأمة إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة .

(حكاية لطيفة) ذهب الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر رحمه الله لزيارة السيد البدوى رضى الله عنه وكان يصحبه الشيخ محمد عبده ، وقد جلسا فى قبة السيد فجاءت امرأة تحمل خبزا وقد قسمته على الجالسين من الفقراء ، فدعاها الشيخ محمد عبده وقال لها : أهذا ربك ؟ فصرخت صرخة شنيعة وقالت : لا إله إلا الله . ربى ورب السيد وربك هو الله تعالى ، وهذا عبد الله .

وكان الشيخ محمد عبده يلبس (كاكولة سوداء) لم تكن معروفة عند علماء الأزهر ولكن كان يلبسها بمصر القسيسون .

ثم قالت له : لما أنت قسيس داخل المسجد تعمل إيه ؟ فضحك الشيخ سليم وقال للشيخ محمد عبده : لما كفرتها كفَّرَتْكَ .

س - ما حكم من رأى المسلمين يزورون أبا عبد الله الشهيد سيدنا الحسين رضى الله عنه كما يزورون جده صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة ، ثم نهاهم عن ذلك وقال لهم : قال عليه الصلاة والسلام (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) ؟

ج - قد جعلت الجواب عليك أيها القارئ لهذا الكلام المتقدم .

إذا فهمته تماما علمت أن المنكر للزيارة المستدل بالحديث المذكور أخطأ خطا كبيراً فى فهم الحديث وفهم ما قاله الحفاظ فى شرحه ، وإنى أسأل الله تعالى لى وله الهداية إلى الصواب وإلى الحق وإلى فهم العلم كما ينبغى أن يفهم ، وإلى متابعة العلماء الصالحين السابقين فى أقوالهم .

س - حينئذ فماذا يقال لهؤلاء الزائرين ؟

ج - يقال لهم : إن زيارة المقابر سنة فعلية وقولية ، ويثاب فاعلها ثواب السنة ، فعليكم بإحكامها وفهم ما يراد منها ، ومعرفة المزورين ؛ فمثلا زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تعدلها زيارة . فينبغى قبل أن تزوره صلى الله عليه وآله وسلم أن تعرف قدره ، وأنه حى يسمعك ويراك .

ويرد عليك السلام إلى آخر ما قدمته لك ، وكذلك الصحابة وأهل بيت النبوة رضى الله عنهم .

س - ورد فى بعض روايات الحديث بنوا على القبر مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . فما معنى هذا ؟

ج - بنوا مسجدا أى كنيسة يسجدون فيها لتلك التماثيل ؛ لأن مساجد النصارى تسمى كنائس ، وسبب ورود هذا الحديث أنهن وصفن أمام النبى صلى الله عليه وآله وسلم الكنيسة التى تسمى مارية وما فيها من صور ، فاحذر أن تصف المسلمين بصفات النصارى وقد أكرمهم الله بالإسلام ، واحذر أن تكفر مسلما أو مسلمة بغير مكفِّر نعوذ بالله من ذلك .

وقد ورد أن عمار بن ياسر رضى الله عنه تكلم كلمة الكفر من غير قصد قلبى ، ولما بلغ ذلك الصحابة حزنوا عليه فأخبرهم الله تعالى بأن قلبه مطمئن بالإيمان ، فكيف بمن يتكلمون بكلمة الإيمان وهم موقنون بها ! .

(**فصل**) فى كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل للشيخ العامرى يقول : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يحذر ما صنعوا .

وفى رواية صحيح مسلم : (**قاتل الله اليهود**) وهو بمعنى لعنهم ، وقيل قتلهم وأهلكهم وفى الحديث جواز لعن الكفار إجمالا ، وكذا يجوز لعن من مات منهم بخلاف الحى فإنه قد يسلم (**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) أى يصلون إليها ، ففيه تحريم الصلاة إلى قبور الأنبياء كما قاله أصحابنا . قوله : يحذر ما صنعوا هذا من كلام عائشة وابن عباس .

قلت : فهم العامرى رحمه الله من لفظ الحديث (**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) أنهم يصلُّون إليها ، بمعنى : يجعلونها قبلة لصلاتهم ولذلك حكم على استقبال القبور فى الصلاة بالحرمة . ولكن الكلام يحتاج إلى شرح فأقول بفضل الله تعالى : استقبال القبر فى الصلاة إن جعله المصلى معبودا له فهو كفر ، وإن جعله قبلة له بدل الكعبة فهو كفر ، وإن استقبل القبلة وكان القبر أمامه فرأى نفسه يصلى إلى جهة القبر فلا يحرم ذلك ؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (**إنما الأعمال بالنيات**) متفق عليه .

وقد تقدم لك أن شراح البخارى فسروا الحديث بأنهم يسجدون لقبور أنبيائهم على أنها أوثان معبودة لهم ، أو بمعنى اتخذوها قبلة . وقد حفظ الله الأمة الإسلامية من ذلك .

(فصل) قال العامرى : روينا فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر ـ رضى الله عنهما ـ بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . قالت : ما أبكى أن لا أكون أعلم ما عند الله خيراً لرسوله ، ولكنى أبكى أن الوحى انقطع من السماء ، فهيجتنا على البكاء ، فجعلا يبكيان معها .

قال النووى ـ رحمه الله ـ : فى هذا الحديث فضيلة زيارة الصالحين وزيارة

الفاضل للمفضول ، والتأسى برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وزيارة الرجل للمرأة الصالحة وسماع كلامها ، واستصحاب نحو العالم صاحبًا له فى الزيارة والعبادة ونحوهما ، والبكاء حزنًا عند فراق الصالحين والأحباب وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه ، والبكاء من غير صوت .

(فصل) وإليك أيها القارئ المسلم المؤمن الذى هو يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ويشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت .

اعلم أيها الأخ : أن هذه الأشياء قد آخت بين جميع المسلمين والمسلمات ، فلا يجوز لمسلم أن يبغض مسلما ، لأن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وقد اتحدنا فى الأصول واتفقنا ، ولا خلاف بين المسلمين فى هذه الأشياء . وإذا كانت هناك أشياء فرعية اختلف فيها العلماء فلا يجوز لك أن ترمى فاعلها بالكفر أو الشرك أو الخروج من الإسلام والإيمان فإن ذلك عند الله عظيم وخصوصا إذا كان قد وردت أدلة من الكتاب والسنة فى أمور ، واختلف العلماء حولها ، واجتهد المجتهدون فيها كل يعزز دليله واجتهاده .

فلا ينبغى لك أن تُكَفِّر من خالفك ، كما أنه لا ينبغى له أن يكَفِّرَك بعد أن اتفقنا على أصول الإيمان والإسلام .

ربنا واحد : هو الله ، والكتاب الذى أنزله إلينا : هو القرآن ، والرسول الذى أرسله إلى الناس كافة هو سيدنا محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

أحاديث مختارة فى مشروعية زيارة القبور

قد اعتنى الأولون من الحفاظ والمُحَدِّثين بأمور كثيرة من الأمور الفرعية :

وسأنقل لك الآن (**باب زيارة القبور**) بالجزء الثالث من « **المصنَّف** » للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى ـ المتوفى سنة ٢١١ هجرية ـ :

(باب زيارة القبور) :

فى الحديث ٧٦٠٤ حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة ـ مولى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . (**لعن الله زوّارات القبور**) .

قلت : هذا الحديث تقدم ذكره وشرحه ، وإنى أرجح كلام الحافظ أبى بكر ابن العربى فى شرحه المسمى : « **العارضة** » على سنن الحافظ أبى عيسى الترمذى حيث قال : هذه الجملة وهى « **لعن الله زوّارات القبور** » منسوخة بقوله ـ ﷺ ـ : (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**) .

وهذا الكلام أعجبنى كثيراً .

ومما يؤيده أن الحافظ عبد الرزاق أخرج بعد هذا الحديث : حديثا منسوخا وهو الآتى :

(**الحديث ٦٧٠٥**) : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (**من زار القبور فليس منا**) .

قلت : هذا الحديث منسوخ كما علمت كالسابق قبله ، وما رأيته إلا فى هذا الكتاب عن التابعى وهو قتادة .

وأما الحديث الأول فقد روى مرفوعا فى سنن الترمذى .

(**الحديث ٦٧٠٦**) حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن المجالد بن سعيد قال :

سمعت الشعبى يقول : « لولا أن رسول الله - ﷺ - نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتى » وهذا منسوخ أيضا

(الحديث ٦٧٠٧) حدثنا عبد الرزاق عن النووى عن منصور بن إبراهيم قال . (كانوا يكرهون زيارة القبور) .

قلت لعل كراهتهم لزيارة القبور كانت لأجل النهى الذى ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ لأن النهى إذا كان من السنة كان للكراهة ، ولم يكن للحرمة إلا إذا قرن بشئ يدل عليها من لعن أو وعيد شديد .

وقد قيل : إن علة النهى كانت لئلا يزور المؤمنون قبور المشركين ولما صارت قبور المسلمين وحدها وانتفت العلة المانعة أذن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بزيارة القبور .

(الحديث ٦٧٠٨) أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرنا عطاء الخراسانى قال : حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (**إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة**) .

قلت : هذا هو الحديث الناسخ الذى نسخ جميع النهى السابق عن زيارة القبور للنساء والرجال .

(الحديث ٦٧٠٩) . حدثنا عبد الرزاق عن عبد الله بن عمر عن نافع قال : (**كان ابن عمر يمر على قبر أخيه واقد فيقف عليه ، ويدعو له ، ويصلى عليه**) .

قلت : هذا شروع فى ذكر عمل الصحابة - رضى الله عنهم - بعد حديث الأمر بزيارة القبور - ومعنى (**فيقف عليه**) أى : بجواره . ومعنى (**يُصَلِّى عليه**) : يدعو له بالمغفرة والرحمة على حد قوله - تعالى - ﴿ **وصلِّ عليهم إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهم** ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

[الحديث ٦٧١١] أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن جريج قال : أخبرنا

ابن أبى مُلَيْكَة أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (**ائْتُوا موتاكم فسلِّمُوا عليهم ، وصلُّوا عليهم . فإنَّ لكم فيهم عبرة**) .

قلت : هذا الحديث فيه أمر بزيارة القبور مؤيدًا ومقويا للحديث الأول الآمر بالزيارة .

والحديث الأول جاء مقرونا بفوائد تحصل بسبب الزيارة للأحياء : وهى أنها تذكّر الآخرة ، وتذرف العين . وفى رواية (**وتزهِّد فى الدنيا**) .

وفى هذا الحديث بين ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن فى زيارة القبور عبرة وعظة وتذكاراً للأحياء . . ثم أمر ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالسلام عليهم ؛ لأنهم يسمعون السلام ، ويردون على من سلم عليهم ، وأمر بالدعاء لهم ؛ لأن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم . .

وهذا قد ثبت بالقرآن العظيم . . قال ـ تعالى ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقُولونَ ربَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنَا الَّذينَ سَبقُونَا بالإيمَان** ﴾ [الحشر : ١٠] .

وفى السنة أحاديث كثيرة منها هذا الحديث . . ومعنى ﴿ **وصَلُّوا عليهم** ﴾ أي : ادعوا لهم . وفى سنن ابن ماجة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رخص فى زيارة القبور .

(الحديث ٦٧١٢) : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن جريج قال : أخبرنا محمد بن قيس بن مخرمة قال : سمعت عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تقول : (**ألا أخبركم عنى وعن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قلنا : بلى . قالت : لما كانت ليلتى انقلب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فوضع نعليه عند رجليه ، ووضع رداءه حتى بسط طرف إزاره على فراشه ، فلم يلبث إلا ريث ظن أنى قد رقدت ، ثم انتعل رويدا ، وأخذ رداءه رويدًا ، فجعلت درعى فى رأسى واختمرت ، ثم تقنعت بإزارى ، فانطلقت فى أثره حتى جاء البقيع ، فرفع يده ثلاث مرات ، وأطال القيام ، ثم انحرف فانحرفت ، وأسرع فأسرعت ، وهرول فهرولت ، وأحضر فأحضرت ، فسبقته فدخلت . فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائشة حَشْيَارابية ؟ قلت : لا شىء ، قال : أتخبرينى أو**

ليخبرنى اللطيف الخبير . . قلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، فأخبرته الخبر .

قال : أنت السواد الذى رأيت أمامى ؟ قلت : نعم قالت : فلهز فى صدرى لهزة أوجعتنى ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟

فقلت : مهما يكتم الناس فقد علم الله . قال : فإن جبريل أتانى حيث رأيتنى ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك فنادانى وأخفى منك ، فأجبته وأخفيته منك ، وظننت أنك قد رقدت ، وكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشى ، فأمرنى أن آتى أهل البقيع فاستغفر لهم ، قالت : . قلت : كيف أقول ؟ .

قال : قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله للاحقون) .

قلت : قولها (فلم يلبث إلا ريث) أى : قدر ما يظن أنى قد نمت . .

وفى رواية (ريث ما ظن) وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (مالك يا عائشة حشيارابية ؟) : الحشيا : صفة للمؤنث من الحشى وهو ربو يحصل . .

وقال النووى : حشيا مقصور ، والرابية من : ربا الفرس إذا انتفخ من عدو أو فزع .

قلت : والمعنى : مالى أراك متعبة فزعة ثائرة النَفَس ؟ لأنها كانت ـ رضى الله عنها ـ تسرع فى المشى . (لهزه) : ضرب بجمع كفه على صدره .

(الحديث ٦٧١٣) : حدثنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : (كانت فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تزور قبر حمزة كل جمعة) .

قلت : (عن جعفر بن محمد) هو جدنا الإمام سيدنا جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا على زين العابدين بن سيدنا الإمام أبى عبد الله سيدنا الحسين ـ رضى الله عنهم أجمعين ، ووصل الله نسبى بهم فى الدنيا والآخرة . آمين .

وفى هذا الحديث دليل على جواز زيارة النساء للقبور ، ولكن بالشروط المتقدمة . . فكأنها ـ رضى الله عنها ـ ممن رأى عموم الأمر للنساء والرجال فى قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**ألا فزوروها**) ، وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (ائتوا موتاكم فسلموا عليهم) .

(الحديث ٦٧١٦) : حدثنا عبد الرزاق عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبى صالح عن محمد إبراهيم التيمى قال : كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتى قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول : (**السَّلامُ عليكُم بما صَبرتُم فنعم عُقْبَى الدَّار**) . . قال : وكان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلون ذلك . **أخرجه ابن شبة من مرسل عباد بن صالح ، كما فى وفاء الوفاء الجزء الثانى ص ١١٢ ، والبيهقى عن الواقدى كما فى شرح الصدور** . .

قلت : فيه دليل فعلىّ على جواز زيارة القبور ، وأنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمر بزيارة القبور ، وزار هو بنفسه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه ـ رضى الله عنهم من بعده .

(الحديث ٦٧١٧) : حدثنا عبد الرزاق عن البجلى عن الكلبى عن الأصبغ عن نباته أن السيدة فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانت تأتى قبر حمزة ، وكانت قد وضعت عليه علماً . .

قلت : فيه دليل على جواز زيارة القبور للنساء ، وبالأخص زيارة قبور الأولياء والصالحين . .

وفيه استحباب الدعاء للميت وللزائر نفسه كما ورد فى الحديث الصحيح (**أسأل الله لى ولكم العافية**)

(فصل فى تمنى زيارة الشهداء) :

عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول : **إذا ذكر أصحاب أحد** : (**أما والله أن غودرت مع أصحابه بحضن الجبل**) يعنى سفح الجبل . . تفرد به الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ .

(فصل فى الأمر بزيارة الشهداء) :

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين انصرف من أُحُد مرّ على مصعب بن عمير ، وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه فدعا له ، ثم قرأ : ﴿ **من المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا الله عليه** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] قال : (**أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه**) رواه البيهقى . . وروى هذا الحديث عن عبيد بن عمير مرسلا

فصل فى زيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للشهداء والصحابة من بعده رضى الله عنهم

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتى قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشعب قال : (**السَّلامُ عليكُم بما صَبرتُم فنِعْم عُقْبَى الدَّار**) ثم كان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بعد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يفعله ، وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ بعد أبى بكر يفعله ، وكان عثمان ـ رضى الله عنه ـ بعد عمر يفعله . . **رواه البيهقى** .

عن العطاف بن خالد : حدثتنى خالتى قالت : ركبت يوما إلى قبور الشهداء ، وكانت لا تزال تأتيهم ، فنزلت عند « حمزة » فصليت ما شاء الله أن أصلى ، وما فى الوادى داعٍ ولا مجيب إلا غلامًا قائما آخذاً برأس دابتى . . فلما فرغت من صلاتى قلت : هكذا بيدى : السلام عليكم . . قالت : فسمعت ردَّ السلام علىّ يخرج من تحت أعرفه كما أعرف أن الله ـ عز وجل ـ خلقنى ، وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة منى . .

رواه ابن أبى الدنيا ، ونقله عنه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ

فصل فى كرامتى عبد الله بن عمرو والد جابر بن عبد الله الأنصارى السلمى رضى الله عنهما

عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : (لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال : ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإنى لا أترك بعدى أعز علىّ منك غير نفس رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإن علىّ دينا فاقضه ، واستوص بأخواتك خيرا .

فأصبحنا فكان أول قتيل ، ودفن معه آخر فى قبر ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه) .

أخرجه البخارى والإسماعيلى وأبو نعيم وأبو داود وابن سعد والحاكم والطبرانى والنسائى .

قال شراح البخارى : فى هذا الحديث كرامة عبد الله بن عمرو بوقوع الأمر على ما ظن ، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها ستة أشهر .

(قلت) قوله (غير أذنه) يفسر هذه الجملة رواية الطبرانى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن أباه قُتِل يوم أحد ، ثم مثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه (الحديث) .

وهو مذكور فى مسلم ،وقد حمله الشراح على أنهم قطعوا بعض أذنيه لا جميعها ومعنى حديث جابر الذى روى بهذه الروايات المتعددة يقول : إنه وجد والده سليماً ما به تغيرٌ إلا أنه وجد شيئا يسيرًا عند شحمة أذنه ، فلعل ذلك الشىء الذى رآه لم يكن بسبب الموت ، وإنما هو بسبب التمثيل من الكفار بعد قتله .

فصـــل

وفى موطأ الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ فى فضل الدفن في قبر واحد إلا من

ضرورة (حدثنى يحيى عن مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم المسلمين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، وكانا فى قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أحد ، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يُغيرا ، كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت فرجعت كما كانت . وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة) .

قلت : لما قتل عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن الجموح يوم أحد أمر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بدفنهما فى قبر واحد للصداقة التي بينهما . ورأيت لبعض الشرّح أن بينهما مصاهرة ، فأراد جابر بن عبد الله أن يجعل والده فى قبر واحد ، فحفر عنه بعد ستة أشهر ، فوجده كما هو كأنه قد مات بالأمس ، ودفنه بجوار صاحبه .

وبعد ست وأربعين سنة جاء السيل ، وكشف عن قبريهما ، فوجدا كما هما ، وعلى كل واحد غطاء وشىء من حشيش الأرض ، وأن أحدهما قد جرح وكان واضعًا يده على جرحه ، فأميطت ، فعادت كما كانت ، فدفنا معًا كما أمر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بذلك .

وكأن الله - تعالى - قد أظهر معجزة لنبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - فأعادهما بعد تفرقهما .

ومن كلام الشيخ الباجى - رحمه الله - على الموطأ : أن تلك الأرض كانت سريعة فى تغير الأموات ، ولكن جعل الله حفظ أجساد الشهداء بأحد كرامة لهم .

ولما حفر معاوية عن العين التى استخرجها بالمدينة ، وذلك بعد (أُحُد) بنحو خمسين سنة ، ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة عم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فسال منها الدم .

فصـــــل

قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**) . رواه البخارى .

يدل هذا الحديث على أن بعض الناس إذا ماتوا انقطعت أعمالهم بسبب الموت . ومفهوم قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**انقطع عمله**) أن عمل غيره له من الأحياء لا ينقطع ، لأن السبب مفقود وهو الموت . فالمعنى : إذا مات ابن آدم انقطع عمله له ولغيره بسبب الموت ، وإذا كان حياً لا ينقطع علمه له ولغيره بسبب الحياة .

قال العلماء : وأول شىء ينتفع به الأموات صلاة الجنازة ، والدعاء لقوله تعالى : ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ [الحشر : ١٠] والصدقات للأحاديث الصحيحة الواردة فى البخارى وغيره ، وزيارة مقابرهم لأنهم ينتفعون بها ، وقراءة القرآن ، وقضاء دينه من غير ماله ، والحج عنه .

س ـ بعض الناس يقول : إن القرآن لا يصل إلى الميت فما معنى هذه العبارة على رأيهم ؟

حـ ـ أفهمنى الله ـ تعالى ـ أن هذه الجملة لها معنيان :

المعنى الأول : أن القرآن لا يصل إلى الميت آياته وسوره ، وإنما يصعد إلى السماء . قال تعالى : ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ [فاطر : ١٠] وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**إذا قُرِىءَ القرآنُ فتحت أبواب السماء**) أخرجه الحافظ السيوطى رحمه الله .

المعنى الثانى : أن ثواب القراءة هو الذى يصل إلى الميت حسنات عظيمة كثيرة . قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ﴿ **قارىءُ القرآنِ له بكلِّ حرف عَشرُ حسنات ، لا أقول (الٓمٓ) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف**) .

يعنى أن من قرأ (آلٓمٓ) له ثلاثون حسنة تصل إلى الميت إذا وهب القارىء ثوابها له .

وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا على وصول ثواب الصدقات للأموات وهذا كلام ظاهر ؛ لأن الصدقة لا تصل إلى الميت بل تصل إلى الفقير فينتفع بها . والحسنة بعشر أمثالها .

فمثلاً : إذا تصدقت على فقير برغيف على ميت من الأموات ، فالفقير يصله رغيف واحد ، والميت يصله ثواب عشرة إلى سبعمائة ضعف على حسب تضعيف الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٦١] واطلعت على عبارة منذ ثلاثين سنة وهى : (وفى الإقناع من كتب الحنابلة أن المسلمين يجتمعون فى الأمصار يقرءون القرآن ، ويهبون الثواب لأمواتهم من غير نكير فكان ذلك إجماعًا) .

وقد سمعت شيخنا الشنقيطى ـ رحمه الله ـ يقول : يصل ثواب قراءة القرآن للميت إذا وهبه القارىء له بأن يقول قبل القراءة : اللهم أوصل ثواب ما سأقرؤه لفلان قبل القراءة وهو الأفضل ، ويجوز بعدها . قال : وكان العزّ بن عَبْد السلام ـ رحمه الله ـ يقول : الميت لا ينتفع بقراءة القرآن ، فلما مات رآه بعض العلماء فى النوم فقال له : أينتفع الميت بثواب قراءة القرآن ؟ قال : نعم ينتفع . رأيت الأمر على خلاف ما كنت أظن . وقد نظمتُ ـ بفضل الله تعالى ـ كلام شيخى الشنقيطى هذا بقولى :

وتصل الصدقات للأموات * وغيرها من حج او صلاة
كذا ثواب قارىء وهبته * من قبل أو بعد كما رتبته
وقد رُئى العزّ فقال إنى * رأيت فى الأمر خلاف ظنى

قلت : وقد ألهمنى الله ـ تعالى ـ ذلك منذ ثلاثين سنة ، وأنا أقرأ فى البخارى حينما درسته على الشيخ محمود الغنيمى ـ رحمه الله ـ بعد صلاة الصبح بالقبلة القديمة بالجامع الأزهر: ترجم البخارى بقوله :(باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة) وقال الحسن : يُقْرأ على الطفل فاتحة الكتاب .

عن طلحة بن عبد الله بن عوف ـ رضى الله عنه ـ قال :

« صليت خلف ابن عباس - رضى الله عنهما - على جنازة ، فقرأ بفاتحة الكتاب قال : لتعلموا أنها سنة » وأخرج هذا الحديث ابن خزيمة فى صحيحه ، والنسائى فى سننه ، والحاكم فى مستدركه ، وأخرجه الترمذى .

فصل :

قراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة نقل مشروعيتها ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن على وابن الزبير والمسور بن مخرمة وبه قال الشافعى وأحمد وإسحاق .

س - ما الذى فهمته من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ؟

حـ - فهمت منه أن سيدنا ابن عباس - رضى الله عنهما - صلى على جنازة بالأبواء ، وقرأ فى صلاة الجنازة بعد التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ، وقال إنها سنة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد أجمع العلماء على أن الصحابى إذا قال عن شىء : إنه سنة كان حديثاً مسنداً ، فحديث قراءة الفاتحة الذى معنا مسند ، وقد أخرجه البخارى فهو صحيح .

س - تكلم العلماء عن أشياء ينتفع بها الميت من الحى منها : صلاة الجنازة وممن قال ذلك الشيخ ابن تيمية ، وهى نحو اثنا عشر مسألة لا تحضرنى الآن قد قرأتها فى كتاب صغير لابن تيمية أذكر منها : صلاة الجنازة ، والدعاء ، والصدقات ، والحج عمن لم يحج ، وقضاء الدين ، وتغسيله ، وتكفينه ، وحمله ، ودفنه - فهل تدخل فى هذا النفع قراءة الفاتحة وقد قيل : إن صلاة الجنازة على الميت بمنزلة الزاد للمسافر ؟ .

حـ - نعم . ينتفع الميت بصلاة الجنازة عليه ، وبما فيها من قراءة وتكبير ودعاء .

س - إذا ثبت أن الميت ينتفع بقراءة الفاتحة له فى صلاة الجنازة وهى أم القرآن - فهل ينتفع بباقى القرآن ؟ . وهل هناك دليل من السنة على ذلك ؟ .

حـ ـ قلتُ : إذا ثبت أن الميت ينتفع بفاتحة الكتاب وهى سورة من سور القرآن وجزء منه يجوز أن ينتفع بباقى القرآن قياسًا على الفاتحة . وقد ثبت انتفاع الميت بقراءة القرآن غير الفاتحة بالحديث الذى ذكره صاحب (منتقى الأخبار) وهو : قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**يسّ لما قرئت له . فاقرءوها على موتاكم**) .

فهذا حديث صريح ونص فى الأمر بقراءة سورة يسّ ـ وهى من سور القرآن ـ على الموتى ، وإذا جازت قراءة يسّ ، جاز غيرها قياسًا عليها .

وقد اختار هذا الرأى الشيخ الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) عند شرحه لهذا الحديث ، وردَّ على الشيخ محب الدين الطبرى ـ رحمه الله ـ فى قوله على المحتضرين بأن الحديث يقول (**على موتاكم**) ، وهذه هى الحقيقة . والميت غير المُحْتضر . فلم صرفت اللفظ عن حقيقته إلى مجازه من غير قرينة . (قلتُ) وإنى راض عن قول الشوكانى غاية الرضا ؛ لأنه الواقع والمعلوم من الحديث ، والذى عليه عمل الناس سلفًا وخلفًا .

وفقنى الله وإياكم إلى اتباع السنة الصريحة الصحيحة حبًا فى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

فصـــــل

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله ـ فى سننه (باب ما جاء فى الصدقة عن الميت) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما : (**أن رجلاً قال : يا رسول الله : إن أمى توفيت ، أفينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نعم . قال : فإن لى مخرفًا ، فأشهدك أنى قد تصدقت به عنها**) . قال الحافظ السيوطى ـ رحمه الله ـ اختلف فى وصول ثواب القرآن للميت ، فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول ، وخالف فى ذلك إمامنا الشافعى ، وبعض العلماء جعل اللام فى قوله تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾

[النجم : ٣٩] للاختصاص واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق ، فإنه لا فرق فى نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة ، وبما أخرجه السمرقندى فى فضائل (قل هو الله أحد) عن على مرفوعًا : ﴿ **من مرَّ على المقابر وقرأ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات ، أعطى من الأجر بعدد الأموات**) وبما أخرج أبو القاسم سعد بن على الزنجانى فى فوائده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وألهاكم التكاثر ، ثم قال : إنى جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات ، كانوا شفعاء له إلى الله تعالى**) .

وبما أخرج صاحب الخِلَال بسنده عن أنس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : ﴿ **من دخل المقابر ، فقرأ سورة يسّ ، خفف الله عنهم ، وكان له بعدد من فيها حسنات** ﴾ .

وهذه الأحاديث ، وإن كانت ضعيفة ، فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً ، وأن المسلمين ما زالوا فى كل مصر وعصر يختمون ويقرءون لموتاهم من غير نكير ، فكان ذلك إجماعًا .

قال الأحوذى شارح الترمذى : ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى فى جزء ألفه فى المسألة .

قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ فى (نيل الأوطار) : والحق أنه يخصص عموم الآية ﴿ **وأن لَيْسَ للإنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى** ﴾ بالصدقة من الولد ، وبالحج من الولد ، ومن غير الولد أيضًا ، وبالعتق من الولد ؛ لما ورد فى هذا كله من الحديث . والصلاة من الولد أيضًا لما روى الدارقطنى (أن رجلا قال : **يا رسول الله إنه كان لى أبوان أبرهما فى حال حياتهما ، فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (إن من البر بعد البر أن تصلِّى لهما مع صلواتك ، وأن تصوم لهما مع صيامك**) .

قال الشوكانى : وبالصيام لهما من الولد لهذا الحديث ؛ ولحديث ابن عباس

عند البخارى ومسلم : ﴿ **أن امرأة قالت : يا رسول الله : إن أمى ماتت وعليها صوم نذر ، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته ، أكان يؤدى ذلك عنها ؟ . قالت : نعم . قال : فَصُومى)** .

ومن غير الولد ؛ لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**) .

وبقراءة (يسّ) من الولد وغيره ؛ لحديث (**إقرءوا على موتاكم يسّ**) .

قال : وبالدعاء من الولد وغيره ؛ لحديث ﴿ **أو ولد صالح يدعو له**) .

ولحديث ﴿ **استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت** ﴾ ، ولغير ذلك من الأحاديث ، وبجميع ما يفعله الولد لوالديه من أعمال البر ؛ لحديث : ﴿ **ولد الإنسان من سعيه** ﴾

وقد قيل : إنه يقاس على هذه المواضع التى وردت بها الأدلة غيرها ، فيلحق الميت كل شىء فعله غيره ، هذا تلخيص ما قاله الشوكانى فى (نيل الأوطار) . انتهى من شرح الأحوذى على الترمذى .

فصـــــل

وفى الموطأ قال : حدثنى يحيى عن مالك عن يحيى بن سعيد أن سعيد بن المسيب كان يقول : ﴿ **إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده** ﴾ .

قال الحافظ ابن عبد البر : هذا لا يدرك بالرأى ، وقد روى بإسناد جيد مرفوعًا . (قلت) قد ذكر الحديث الذى رواه مالك عن التابعى سعيد بن المسيب بأنه روى مرفوعًا بإسناد جيد وهذه عادة ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ يرفع مراسيل الموطأ ، وقد أخرج من طريق أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

(**إن المؤمن ليرفع له الدرجة فى الجنة، فيقول: يارب بم هذا؟ فيقال له: بدعاء ولدك من بعدك**) .

(قلتُ) هذا دليل خاص على انتفاع الوالد بدعاء ولده بعد الدليل العام وهو

قولـه تعالى : ﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لنا ولإخوانِنَا الذين سَبَقُونَا بالإيمَانِ ﴾ [الحشر : ١٠] . وهذه الآية فيها دليل على أن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء سواء كانوا أقرباء أم لا .

فصـــــــل :

عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر قال : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

(إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار . يقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة) .

قلت : فى هذا الحديث دليل على أن الميت له إدراك قوىّ وهو فى قبره حتى إنه ليرى المؤمن مقعده فى الجنة ، ويرى الكافر مقعده فى النار وهذا الحديث يؤيد عرض الأعمال على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذى أخرجه البزار بسند رجاله رجال الصحاح ، عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : **(حياتى خير لكم تحدِّثون ويحدث لكم ، فإذا أنا مِتُّ كانت وفاتى خيراً لكم تعرض علىّ أعمالكم ، فإن رأيت خيراً ، حمدت الله ، وإن رأيت شرًّا استغفرت لكم)** . وهو حديث مرفوع ، وله طريق آخر مرسل عن بكر بن عبد الله المزنى وغيره .

وأما عرض الأعمال على الأقارب ، فأخرج الإمام أحمد والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن منده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : **(إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن رأوا خيراً استبشروا به ، وإن كان:أى المرئى غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا)** .

وفى رواية عن الطيالسى عن جابر بن عبد الله : **(وإن كانوا غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك)** . وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادره

أيضًا من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

(تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا ، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم) . أما عرض الأعمال على الأجانب ، فأخرج ابن المبارك وابن أبى الدنيا عن أبى أيوب قال : **(تعرض أعمالكم على الموتى ، فإن رأوا حسنًا استبشروا ، وإن رأوا سوءًا قالوا : اللهم راجع بهم)** .

فصـــــل :

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

(ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به وردَّ عليه حتى يقوم) .

وروى بسنده أيضا عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : **(إذا مرَّ الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه ، ردَّ عليه السلام وعرفه ، وإذا مرَّ بقبر الرجل لا يعرفه فسلَّم عليه ، ردَّ عليه السلام)** . ورواه أيضًا البيهقى فى الشُّعَب عن أبى هريرة مرفوعًا ، وكذا الصابونى فى المائتين ، وذكره ابن القيم ، وابن عبد البر فى الاستذكار والتمهيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وصححه الحافظ عبد الحق الإشبيلى فى كتاب (العاقبة) ، وأورده ابن تيمية نفسه فى كتاب « اقتفاء الصراط المستقيم) بلفظ :

(ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا ، فسلَّم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه حتى ردَّ عليه السلام) .

وقال ابن القيم فى كتاب (الروح) على هذا الحديث : إنه صحيح الإسناد .

حكم تقبيل اليد شرعا

س ـ أخرج أبو داود فى سننه (أن وفد عبد القيس لما رأوْا النبى ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ رمـوْا بأنفسهم من فوق دوابهم ، وجاءوْا إليه ، وقبَّلوْا يده ورجله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . فهل أقرهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على ذلك أم نهاهم عنه ؟ .

ج ـ نعم . أقرهم على ذلك ، فيكون تقبيل يده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورجله سنة ، ويجوز أن نفعله مع من يستحق إما احترامًا له ، وإما تبركا به . وممن ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلانى ـ رحمه الله ـ عند شرحه لحديث (رضينا بالله ربا) قال : وفى رواية : (**ثم رقى عمر المنبر وقبل يده ورجله صلى الله عليه وآله وسلم**) .

قال ابن حجر : يؤخذ من هذا الحديث جواز تقبيل اليد والرجل .

وقـال البخـارى رحمـه الله ـ فى آخـر كتـابـه (الأدب المفـرد) فى كتـاب (السلام) : (باب تقبيل اليد) وذكر الأحاديث ، و (باب تقبيل الرِّجْل) وذكر الأحاديث ولما قرأت فى (الأدب المفرد) هذه الأحاديث سألت أحد علماء المغاربة قلت له : ما هذه الأحاديث ؟ قال لى : أتسألنى عن أحاديث رواها البخارى ؟ ! !

وقـد ألف أحـد المغـاربة كتابًا صغيرًا سماه (إيقاظ النبيل بأدلة التقبيل) فراجعه إن شئت .

وذكـر ابن القيم ـ رحمـه الله ـ فى شرحـه لكتـاب (عوارف المعـارف) للسهروردى ـ رحمه الله ـ أن زيدًا بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ـ صلى على جنازة ، فلما ركب بغلته جاء ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وأخذ بركابه ، فقال له زيد : مهلاً يا ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل مع علمائنا ، فأخذ زيد بيد ابن عباس فقبَّلها ، ثم قال : هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

فصل فى تعظيم الحجر الأسود

ذكر ابن الأثير ـ رحمه الله ـ فى كتابه المسمى (النهاية) هذا الحديث : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

(**الحجر الأسود يمين الله فى الأرض**) . ثم قال ابن الأثير : ومن أجل ذلك قبَّله النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؛ لأن الزائر إذا لقى مزوره استلم يمينه .

س ـ ما الذى يفهم من هذا الحديث ، ومن شرح ابن الأثير له ؟ .

ج ـ بالغ الله ـ تعالى ـ فى تكريم الحجر واحترامه ، حتى سماَّه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يمين الله تعالى ، ولم يكن الحجر يمين الله ـ تعالى ـ وتنزه الله عن ذلك ، وإنما المراد تعظيمه واحترامه ، وعلوّ شأنه عند الله ـ تعالى ـ كما قال تعالى : ﴿ **والسَّمٰوٰتُ مطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر : ٦٧] قال المفسرون : أى عن يمين العرش ، فسمَّى العرش يمينًا احترامًا وإجلالاً ، ولم يكن يمينًا حقيقة تعالى الله عن ذلك ، فابن الأثير جعل سبب التقبيل من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لهذا الحجر هو هذا المعنى . وأما كلام أمير المؤمنين سيدنا عمر رضى الله عنه : (إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقبلك ما قبلتك) . فأراد أن يعرف الناس أن تقبيل الحجر الأسود سنة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يكن باختيار ولا برأى وأنه من حق المؤمن أن يسارع إلى متابعة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى كل ما ورد عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من غير دخول فى تفكير عقله فيه .

ولما كانت الحكمة من تقبيل الحجر الأسود خفيَّةً عن الناس أراد سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ أن يبينها لهم بفعل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وفعل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يحتاج إلى تعليل ؛ لأنه لا يتكلم ولا يفعل شيئا إلا بالوحى .

س ـ يقول بعض الوعاظ إن سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ أمر فى أيام خلافته بقطع شجرة بيعة الرضوان فهل هذا صحيح ؟

ج - رأيت فى صحيح مسلم فى التفسير فى سورة الفتح أنهم جاءوا فى العام الثانى فضلّت عنهم الشجرة فلم يجدوها ، وقد وافق الشارح النووى على ذلك .

س - لو عرفنا موضع شجرة بيعة الرضوان وعرفنا المكان الذى جلس فيه النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وجئنا إليه ، وصلينا ركعتين تبركًا بأثره - صلى الله عليه وآله وسلم - واحترامًا له . هل يجوز لنا ذلك أم لا ؟

ج - نعم . يجوز لنا ذلك ؛ لأنه ورد فى الصحاح أن جبريل - عليه السلام - ليلة الإسراء قال للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - (**انْزِلْ صلِّ هاهنا ركعتين ، ففعل . فقال جبريل : أتدرى أين صليت ؟ ! قال : لا . قال : صليت عند شجرة موسى حيث جلس بعد أن سقى لابنتى شعيب**) . وقد أتى بهذا الحديث الحافظ نجم الدين الغيطى - رحمه الله - فى معراجيه الكبير والصغير .

وقال الشيخ أبو البركات الدردير عند شرحه لهذا الحديث : من هذا الحديث يؤخذ جواز التبرك بآثار الأنبياء والمرسلين والصالحين . اهـ وقد قدمت لك أحاديث كثيرة تدل على التبرُّك ، فراجعها إن شئت . وأن التبرك ليس شركًا ولا حرامًا ؛ لأن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أقره ، والصحابة فعلوه .

وقد قالت للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أم سليم - رضى الله عنها - حينما سألها عن أخذ عرقه الشريف فقالت : (**نُصْلحُ به طِيبنَا ، ونُبرّكُ به أطفالَنَا**) . فأقرها النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - على ذلك ، وقال لها : « **أصَبْتِ** » .

فصل فى التبرك بدعائه ﷺ :

(**كان النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ، فأتى بصبى ، فبال على ثوبه ، فدعا بماء ، فأتبعه إياه ولم يغسله**) . رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها .

قلت : إنما يأتون له - صلى الله عليه وآله وسلم - بالصبيان لأجل التبرك به

ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ وبـدعـائه ، وهذا الصبى الذى بال على ثوبه الشريف قيل : هو : ابن أم قيس بنت محسن أو الحسن أو الحسين رضى الله عنهما كما فى الأوسط للطبرانى .

فصل فى التبرك بشعره ﷺ :

أخرج مسلم فى صحيحه (أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**لما رمى الجمرة ونحر نسكه ، ناول الحلاَّق شقه الأيمن ، فحلقه ، ثم دعا أبا طلحة ، فأعطاه إياه ، ثم ناوله الشق الأيسر ، فحلقه فأعطاه أبا طلحة ، فقال : اقسمه**) .

وفى رواية : (**فَوزعه بين النَّاسِ الشعرة والشعرتين**) .

وهذا الحديث فى البخارى أيضًا ، وفى صحيح أبى عوانة .

فصل فى التبرك بلمسه ﷺ :

أخرج البخارى عن الجعيد بن عبد الرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد قال : (**ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقالت : يا رسول الله إن ابـن أختى وقع ، فمسح رأسى ، ودعا لى بالبركة بين الناس ، وتوضأ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فشربت من وَضوئه . . . الخ**) .

قلت : فيه دليل على التـبرك بلمسـه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبالماء المتقاطر من أعضاء وُضوئه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

فصل فى التبرك بيديه ﷺ :

أخرج البخارى فى باب صفة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**أن أبا جحيفة رضى الله عنه قال : قام الناس ، فجعلواْ يأخذون يدى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيمسحون بهما وجوههم . قال : فأخذتُ بيده ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ فوضعتها على وجهى ، فإذا هى أبرد من الثلج ، وأطيب رائحة من المسك**) .

قلت : وهذا الحديث صريح فى أن أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ كانوا يحبونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حبًا عظيماً ، ويتمسحون بيده الشريفة ؛ لما يعلمون فى ذلك من البركة العظيمة .

قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

كم أبرأت وَصِبًا باللمس راحته * وأطلقت أربًا من ربقة اللمم

فصل فى التبرك بوَضوئه ﷺ :

وفى البخارى أيضًا فى باب صفة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال :

(دُفِعْتُ إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو بالأبطح فى قبة كانت بالهاجرة ، فخرج بلال فنادى بالصلاة ، ثم دخل فأخرج فضل وَضوء رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فوقع الناس عليه يأخذون منه) .

قلت : الْوَضُوء ـ بفتح الواو ـ هو : الماء الذى توضأ به النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ يتبركون به لعلمهم بقدره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضًا فى باب الوضوء .

فصل فى التبرك بقدحه ﷺ :

عن سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ قال : **(أقبل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : اسقنا يا سهل ، فخرجت لهم بهذا القدح ، فأسقيتهم فيه .**

قال أبو حازم : فأخرج لنا سهل ذلك القدح ، فشربنا منه تبركًا برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز من سهل ، فوهبه له) . أخرجه البخارى ومسلم .

قلت : فيه دليل على التبرك بآثار النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حياته وبعد مماته .

فصل آخر فى التبرك بوَضوئه ﷺ :

عن وهب بن عبد الله السوائى ـ رضى الله عنه ـ قال : (أتيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قبة حمراءَ من أدمٍ ورأيت بلالاً ـ رضى الله عنه ـ أخذ وَضوء النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، والناس يبتدرون الوَضوء ، فمن أصاب منه شيئا تمسَّح به ، ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه) . وهو بمعنى حديث أبى جحيفة السابق (أخرجه البخارى) .

فصل فى التبرك بثيابه ﷺ :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : (جاءت امرأة إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ببردة ، فقال القوم : هى شملة ، فقال سهل : هى شملة منسوجة فيها حاشيتها فقالت المرأة : يا رسول الله أكسوك هذه ، فأخذها النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محتاجاً إليها ، فلبسها .

فرآها عليه رجل من الصحابة فقال : يا رسول الله : ما أحسن هذه ! فاكسُنيها ، فقال : نعم . فلما قام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . لام الرجلَ أصحابُه فقالوا : ما أحسنت حين رأيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها ، وقد عرفت أنه لا يُسْأَلُ شيئا فيمنعه ، فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبى ﷺ لعلى أكفن فيها تبركاً بها) . قيل : هو عبد الرحمن بن عوف ، وقيل هو : سعد بن أبى وقاص ، وكلاهما من العشرة المبشرين بالجنة .

فصل فى مباركة الماء بيده ﷺ :

أخرج مسلم فى كتاب (الفضائل) من صحيحه فى باب (قرب النبى ـ صلى

الله عليه وآله وسلم ـ من الناس وتبرُّكهم به) عن أنس بن مالك قال : (**كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا صلَّى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه ، فربما جاءوا فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها**) .

فصل فى التبرك بريقه ﷺ :

أخرج مسلم فى كتاب (الآداب) من صحيحه فى باب (استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنِّكه . . الخ) . بإسناده إلى أنس بن مالك قال :

« **ذهبت بعبد الله بن أبى طلحة الأنصارى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين ولد ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى عباءة يهيىء بعيراً له ، فقال : هل معك تمر ؟ فقلت : نعم ، فناولته تمرات فألقاهن فى فِيهِ ، فلاكهن ، ثم أفرغه للصبى ، فمجه فى فِيهِ ، فجعل الصبى يتلمظه ، فقال رسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : حب الأنصار التمر ، وسماه عبد الله** » . اهـ .

فصل فى التبرك بمنبره ﷺ :

وقد روى الحافظ أبو نعيم فى حليته فى ترجمة الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ أن هارون الرشيد استشار مالكاً فى أن ينقض منبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويجعله من جوهر وذهب وفضة فقال له مالك : (لا أرى أن تحرم الناس أثر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ) .

قلت : فيه دليل على أن الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ يرى التبرك بآثار النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد مماته كما كان ذلك فى حياته .

فصل فى التبرك بمواضع صلاته ﷺ :

أخرج مالك فى موطئه فى باب (ما جاء فى الدعاء) : أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - جاء لقرية بنى معاوية - وهى قرية من قرى الأنصار - فقال : هل تدرون أين صلىَّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من مسجدكم هذا ؟ فقال له عبد الله بن جابر بن عتيك : نعم . وأشار له إلى ناحية منه . . الحديث ، فصلى فيه .

وفيه تبرك أصحابه - رضى الله عنهم - بمواضع صلاته - عليه الصلاة والسلام - وفى كتابى المسمى بالمنتقى النفيس فى الفصل السادس والعشرين :

حياة النبى وإخوانه من الأنبياء بعد الموت :

س - هل النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - حى فى قبره الشريف ؟

ج - نعم حى بحياة تفضل الحياة الأولى .

س - ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج - الدليل من الكتاب قوله تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل أموات بل أحياء** ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

فقد وصفهم الله - تعالى - بسبع صفات وهى :

أحياء ، عند ربهم ، ويرزقون ، وفرحين ، ويستبشرون ، وسيهديهم الله ، ويصلح بالهم .

قال العلماء كالشيخ تقى الدين السبكى والحافظ السيوطى وغيرهما : (حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - داخلة فى هذه الآية بالأولوية) . والدليل من السنة قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - (**الأنبياءُ أحياءٌ فى قبورهم يُصَلُّون** ﴾ . رواه البيهقى .

س - هل أجساد الأنبياء تفنى بعد الموت أم تبقى ؟

ج - نعم . تبقى سليمة إلى يوم القيامة .

س - ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج - الدليل من الكتاب قوله تعالى : ﴿ **مَا دَلَّهُم على مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّة الأَرضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ** ﴾ [سبأ : ١٤] .

نقل الشيخ البيضاوى فى تفسيره أن سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ مكث سنة كاملة بعد الموت متكئا على العصا ، فلو كان جسمه كجسم غيره بعد الموت لما مكث سنة كاملة كما هو لم يتغير منه شىء ، ولم تعرف الجن أنه ميت ، والدليل من السنة قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ﴿ **إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجْسَادَ الأنبْياء**) .

س ـ هل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بجسمه وروحه فى روضته الشريفة ؟

ج ـ نعم هو بجسمه وروحه فى روضته الشريفة .

س ـ ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج ـ الدليل قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِىِّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] عبر بالمضارع لإفادة تجدد الحدث ، وكلمة النبى فى مثل هذا تدل على الروح والجسد معا ، فالله سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على النبى حتى الآن وفيما بعد ، ولقوله تعالى ﴿ **صَلُّواْ عَلَيْهِ** ﴾ أى على هذا النبى بجسمه وروحه .

س ـ هل جمع الله النبيين والمرسلين ليلة الإسراء ببيت المقدس ، وهل كان ذلك فى اليقظة أم فى المنام ، وهل حضروا بأرواحهم أم بأرواحهم وأجسادهم ؟ .

ج ـ أجمع العلماء سلفا وخلفا على أن الإسراء كان يقظة بالروح والجسد وأن الله تعالى قد جمع النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأرواحهم وأجسادهم كما كانوا فى الدنيا حال حياتهم ، فقد ورد ذلك فى جميع كتب السنة كالبخارى ومسلم وغيرهما ، ومن الأدلة التى تدل على أنهم حضروا بأجسادهم وأرواحهم تشبيه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لسيدنا موسى بن عمران عليه السلام برجال شنوءة ، والروح لا تشبه بالجسد ، وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **فإذا أشبه الناس به صاحبكم** » فشبه سيدنا إبراهيم عليه السلام به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلو كان روحا ما شبهه بجسمه الشريف . وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **رأيتُ مُوسَى قائماً عند قبره يُصلِّى** » رواه مسلم وأحمد . والروح وحدها لا ترى على الأرض تصلى .

س ـ هل ما ثبت للأنبياء والمرسلين بعد موتهم من حياة وانتقال من مكان إلى مكان وكلام وصلاة ودعاء وركوب للإبل يثبت ويجوز لنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟

ج ـ نعم ويكون ذلك بالأولوية لقيام الإجماع على أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل الأنبياء والمرسلين وأفضل خلق الله أجمعين .

س ـ هل ورد فى السنة الصحيحة أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يرد السلام على من يسلم عليه عند قبره الشريف ؟ وهل الرد يكون بالروح أم بالجسم والروح ؟

ج ـ نعم ورد فى السنة الصحيحة أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يرد السلام على من يسلم عليه عند القبر الشريف بجسمه وروحه . قال عليه الصلاة والسلام « **ما من أحد يسلم علىَّ ـ وفى رواية عند قبرى ـ إلا ردَّ اللهُ علىَّ رُوحِى فأرد عليه السلام** » أبو داود .

س ـ هل حياة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كحياة الشهداء أم تزيد عليها ؟

ج ـ حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الموت تزيد على حياة الشهداء رفعة وعلوا وكرامة وإدراكًا وغير ذلك .

س ـ ما الدليل على ذلك ؟

ج ـ الدليل قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

تحريم تزويج نسائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد موته ، وإباحة تزويج نساء الشهداء دليل ظاهر على أن حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أرقى من حياة الشهداء ، وقد منع الشرع زواج المرأة إذا غاب عنها زوجها حيًّا حتى يتبين الأمر ، وأباح تزويج جميع من مات أزواجهن إذا انقضت عدتهن .

إذا علمت كلامى هذا فاعلم أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحياه الله تعالى بعد الموت كما كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قبل الموت ، ولغيرته على نسائه حرم الله تعالى تزويجهن على الغير .

س ـ إذا ثبتت حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الموت فهل تجوز رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة ؟ وهل هناك دليل صحيح يدل على ذلك ؟

ج ـ يجوز رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عقلاً لأن العقل يجوِّز رؤية كل موجود ، وإذا ثبت شرعا بقاء جسمه الشريف بما تقدم من الآية : والأحاديث وأن روحه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ترد إليه فيعود كما كان ليرُدَّ السلام جاز عقلا أن يرى على هذه الحال .

والدليل الشرعى ما رواه البخارى وغيره من قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **من رآنى فى النوم فسيرانى فى اليقظة** » وأكثر العلماء على أنه يراه فى الدنيا يقظة حملاً للحديث على ظاهره ، وقيل يوم القيامة . ورد هذا القول بأن جميع المسلمين يرونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم القيامة سواء رأوه فى النوم أم لم يروه ، وقد تركت الكلام فى هذا البحث لما كتبه الحافظ السيوطى فى كتابه المسمى (تنوير الحلك فى جواز رؤية النبى والملك) فإنه رضى الله عنه قد أجاد وأفاد ، وقد ذكرت هذا البحث لأن طريق مشايخنا السيد أحمد بن إدريس والسيد السنوسى والسيد المرغنى والسيد إبراهيم الرشيد والسيد الأهدل ـ رضى الله عنهم ـ مبنى على هذا البحث .

س ـ إذا ثبت أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حى عند ربه تعالى فما حكم ندائه فى أى بلد كان ؟ كأن يقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، وإذا كان يجوز ذلك فما دليله ؟

ج ـ يجوز أن يقول الإنسان : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فى أى بلد كان ، والدليل ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما من أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ علم أصحابه أن يقولوا ذلك فى التشهد فى الصلوات الفرائض وغيرها وإذا جاز ذلك فى الصلاة كان فى غيرها من باب أولى .

س ـ وهل يبلغه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذلك ؟ وما الدليل على ذلك ؟

ج ـ نعم يبلغه ذلك لما رواه البخارى من قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حينما علَّم أصحابه أن يقولوا فى التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ﴿ **إنها تبلغ كل عبد صالح لله من أهل السماء**

والأرض ﴾ . وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من خير عباد الله الصالحين ، وهناك أحاديث تدل صراحة على أن الله وكّلَ ملائكة يبلغونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن أمته الصلاة والسلام .

حكم الدفن فى حجرة مسقوفة :

س ـ هل دفنه فى قبته الشريفة أمر مجمع عليه ؟

ج ـ نعم أجمع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ على دفنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ببيت السيدة عائشة رضى الله عنها ، وهى حجرة ذات سقف بل كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَعْلَمُ ذلك للحديث الذى رواه الصديق رضى الله عنه (**ما قبض نبى إلا حيث يدفن**) رواه الترمذى وقد أجمع الصحابة على قبول هذا الحديث .

س ـ هل الدفن فى حجرة مسقوفة من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أم يجوز ذلك لغيره وما الدليل ؟

ج ـ ليس من الخصوصيات التى ذكرها العلماء ، وقد دفن الصحابة أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بالحجرة ، فلو كان خصوصية ما دفنوهما معه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد أمر سيدنا عمر بذلك ، وقالت عائشة : (كنت محتفظة به لنفسى واليوم لأوثرنه على نفسى) فلو كانت خصوصية ما قالت ذلك . وأوصى السيد سيدنا أبو محمد الحسن بن على رضى الله عنهما أن يدفن جوار جده فإن منعوكم فادفنونى بالبقيع ، فمنعهم أمير المدينة لشىء فى نفسه فدفن بالبقيع ، فلو لم يكن جائزا لما أوصى به رضى الله عنه .

س ـ ما حكم زيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الموت ؟

ج ـ قيل : واجبة ، وقيل : سنة ، وقيل : مستحبة انظر كتاب الدر المنظم لابن حجر فى هذا الموضوع وكتاب شفاء السقام لتقى الدين الشافعى .

س ـ كيف يرد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ .

ج ـ يقول : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

س ـ ما معنى هذا الكلام ؟

ج ـ معناه الأمان من الله عليكم ، والرحمة من الله تعالى عليكم ، والبركة من الله تعالى عليكم .

س ـ هذا دعاء من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد ورد فى الحديث أن دعوة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مستجابة فهل بعد موته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مستجابة كذلك ؟

ج ـ نعم مستجابة لأننا قد أثبتنا لك أن رد السلام يكون بالروح والجسد ، وكان يدعو فى الدنيا بالروح والجسد ، وإذا كان كذلك فلا فرق فى الإجابة بين دعائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الحياة وبعد الممات .

س ـ هل إذا زرتُ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسلمت عليه وردّ علىّ السلام يكون ذلك دعاء مستجابا أنتفع به فيكون ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد نفعنى بدعائه بعد موته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ .

ج ـ نعم ، الذى ينفعك هو الله تعالى ببركة دعائه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا مانع من أن تعتقد ذلك لأنه أمر ثابت لا ينكر .

س ـ وهل يجوز لنا أن نشد الرحل لزيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لننتفع بدعائه ، كما يجوز لنا أن نشد الرحل للنفع بالتجارة والزراعة وغير ذلك حيث إن النفع الذى يجوز شرعا يجوز شد الرحل إليه ؟ .

ج ـ نعم يجوز لنا ذلك ، وقد ثبت بالإجماع أن زيارته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سنة ، فيجوز لها شد الرحل كما يجوز للعمرة على القول بأنها سنة . وقد ذكر علماء المذاهب فى كتبهم أنه بعد انقضاء الحج يستحب التوجه لزيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يقولوا لزيارة المسجد لأنهما متلازمان .

س ـ هل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخالف الخلق فى الموت الأصغر وهو النوم ؟

ج ـ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنام أعينهم وقلوبهم لا تنام ، كما ورد ذلك فى البخارى ، قال عليه الصلاة والسلام (**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لا تنام**) .

س ـ وهل مخالفة نومهم للخلق تدل على مخالفة حالهم بعد الموت للخلق أيضا ؟

ج - نعم يدل ذلك على مخالفة حالهم للخلق بعد الموت .

س - قد أثبت الله تعالى للشهداء صفات سبعا : أحياء ، وعند ربهم ، ويرزقون ، وفرحين ، ويستبشرون ، سيهديهم الله ، ويصلح بالهم ، فهل النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - له تلك الصفات بعد الموت ؟

ج - نعم له ذلك وزيادة بالأولوية كما تقدم ، لأن الشهداء نالوا ذلك الإكرام بفضل الشهادة ، والنبوة والرسالة يفضلان الشهادة فضلا كبيراً بإجماع .

س - النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - تكلم مع أهل البقيع وخاطبهم مخاطبة الأحياء . فهل يجوز لنا أن نخاطبه - صلى الله عليه وآله وسلم - بمثل ذلك ؟

ج - نعم يجوز ذلك وزيادة ، لأن حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - أرقى من حياتهم كما تقدم .

وقلت : بفضل ربى فى ذلك نظما :

واجزم بأن المصطفى خير الورى * حيٌّ وعند الله محفوظ يرى
بجسمه وروحه ويرزق * فى روضة شريفة ويغدق
عليه إحسان يفوق الشهداء * لولاه ما كان الشهيد استشهدا
وكل فضل فى الكتاب ثبتا * للشهداء للرسول أثبتا
إذ إنه إما مهم والأفضل * وخاتم الرسل كذاك الأوّلُ
تنام عيناه إذا ما نامـا * وقلبه قد حَرَمَ المناما
مخالف الخلْقِ بدار الدنيا * مخالف فى موته إذ يحيا
من بعده يكون فى إكرام * فى روضة يرد للسلام
ويبصر الزائر عند القبر * يكون معروفا له ويدرى
لكل من يزوره فى الحال * من سائر النساء والرجال
علمه الإله جل العالِمُ * إذ إنه الحبيب والمكرم

فصل فى كرامة سيدنا جعفر الطيار

أخرج ابن عساكر من طريق ابن إسحاق قال : حدثنى الحسين بن عبد الله ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال بعد قتل جعفر : « لقد مَرَّ بىَ الليلة جعفر يقتفى نفرًا من الملائكة له جَنَاحَان مختضبة قواد مهما بالدم يريدون بيشة (بلد باليمن) » وأخرج ابن عدى من حديث على بن أبى طالب كرّم الله وجهه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (عرفت جَعْفرًا فى رفقة من الملائكة يُبشرون أهل بيشة بالمطر) . وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : (بينما النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جالس وأسماء بنت عميس قريبا منه إذ رد السلام ، وقال : يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مروا فسلّموا علينا ، وأخبرنى أنه لقى المشركين يوم كذا ويوم كذا وقال : فأصِبْتُ فى جسدى من مقادمى ثلاثا وسبعين بين طعنة وضربة ثم أخذت اللواء بيدى اليمنى فقطعت ، ثم أخذته بيدى اليسرى فقطعت فعوضنى الله من يدىَّ جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل ، أنزل من الجنة حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت . قالت أسماء : هنيئا لجعفر ما رزقه الله من الخير ، لكنى أخاف ألا يصدِّقنى الناس فاصعد المِنبر فأخبر به الناس ، فصعد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إن جعفر بن أبى طالب مر مع جبريل وميكائيل عوَّضه الله من يديه جناحين فسلم علىّ ، ثم أخبرهم بما أخبره به) .

قلت : أيها الأخ المؤمن هل قرأت حديث الشهيد سيدنا جعفر الطيار بن أبى طالب رضى الله عنه ؟ فإذا قرأته وفهمته فقد فهمت شيئا عجيبًا وغريبًا ، وإنما أردت أن أبين لك فضل الله تعالى على أحبابه ، وكيف يخرق لهم العوائد لأجل أن أنقلك إلى أن تفكر فى فضل خاتم النبيين والمرسلين ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا كان ابن عمه الشهيد سيدنا جعفر يطير مع الملائكة ويأتى من الجنة إلى الدنيا ليبشر أهل بلد باليمن بالمطر وذلك بعد أن قتل ودفن تحت التراب . فهل بلغك أن هذا الذى تحت التراب شهد الله تعالى له بالحياة وأنه فى الجنة كيف عاد إلى الدنيا وصار يطير مع الملائكة الكرام !

ويؤيد هذا الحديث الأحاديث التى وردت فى الإسراء وأن الله تعالى قد جمع النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فصلى بهم إماما . وهذه المسألة عند العلماء تسمى معجزة ، ومسألة سيدنا جعفر رضى الله عنه تسمى كرامة ، والمعجزات والكرامات ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع . وقد قال العلماء : كل معجزة لنبى تجوز أن تكون كرامة لولى .

خـــاتمـــة

بســـم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

وبعـــد

فقد تم بحمد الله تعالى تأليف هذا الكتاب بالجامع الأزهر الشريف وإنى أوصى القارىء أن يقرأ الفهرست أولاً ليستدل على ما فى الكتاب من مسائل شتى أردت بها وجه الله تعالى .

اللهم اجعلها نافعة لعبادك المؤمنين .

وقد اجتهدت على أن أذكر الأحاديث النبوية التى فيها المسائل وأذكر أسماء الكتب والحفاظ ليرجع القارىء إلى المصادر . واستبشرت خيرا حينما أخبرنى تلميذى بأن السيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ حضر فى المنام وصار يملى عليه المسوَّدة . وفرحت بذلك فرحاً عظيما والحمد لله . وجعلت هذه الرؤيا تقريظًا لهذا الكتـاب من سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، والله الموفق والمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٣ هـ

١٤ يولية سنة ١٩٧٣ م

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة شيخ عموم الطريقة	٥ : ٧
مقدمة المؤلف	٩
باب أن لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة التقوى	١١ : ٣٨
الآية الأولى فى فضل كلمة التقوى	١١
إشارات حروف الشهادتين	١٥
بيان فضل العلم والعلماء	١٧
توجيهي لتلقى العلم بالأزهر	١٨
مسأله حول دعاء نوح لابنه	٢٠
الآية الثانية فى فضل كلمة التوحيد	٢١
أهل كلمة التوحيد والحب الإلهى	٢٣
القرآن كلام الله القديم	٢٤
الآية الثالثة فى فضل لا إله إلا الله	٢٧
مع الشيخ على الشائب	٢٧
مع الشيخ محمد الشريف الإدريسى	٢٨
حكم إيمان المقلد	٢٩
أول الواجبات على المكلف	٣٣
الواجب والمستحيل والجائز فى حق الله ـ سبحانه ـ	٣٤
الواجب والمستحيل والجائز فى حق الرسل عليهم السلام	٣٥
كيفية التلفظ بكلمة التوحيد	٣٨
رسالة الشيخ محمد عليش فى علم التوحيد	٤١ : ٦٥
مع الشيخ عليش	٤١
مقدمة الرسالة	٤٣
الصفات الواجبة فى حق الله ـ صفة الوجوب	٤٤ : ٥١

الموضوع	الصفحة
صفة القدم	٤٥
صفة البقاء	٤٦
مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث	٤٦
قيامه ـ تعالى ـ بنفسه	٤٧
صفة الوحدانية	٤٨
صفة الحياة	٤٨
صفة العلم	٤٩
صفة الإرادة	٤٩
صفة القدرة	٥٠
صفة السمع	٥٠
صفة البصر	٥١
صفة الكلام	٥١
الصفات المستحيلة فى حق الله ـ تعالى ـ	٥٢ : ٥٧
الحدوث	٥٢
طروالعدم والفناء . . .	٥٣
مماثلته ـ تعالى ـ للحوادث	٥٣
احتياجه لموجد	٥٣
كونه مركب الذات ووجود نظير له ـ تعالى ـ	٥٤
الموت	٥٥
التعليل والطبع	٥٦
العجز	٥٦
الجهل	٥٦
الصمم	٥٦
العمى	٥٧
البكم والخرس	٥٧
الجائز فى حقه ـ تعالى ـ	٥٧
مبحث الرسل ـ ختم الرسالة	٥٩

الموضوع	الصفحة
ما يجب فى حق الرسل	٦٠
ما يستحيل فى حق الرسل	٦١
ما يجوز فى حق الرسل	٦٢
السمعيات	٦٢
الشفاعة	٦٤
مفيدة العوام فى علم الكلام	٦٦
ضرورة تعلم المريد لعلم التوحيد	٦٨
من أسرار كلمة محمد رسول الله	٧٠
فوائد دفن النبى - ﷺ - فى الأرض	٧٣
قصة الأعرابى الذى زار قبر النبى ﷺ	٧٤
مدائح نبوية للعلماء عند الزيارة	٧٥
نصائح للمريد السالك	٧٦
حقيقه المشاهدة	٧٩
الإشارات والأسرار فى (محمد رسول الله)	٨١
أحكام زيارته - ﷺ -	٨٨
عود إلى الإشارات	٨٩
بشائر النسب الجعفرى	٩٣
بيان مكانته ﷺ	٩٥
عود إلى الإشارات	٩٧
من أسرار معانى كلمة التوحيد	٩٩
من فوائد الذكر ب (محمد رسول الله)	١٠٥
أساس الترقى فى مراتب الأنفس السبعة	١٠٧
حكم زيارة القبور للرجال والنساء	١١٢
تفاوت درجات الناس فى الدنيا والآخرة	١١٣
معنى التوسل	١٥٥
عود إلى أسرار الذكر ب « لا إله إلا الله »	١١٧
توجيهات ونصائح لأبناء الطريق	١٢١

الموضوع	الصفحة
حب الأولياء والصالحين	١٢٨
المعية أنواع . . .	١٢٩
مناظرة بين الإمام الشافعى وسائلٍ له	١٣٠
التبرك بآثاره ـ ﷺ ـ	١٣٣
مشروعية التوسل بالنبى ﷺ	١٣٦
الصلاة على النبى ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة	١٣٧
من آداب الزيارة	١٣٨
عناية الله ـ تعالى ـ بعباده الصالحين	١٣٩
أطوار الإنسان منذ خلقه إلى يوم البعث	١٤٠
انتفاع الميت بالصدقة	١٤١
مسألة فى الأجل	١٤٢
مسألة فى عالم البرزخ	١٤٢
مسألة فى البعث	١٤٢
مسألة فى الحساب والميزان	١٤٣
الإكثار من النوافل	١٤٣
تكرار الصحابة والتابعين للحج	١٤٣
الانصراف من المحشر	١٤٣
مسألة فى رؤيا النبى ـ ﷺ ـ	١٤٤
الروح والغيب	١٤٤
التجلى عند الصوفيه	١٤٥
قصيدة فى بيان فوائد الذكر : قد جاء فى الأخبار	١٤٦
قصيدة أخرى : واهجر الوسواس . . .	١٤٧
نصائح للمريدين	١٤٩
من أسرار كلمة التوحيد	١٥٠
مع السيد أحمد بن إدريس	١٥١
الصلة بين النبى ـ ﷺ ـ وأهل بيته	١٥٤
الأنوار المحمدية ورؤية الذات العلية	١٥٦
الكرامات وخوارق العادات	١٥٨

الموضوع	الصفحة
منظومة جعفرية فى إثبات المعجزة والكرامة	١٥٨
شرح المنظومة	١٦٠
مشروعية الزيارة وشد الرحال	١٦٤
حكم زيارة القبور وشد الرحال إليها	١٦٥
خاطر فى التوسل	١٦٧
من فوائد الصلاة على النبى ـ ﷺ ـ	١٦٩
بحث فى التوسل والوسيلة	١٧٣
أدلة التوسل من الكتاب والسنة	١٧٣
توسل عمر بالعباس ومناقشات حوله	١٧٤
حديث الأعمى	١٧٦
التوسل بالنبى ـ ﷺ ـ فى حياته وبعد مماته	١٧٧
فصل : حديث الطبرانى : أسألك بنور وجهك	١٧٨
حياة النبى ـ ﷺ ـ فى القرآن	١٧٩
حق السائلين على الله	١٨٠
فصل : التوسل به ـ ﷺ ـ فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ	١٨١
رواية ابن تيمية لتوسل السلف	١٨٢
التوسل عند الإمام السمهودى	١٨٤
التبرك بآثار الأنبياء والصالحين	١٨٤
وجوب الصلاة على النبى ﷺ عند ذكره	١٨٧
معنى الأولية فى الخلق	١٨٨
الدواب التى تدخل الجنة	١٨٩
فصل : نوم الأنبياء وموتهم	١٩٠
فصل : رائحة النبوة	١٩٠
كرامة فى زيارة سيدنا حمزة ومدائح فيه	١٩١
نداء الميت وخطابه	١٩٢
كفر من اعتقد مساواة النبى لغيره	١٩٣
زيارة القبور للنساء بين المنع والإباحة	١٩٣
زيارة النبى ـ ﷺ ـ	١٩٥

الموضوع	الصفحة
من أدلة التوسل من السنة	٢٠١
فصل فى « ألأم الناس »	٢٠٢
أحاديث مختارة من كنز العمال	٢٠٤
وضع الوجه على قبر رسول الله ﷺ	٢٠٥
تبرك الصحابه به ﷺ وبآثاره	٢٠٦
زيارة الزهراء لقبر أبيها عليهما السلام	٢٠٩
من مدائح العلماء عند القبر الشريف	٢١٠
مدائح للمؤلف وكرامات عند الروضة	٢١٢
سند المديح وإقرار السنة له	٢١٤
الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة	٢١٦
شرح حديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)	٢١٧
حكاية لطيفة للشيخ محمد عبده فى مقام السيد البدوى	٢٢١
دعوة إلى وحدة المسلمين	٢٢٤
أحاديث مختارة فى زيارة القبور من « المصنف »	٢٢٥
فصل فى تمنى زيارة الشهداء .	٢٢٩
فصل : فى الأمر بزيارة الشهداء	٢٣٠
فصل : فى زيارة النبى والصحابة لهم	٢٣١
فصل : فى كرامتى عبد الله الأنصارى	٢٣١
شرح حديث : إذا مات ابن آدم . . .	٢٣٣
وصول ثواب القرآن للميت	٢٣٣
فصل : قراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة	٢٣٥
آراء العلماء فى انتفاع الميت بعمل الحى	٢٣٥
فصل : ما جاء فى الصدقة عن الميت	٢٣٦
فصل : انتفاع الميت بدعاء ولده له	٢٣٨
فصل : فى إدراك الميت وعرض الأعمال	٢٣٩
فصل : استئناس الميت بزائره	٢٤٠
حكم تقبيل اليد	٢٤١
فصل : فى تعظيم الحجر الأسود	٢٤٢

الموضوع	الصفحة
فصل : فى التبرك بدعائه ـ ﷺ ـ	٢٤٣
فصل : فى التبرك بشعره ـ ﷺ ـ	٢٤٤
فصل : فى التبرك بلمسه ـ ﷺ ـ	٢٤٤
فصل : فى التبرك بيديه ـ ﷺ ـ	٢٤٤
فصل : فى التبرك بوضوئه ـ ﷺ ـ	٢٤٥
فصل : فى التبرك بقدحه ـ ﷺ ـ	٢٤٥
فصل آخر فى التبرك بوضوئه ـ ﷺ ـ	٢٤٦
فصل : فى التبرك بثيابه ـ ﷺ ـ	٢٤٦
فصل : فى مباركة الماء بيده ـ ﷺ ـ	٢٤٦
فصل : فى التبرك بزيقه ـ ﷺ ـ	٢٤٧
فصل : فى التبرك بمنبره ـ ﷺ ـ	٢٤٧
فصل : فى التبرك بمواضع صلاته ـ ﷺ ـ	٢٤٨
حياة النبى وإخوانه من الأنبياء بعد الموت	٢٤٨
مشروعيه السلام عليه ورؤيته ـ ﷺ ـ بعد موته	٢٥١
حكم الدفن فى حجرة مسقوفة	٢٥٢
فائدة فى رده ـ ﷺ ـ على المسلّم عليه	٢٥٢
مشروعيه شد الرحال لزيارته ـ ﷺ ـ	٢٥٣
مخالفته ـ ﷺ ـ للخلق فى النوم والموت	٢٥٣
جواز مخاطبته ـ ﷺ ـ بعد موته ـ	٢٥٤
منظومة للمؤلف فى حياته ـ ﷺ ـ	٢٥٤
فصل : فى كرامة سيدنا جعفر الطيار	٢٥٥
خاتمـــة	٢٥٧